This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

+ *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.

+ *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.

+ *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.

+ *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at `http://books.google.com/`

Princeton University Library
32101 073506030

Digitized by Google

Digitized by Google

al-Batlūnī, Shakir

Dalīl al-hā'im

دليل الهائم
في
صناعة الناثر والناظم

جمعهُ الفقير اليهِ تعالى شاكر البتلوني

نظر فيهِ وضبطهُ وصحَّحهُ
العلَّامة اللُّغويّ الشيخ ابرهيم اليازجي

حق طبعهِ محفوظ

طبع ثانيةً في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٨٩٠

برخصة مجلس معارف ولاية سورية الجليلة

Digitized by Google

بِسْمِ ٱللهِ خَيْرِ ٱلْأَسْمَآءِ

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي زَيَّنَ أَجْيَادَ ٱلْبَلَاغَةِ بِعُقُودِ ٱلْفَصَاحَةِ وَٱلْبَيَانِ وَجَعَلَ ٱللَّفْظَ دَلِيلًا عَلَى ٱلْمَعَانِي وَٱلْمَعَانِيَ دَلِيلًا عَلَى ٱلْجَنَانِ * وَبَعْدُ فَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ صِنَاعَةَ ٱلْإِنْشَآءِ قَدْ أَخَذَتْ فِي هٰذَا ٱلْعَصْرِ جَمَالَ زُخْرُفِهَا وَمَاسَتْ خُرَّدُ ٱلْفَصَاحَةِ تَجُرُّ عَلَى مُتُونِ ٱلْمَهَارِقِ فَضْلَ مُطْرَفِهَا فَغَاصَتْ أَقْلَامُ ٱلْأُدَبَآءِ عَلَى جَوَاهِرِ ٱللَّفْظِ تَلْتَقِطُهَا مِنْ خِلَالِ جَدَاوِلِ ٱلْأَسْفَارِ وَٱسْتَنَّتْ قَرَائِحُ ٱلْأَلِبَّآءِ فِي سَنَنِ ٱلتَّحَدِّي عَلَى آثَارِ ٱلْمُتَقَدِّمِينَ فِي هٰذَا ٱلْمِضْمَارِ رَأَيْتُ أَنْ أُتْحِفَ ٱلْمُتَأَدِّبِينَ وَمَنْ نَظَمَتْهُمْ حَلَقَاتُ ٱلْمَدَارِسِ فِي هٰذَا ٱلْعَصْرِ بِسِفْرٍ يُسْفِرُ عَنْ جُلِّ آدَابِ ٱلْإِنْشَآءِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ٱلْمُبْتَدِئُ فِي مُعَانَاةِ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ فَجَمَعْتُ لِذٰلِكَ هٰذَا ٱلْكِتَابَ مَأْخُوذًا عَنْ مُصَنَّفَاتِ جِلَّةِ ٱلْعُلَمَآءِ ٱلْمَشْهُورِينَ فِي ٱلْفَنَّيْنِ جَمِيعًا وَرَتَّبْتُهُ أَبْوَابًا وَفُصُولًا نَقَلْتُ فِيهَا نُصُوصَهُمْ

Digitized by Google

[redacted]

وَرَصَّعْتُهَا فِي أَثْنَائِهِ تَرْصِيعًا ثُمَّ أَرْدَفْتُهَا بِطَائِفَةٍ مِنْ أَقْوَالِهِمْ فِي ضُرُوبِ ٱلرَّسَائِلِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَغْرَاضِ ٱلْمُتَرَسِّلِينَ وَٱلْكُتَّابِ لِتَكُونَ مِثَالًا يَحْتَذِيهِ ٱلسَّالِكُ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ بَعْدَ مُطَالَعَةِ مَا سَبَقَ مِنَ ٱلْأَبْوَابِ وَخَتَمْتُهُ أَخِيرًا بِفِقَرٍ مُتَفَرِّقَةٍ نَقَلْتُهَا مِنْ كُتُبِهِمْ فِي مَعَانٍ شَتَّى مِنَ ٱلْوَصْفِ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِهَا ٱلْكَاتِبُ حَيْثُ ٱضْطُرَّ إِلَيْهَا أَوْ يَسْتَظْهِرَ بِهَا عَلَى ٱلذِّكْرَى فَيَهْتَدِيَ إِلَى تَرَاكِيبَ أُخَرَ مِمَّا يَجْرِي فِي أُسْلُوبِهِ عَلَيْهَا وَلَمَّا تَسَنَّى لِي جَمْعُهُ وَٱتَّسَقَ وَٱنْتَظَمَ شَمْلُ فَرَائِدِهِ عَلَى هٰذَا ٱلنَّسَقِ وَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْ حَضْرَةِ ٱلْعَالِمِ ٱلْعَلَّامَةِ وَٱلْأُسْتَاذِ ٱللُّغَوِيِّ ٱلْفَهَّامَةِ ٱلشَّيْخِ إِبْرٰهِيمَ ٱلْيَازِجِيِّ فَسَحَ ٱللهُ فِي مُدَّتِهِ وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَنْظُرَ فِيهِ قَبْلَ تَمْثِيلِهِ تَسْدِيدًا لِمَنْهَجِهِ وَتَدَارُكًا لِمَا سَقَطَ عَنِّي فِي بَعْضِ فُصُولِهِ فَجَاءَ بِحَمْدِ ٱللهِ كِتَابًا وَافِيَ ٱلْفَوَائِدِ صَافِيَ ٱلْمَوَارِدِ يَنْقَعُ عَلَى قِلَّةِ رَشْحِهِ غُلَّةَ ٱلصَّادِي وَيَنْفَعُ بِإِذْنِ ٱللهِ ٱلْبَادِيءَ وَٱلشَّادِيَ وَقَدْ سَمَّيْتُهُ دَلِيلَ ٱلْهَائِمِ فِي صِنَاعَةِ ٱلنَّاثِرِ وَٱلنَّاظِمِ وَأَنَا أَسْأَلُ ٱللهَ أَنْ يُفِيدَ بِهِ ٱلطُّلَّابَ وَيَجْعَلَهُ مُقَدِّمَةً لِخَاتِمَةِ ٱلثَّوَابِ بِمَنِّهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ

2-24-65 19A

(RECAP) 2267.16605.328 .1890

Digitized by Google

فهرس الكتاب

الباب الاول	صفحة
الفصل الاول في شرف العلم	١
الفصل الثاني فيما ينبغي لطالب العلم	٥
الفصل الثالث في اوائل العلم ومداخله	١١
الفصل الرابع فيما يجب على المعلم وفي وجه الصواب في تعليم الخ	١٢
الفصل الخامس في استعمال العلم	١٥
الفصل السادس فيما يجب ان يكون عليه العلماء من الاخلاق الخ	١٦
الباب الثاني	
الفصل الاول في اركان الكتابة	١٩
الفصل الثاني في ادوات الكتابة	٢١
الفصل الثالث في الصناعة اللفظية وهي قسمان	
القسم الاول في اللفظة المفردة	٢٤
القسم الثاني في الكلام	٣٣
الفصل الرابع في انقسام الكلام الى فنّي النظم والنثر	٤٠
الفصل الخامس في السجع	٤٤
الفصل السادس في كيفية عمل الشعر ووجه تعلمه	٤٨
الفصل السابع في الفصاحة والبلاغة وفيه قسمان	
القسم الاول في الفصاحة	٥٤
القسم الثاني في البلاغة	٥٨
الفصل الثامن في المبادئ والافتتاحات	٦١
الفصل التاسع في التخلص والاقتضاب	٦٨
الفصل العاشر في الختام	٧٥

Digitized by Google

القسم الأول

في أدب الكاتب وصناعته

وفيه بابان

الباب الأول

في آداب العلم والتعليم

وفيه ستة فصول

الفصل الأول

في شرف العلم

إعلم أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب. وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب. وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب. لأن شرفه يثمر على صاحبه. وفضله ينمي على طالبه. قال عبد الملك بن مروان لبنيه يا بني تعلموا العلم فإن كنتم سادة فقتم. وإن كنتم وسطا سدتم. وإن كنتم سوقة

غشتم. وقال بعض البلغاء تعلم العلم فإنه يقومك ويسددك صغيرا. ويقدمك ويسودك كبيرا. ويصلح زيغك وفاسدك. ويرغم عدوك وحاسدك. ويقوم عوجك وميلك. ويصحح همتك وأملك. وقال مصعب بن الزبير تعلم العلم فإن يكن لك مال كان لك جمالا. وإن لم يكن لك مال كان لك مالا. وقال يحيى بن خالد لابنه عليك بكل نوع من العلم فخذ منه فإن المرء عدو ما جهل وأنا أكره أن تكون عدو شيء من العلم. وأنشد

تفنن وخذ من كل علم فإنما
يفوق امرؤ في كل فن له علم
فأنت عدو للذي أنت جاهل
به ولعلم أنت تتقنه سلم

وقال بعض الأدباء كل عز لا يوطده علم مذلة وكل علم لا يؤيده عقل مضلة. وقال بعض علماء السلف إذا أراد الله بالناس خيرا جعل العلم في ملوكهم والملك في علمائهم. وقال بعض البلغاء العلم عصمة الملوك لأنه يمنعهم من الظلم. ويردهم إلى الحلم. ويصدهم عن

ٱلْأُبَّةِ . وَيَعْطِفُهُمْ عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ . فَمِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يَعْرِفُوا حَقَّهُ وَيَسْتَنْبِطُوا أَهْلَهُ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ٱلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ ٱلْمَالِ . ٱلْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ ٱلْمَالَ . ٱلْعِلْمُ حَاكِمٌ وَٱلْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ . مَاتَ خُزَّانُ ٱلْأَمْوَالِ وَبَقِيَ خُزَّانُ ٱلْعِلْمِ . أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ . وَأَشْخَاصُهُمْ فِي ٱلْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ

وَرُبَّمَا ٱمْتَنَعَ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ طَلَبِ ٱلْعِلْمِ لِكِبَرِ سِنِّهِ وَٱسْتِحْيَائِهِ مِنْ تَقْصِيرِهِ فِي صِغَرِهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ فِي كِبَرِهِ . فَرَضِيَ بِٱلْجَهْلِ أَنْ يَكُونَ مَوْسُومًا بِهِ وَآثَرَهُ عَلَى ٱلْعِلْمِ أَنْ يَصِيرَ مُبْتَدِئًا بِهِ . وَهٰذَا مِنْ خِدَاعِ ٱلْجَهْلِ وَغُرُورِ ٱلْكَسَلِ لِأَنَّ ٱلْعِلْمَ إِذَا كَانَ فَضِيلَةً فَرَغْبَةُ ذَوِي ٱلْأَسْنَانِ فِيهِ أَوْلَى وَٱلِٱبْتِدَاءُ بِٱلْفَضِيلَةِ فَضِيلَةٌ وَلَأَنْ يَكُونَ شَيْخًا مُتَعَلِّمًا أَوْلَى مِنْ أَنْ يَكُونَ شَيْخًا جَاهِلًا

وَرُبَّمَا ٱمْتَنَعَ أَيْضًا مِنْ طَلَبِ ٱلْعِلْمِ لِتَعَذُّرِ ٱلْمَادَّةِ وَشُغْلِهِ ٱكْتِسَابُهَا عَنِ ٱلْتِمَاسِ ٱلْعِلْمِ وَهٰذَا وَإِنْ كَانَ أَعْذَرَ مِنْ غَيْرِهِ مَعَ أَنَّهُ قَلَّمَا يَكُونُ ذٰلِكَ إِلَّا عِنْدَ ذِي شَرَهٍ وَعَيْبٍ وَشَهْوَةٍ مُسْتَعْبِدَةٍ فَيَنْبَغِي أَنْ يَصْرِفَ إِلَى ٱلْعِلْمِ حَظًّا مِنْ زَمَانِهِ فَلَيْسَ كُلُّ ٱلزَّمَانِ زَمَانَ ٱكْتِسَابٍ وَلَا بُدَّ لِلْمُكْتَسِبِ مِنْ أَوْقَاتِ ٱسْتِرَاحَةٍ وَأَيَّامِ عُطْلَةٍ وَمَنْ صَرَفَ كُلَّ نَفْسِهِ إِلَى ٱلْكَسْبِ حَتَّى

Digitized by Google

لَمْ يَتْرُكْ لَهَا فَرَاغًا إِلَى غَيْرِهِ فَهُوَ مِنْ عَبِيدِ الدُّنْيَا وَاسْرَاءِ الْحِرْصِ

وَرُبَّمَا مَنَعَهُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ مَا يَظُنُّهُ مِنْ صُعُوبَتِهِ وَبُعْدِ غَايَتِهِ وَيَخْشَى مِنْ قِلَّةِ ذِهْنِهِ وَبُعْدِ فِطْنَتِهِ وَهٰذَا الظَّنُّ اعْتِذَارُ ذَوِي النَّقْصِ وَخِيفَةُ أَهْلِ الْعَجْزِ لِأَنَّ الْإِخْبَارَ قَبْلَ الِاخْتِبَارِ جَهْلٌ وَالْخَشْيَةَ قَبْلَ الِابْتِلَاءِ عَجْزٌ. وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ

لَا تَكُونَنَّ لِلْأُمُورِ هَيُوبًا ... فَإِلَى خَيْبَةٍ يَصِيرُ الْهَيُوبُ

وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عِلْمُهُ. وَمِنْ عَزِيزٍ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لِبَنِيهِ يَا بَنِيَّ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنْ لَمْ تَنَالُوا بِهِ مِنَ الدُّنْيَا حَظًّا فَلَأَنْ يُذَمَّ الزَّمَانُ لَكُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُذَمَّ الزَّمَانُ بِكُمْ

وَيَنْبَغِي لِمَنْ زَهِدَ فِي الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ رَاغِبًا. وَلِمَنْ رَغِبَ فِيهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ طَالِبًا. وَلِمَنْ طَلَبَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ مُسْتَكْثِرًا. وَلِمَنِ اسْتَكْثَرَ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ بِهِ عَامِلًا. وَأَنْ لَا يَطْلُبَ لِتَرْكِهِ احْتِجَاجًا وَلَا لِلتَّقْصِيرِ فِيهِ عُذْرًا. وَلَا يُسَوِّفَ نَفْسَهُ بِالْمَوَاعِيدِ الْكَاذِبَةِ وَيُمَنِّيهَا بِانْقِطَاعِ الْأَشْغَالِ الْمُتَّصِلَةِ فَإِنَّ لِكُلِّ وَقْتٍ شُغْلًا. وَلِكُلِّ زَمَانٍ عُذْرًا. وَقَالَ الشَّاعِرُ

نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا ... وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقَضِي

تَمُوتُ مَعَ ٱلْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِي

وَأَنْ يَقْصِدَ طَلَبَ ٱلْعِلْمِ وَاثِقًا بِتَيْسِيرِ ٱللهِ قَاصِدًا وَجْهَ ٱللهِ تَعَالَى بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَعَزِيمَةٍ صَادِقَةٍ. وَهُوَ وَلِيُّ ٱلتَّوْفِيقِ

ٱلْفَصْلُ ٱلثَّانِي

فِيمَا يَنْبَغِي لِطَالِبِ ٱلْعِلْمِ

يَنْبَغِي لِطَالِبِ ٱلْعِلْمِ أَنْ لَا يَنِيَ فِي طَلَبِهِ. وَيَنْتَهِزَ ٱلْفُرْصَةَ بِهِ. فَرُبَّمَا شَحَّ ٱلزَّمَانُ بِمَا سَمَحَ. وَضَنَّ بِمَا مَنَحَ. وَيَبْتَدِئَ مِنَ ٱلْعِلْمِ بِأَوَّلِهِ. وَيَأْتِيَهُ مِنْ مَدْخَلِهِ. وَلَا يَتَشَاغَلَ بِطَلَبِ مَا لَا يَضُرُّهُ جَهْلُهُ. فَيَمْنَعَهُ ذٰلِكَ مِنْ إِدْرَاكِ مَا لَا يَسَعُهُ جَهْلُهُ. فَإِنَّ لِكُلِّ عِلْمٍ فُصُولًا مُذْهِلَةً. وَشُذُورًا مُشْغِلَةً. إِنْ صَرَفَ إِلَيْهَا نَفْسَهُ قَطَعَتْهُ عَمَّا هُوَ أَهَمُّ مِنْهَا. وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ ٱلْعِلْمُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ. وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ بِتَرْكِ مَا لَا يَعْنِيكَ. تُدْرِكُ مَا يُغْنِيكَ. وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوَهُ ذٰلِكَ إِلَى تَرْكِ مَا ٱسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ إِشْعَارًا لِنَفْسِهِ أَنَّ ذٰلِكَ مِنْ فُضُولِ عِلْمِهِ وَإِعْذَارًا لَهَا فِي تَرْكِ ٱلِٱشْتِغَالِ بِهِ فَإِنَّ ذٰلِكَ مَطِيَّةُ ٱلنَّوْكَى وَعُذْرُ ٱلْمُقَصِّرِينَ. وَمَنْ أَخَذَ مِنَ

ٱلْعِلْمِ مَا تَسَهَّلَ وَتَرَكَ مِنْهُ مَا تَعَذَّرَ كَانَ كَٱلْقَنَّاصِ إِذَا ٱمْتَنَعَ
عَلَيْهِ ٱلصَّيْدُ تَرَكَهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَّا خَائِبًا إِذْ لَيْسَ يَرَى ٱلصَّيْدَ
إِلَّا مُمْتَنِعًا كَذٰلِكَ ٱلْعِلْمُ كُلُّهُ صَعْبٌ عَلَى مَنْ جَهِلَهُ سَهْلٌ عَلَى
مَنْ عَلِمَهُ. لِأَنَّ مَعَانِيَهُ ٱلَّتِي يُتَوَصَّلُ إِلَيْهَا مُسْتَوْدَعَةٌ فِي كَلَامٍ
مُتَرْجَمٍ عَنْهَا وَكُلُّ كَلَامٍ مُسْتَعْمَلٍ فَهُوَ يَجْمَعُ لَفْظًا مَسْمُوعًا وَمَعْنًى
مَفْهُومًا فَٱللَّفْظُ كَلَامٌ يُعْقَلُ بِٱلسَّمْعِ وَٱلْمَعْنَى تَحْتَ ٱللَّفْظِ يُفْهَمُ
بِٱلْقَلْبِ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ. ٱلْعُلُومُ مَطَالِعُهَا مِنْ ثَلَاثَةِ
أَوْجُهٍ. قَلْبٍ مُفَكِّرٍ. وَلِسَانٍ مُعَبِّرٍ. وَبَيَانٍ مُصَوِّرٍ. فَمَنْ عَقَلَ
ٱلْكَلَامَ بِسَمْعِهِ فَهِمَ مَعَانِيَهُ بِقَلْبِهِ وَمَنْ فَهِمَ ٱلْمَعَانِيَ سَقَطَ عَنْهُ
كُلْفَةُ ٱسْتِخْرَاجِهَا وَبَقِيَ عَلَيْهِ مُعَانَاةُ حِفْظِهَا وَٱسْتِقْرَارِهَا لِأَنَّ
ٱلْمَعَانِيَ شَوَارِدُ تَضِلُّ بِٱلْإِغْفَالِ. وَٱلْعُلُومَ وَحْشِيَّةٌ تَنْفِرُ
بِٱلْإِرْسَالِ. فَإِذَا حَفِظَهَا بَعْدَ ٱلْفَهْمِ أَنِسَتْ. وَإِذَا ذَكَرَهَا بَعْدَ
ٱلْأُنْسِ رَسَتْ. وَقَالَ بَعْضُ ٱلْعُلَمَاءِ مَنْ أَكْثَرَ ٱلْمُذَاكَرَةَ
بِٱلْعِلْمِ لَمْ يَنْسَ مَا عَلِمَ وَٱسْتَفَادَ مَا لَمْ يَعْلَمْ. وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ

إِذَا لَمْ يُنَاكِرْ ذُو ٱلْعُلُومِ بِعِلْمِهِ ... وَلَمْ يَسْتَفِدْ عِلْمًا نَسِيَ مَا تَعَلَّمَا

فَكَمْ جَامِعٍ لِلْكُتْبِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ ... يَزِيدُ مَعَ ٱلْأَيَّامِ فِي جَمْعِهِ عَمَى

وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَ مَا سَمِعَ كَشَفَ عَنِ ٱلسَّبَبِ ٱلْمَانِعِ مِنْهَا

لِيَعْلَمَ ٱلْعِلَّةَ فِي تَعَذُّرِ فَهْمِهَا فَإِنَّ بِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ ٱلْأَشْيَاءِ وَعِلَلِهَا يُوصَلُ إِلَى تَلَافِي مَا شَذَّ وَصَلَاحِ مَا فَسَدَ وَلَيْسَ يَخْلُو ٱلسَّبَبُ ٱلْمَانِعُ مِنْ ذٰلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ فِي ٱلْكَلَامِ ٱلْمُتَرْجَمِ عَنْهَا وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ فِي ٱلْمَعْنَى ٱلْمُسْتَوْدَعِ فِيهِ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ فِي ٱلسَّامِعِ ٱلْمُسْتَخْرِجِ فَإِنْ كَانَ ٱلسَّبَبُ ٱلْمَانِعُ مِنْ فَهْمِهَا لِعِلَّةٍ فِي ٱلْكَلَامِ ٱلْمُتَرْجَمِ عَنْهَا لَمْ يَخْلُ ذٰلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ

أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ لِتَقْصِيرِ ٱللَّفْظِ عَنِ ٱلْمَعْنَى فَيَصِيرُ تَقْصِيرُ ٱللَّفْظِ عَنْ ذٰلِكَ ٱلْمَعْنَى سَبَبًا مَانِعًا مِنْ فَهْمِ ذٰلِكَ ٱلْمَعْنَى وَهٰذَا يَكُونُ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ . إِمَّا مِنْ حَصَرِ ٱلْمُتَكَلِّمِ وَعِيِّهِ . وَإِمَّا مِنْ بَلَادَتِهِ وَقِلَّةِ فَهْمِهِ

أَلْحَالُ ٱلثَّانِي أَنْ يَكُونَ لِزِيَادَةِ ٱللَّفْظِ عَلَى ٱلْمَعْنَى فَتَصِيرُ ٱلزِّيَادَةُ عِلَّةً مَانِعَةً مِنْ فَهْمِ ٱلْمَقْصُودِ مِنْهُ وَهٰذَا قَدْ يَكُونُ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ إِمَّا مِنْ هَذَرِ ٱلْمُتَكَلِّمِ وَإِكْثَارِهِ وَإِمَّا لِسُوءِ ظَنِّهِ بِفَهْمِ سَامِعِهِ ✗

وَٱلْحَالُ ٱلثَّالِثُ أَنْ يَكُونَ لِمُوَاضَعَةٍ يَقْصِدُهَا ٱلْمُتَكَلِّمُ بِكَلَامِهِ فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهَا ٱلسَّامِعُ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَهُ

Digitized by Google

وَأَمَّا تَقْصِيرُ ٱللَّفْظِ وَزِيَادَتُهُ فَمِنَ ٱلْأَسْبَابِ ٱلْخَاصَّةِ دُونَ ٱلْعَامَّةِ لِأَنَّكَ لَسْتَ تَجِدُ ذٰلِكَ عَامًّا فِي كُلِّ ٱلْكَلَامِ وَإِنَّمَا تَجِدُهُ فِي بَعْضِهِ. فَإِنْ عَدَلْتَ عَنِ ٱلْكَلَامِ ٱلْمُقَصَّرِ إِلَى ٱلْكَلَامِ ٱلْمُسْتَوْفِي وَعَنِ ٱلزَّائِدِ إِلَى ٱلْكَافِي أَرَحْتَ نَفْسَكَ مِنْ تَكَلُّفِ مَا يَكِدُّ خَاطِرَكَ. وَإِنْ أَقَمْتَ عَلَى ٱسْتِخْرَاجِهِ إِمَّا لِضَرُورَةٍ دَعَتْكَ إِلَيْهِ عِنْدَ إِعْوَازِ غَيْرِهِ أَوْ لِحَمِيَّةٍ دَاخَلَتْكَ عِنْدَ تَعَذُّرِ فَهْمِهِ فَٱنْظُرْ فِي سَبَبِ ٱلزِّيَادَةِ وَٱلتَّقْصِيرِ. فَإِنْ كَانَ ٱلتَّقْصِيرُ لِحَصَرٍ وَٱلزِّيَادَةُ لِهَذَرٍ سَهُلَ عَلَيْكَ ٱسْتِخْرَاجُ ٱلْمَعْنَى مِنْهُ لِأَنَّ مَا لَهُ مِنَ ٱلْكَلَامِ مَحْصُولٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ٱلْمُخْتَلُّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنَ ٱلصَّحِيحِ وَفِي ٱلْأَكْثَرِ عَلَى ٱلْأَقَلِّ دَلِيلٌ. وَإِنْ كَانَتْ زِيَادَةُ ٱللَّفْظِ عَلَى ٱلْمَعْنَى لِسُوءِ ظَنِّ ٱلْمُتَكَلِّمِ بِفَهْمِ ٱلسَّامِعِ كَانَ ٱسْتِخْرَاجُهُ أَسْهَلَ. وَإِنْ كَانَ تَقْصِيرُ ٱللَّفْظِ عَنِ ٱلْمَعْنَى لِسُوءِ فَهْمِ ٱلْمُتَكَلِّمِ فَهُوَ أَصْعَبُ ٱلْأُمُورِ حَالًا وَأَبْعَدُهَا ٱسْتِخْرَاجًا. لِأَنَّ مَا لَمْ يَفْهَمْهُ مُكَلِّمُكَ فَأَنْتَ مِنْ فَهْمِهِ أَبْعَدُ. إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِفَرْطِ ذَكَائِكَ وَجُودَةِ خَاطِرِكَ تَنْبَهُ بِإِشَارَتِهِ عَلَى ٱسْتِنْبَاطِ مَا عَجَزَ عَنْهُ وَٱسْتِخْرَاجِ مَا قَصَّرَ فِيهِ فَتَكُونُ فَضِيلَةُ ٱلِٱسْتِيفَاءِ لَكَ وَحَقُّ ٱلتَّقَدُّمِ لَهُ. فَهٰذَا تَعْلِيلُ مَا فِي ٱلْكَلَامِ مِنَ ٱلْأَسْبَابِ ٱلْمَانِعَةِ

Digitized by Google

مِنْ فَهْمِ مَعَانِيهِ

وَأَمَّا ٱلْمَانِعُ مِنْ حِفْظِهِ بَعْدَ تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ فَهُوَ ٱلنِّسْيَانُ ٱلْحَادِثُ عَنْ غَفْلَةِ ٱلتَّقْصِيرِ وَإِهْمَالِ ٱلتَّوَانِي فَيَنْبَغِي لِمَنْ بُلِيَ بِهِ أَنْ يَسْتَدْرِكَ تَقْصِيرَهُ بِكَثْرَةِ ٱلدَّرْسِ وَيُوقِظَ غَفْلَتَهُ بِإِدَامَةِ ٱلنَّظَرِ. فَقَدْ قِيلَ لَا يُدْرِكُ ٱلْعِلْمَ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرْسَهُ. وَيَكُدُّ نَفْسَهُ. وَكَثْرَةُ ٱلدَّرْسِ كَدٌّ لَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ يَرَى ٱلْعِلْمَ مَغْنَمًا. وَٱلْجَهَالَةَ مَغْرَمًا. فَيَحْتَمِلُ تَعَبَ ٱلدَّرْسِ لِيُدْرِكَ رَاحَةَ ٱلْعِلْمِ وَيَنْفِيَ عَنْهُ مَعَرَّةَ ٱلْجَهْلِ. فَإِنَّ نَيْلَ ٱلْعَظِيمِ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَعَلَى قَدْرِ ٱلرَّغْبَةِ تَكُونُ ٱلْمَطَالِبُ وَبِحَسَبِ ٱلرَّاحَةِ يَكُونُ ٱلتَّعَبُ. وَقَدْ قِيلَ طَلَبُ ٱلرَّاحَةِ قِلَّةُ ٱلِٱسْتِرَاحَةِ. وَرُبَّمَا ٱسْتَثْقَلَ ٱلْمُتَعَلِّمُ ٱلدَّرْسَ وَٱلْحِفْظَ وَٱتَّكَلَ بَعْدَ فَهْمِ ٱلْمَعَانِي عَلَى ٱلرُّجُوعِ إِلَى ٱلْكُتُبِ وَٱلْمُطَالَعَةِ فِيهَا عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ فَلَا يَكُونُ إِلَّا كَمَنْ أَطْلَقَ مَا صَادَهُ ثِقَةً بِٱلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ بَعْدَ ٱلِٱمْتِنَاعِ مِنْهُ فَلَا تُعْقِبُهُ ٱلثِّقَةُ إِلَّا خَجَلًا وَٱلتَّفْرِيطُ إِلَّا نَدَمًا. وَهٰذِهِ حَالٌ قَدْ يَدْعُو إِلَيْهَا أَحَدُ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ. إِمَّا ٱلضَّجَرُ مِنْ مُعَانَاةِ ٱلْحِفْظِ وَمُرَاعَاتِهِ وَطُولُ ٱلْأَمَلِ فِي ٱلتَّوَفُّرِ عَلَيْهِ عِنْدَ نَشَاطِهِ وَفَسَادُ ٱلرَّأْيِ فِي عَزِيمَتِهِ وَلَيْسَ يَعْلَمُ أَنَّ ٱلضَّجُورَ خَائِبٌ

Digitized by Google

وَأَنَّ الطَّوِيلَ الْأَمَلِ مَغْرُورٌ وَأَنَّ الْفَاسِدَ الرَّأْيِ مُصَابٌ.
وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي أَمْثَالِهَا حَرْفٌ فِي قَلْبِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ فِي كُتُبِكَ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ

عِلْمِي مَعِي حَيْثُمَا يَمَّمْتُ يَنْفَعُنِي
قَلْبِي وِعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِي
إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِي
أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

وَرُبَّمَا أَعْنَى الْمُتَعَلِّمُ بِالْحِفْظِ مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرٍ وَلَا فَهْمٍ حَتَّى يَصِيرَ حَافِظًا لِأَلْفَاظِ الْمَعَانِي قَيِّمًا بِتِلَاوَتِهَا وَهُوَ لَا يَتَصَوَّرُهَا وَلَا يَفْهَمُ مَا تَضَمَّنَهَا. يَرْوِي بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ وَيُخْبِرُ عَنْ غَيْرِ خُبْرَةٍ. وَرُبَّمَا أَعْتَمَدَ عَلَى حِفْظِهِ وَتَصَوُّرِهِ وَأَغْفَلَ تَقْيِيدَ الْعِلْمِ فِي كُتُبِهِ ثِقَةً بِمَا اسْتَقَرَّ فِي ذِهْنِهِ. وَهٰذَا خَطَأٌ مِنْهُ لِأَنَّ الشَّكْلَ مُعْتَرِضٌ وَالنِّسْيَانَ طَارِقٌ. وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ إِنَّ هٰذِهِ الْآدَابَ نَوَافِرُ تَنِدُّ عَنْ عَقْلِ الْأَذْهَانِ فَاجْعَلُوا الْكُتُبَ عَنْهَا حُمَاةً. وَالْأَقْلَامَ لَهَا رُعَاةً

وَأَمَّا الشُّرُوطُ الَّتِي يَتَوَفَّرُ بِهَا عِلْمُ الطَّالِبِ وَيَنْتَهِي مَعَهَا كَمَالُ الرَّاغِبِ. مَعَ مَا يُلَاحَظُ بِهِ مِنَ التَّوْفِيقِ وَيُمَدُّ بِهِ مِنَ

ٱلْمَعُونَةِ فَتِسْعَةُ شُرُوطٍ

أَحَدُهَا ٱلْعَقْلُ ٱلَّذِي يُدْرِكُ بِهِ حَقَائِقَ ٱلْأُمُورِ * وَٱلثَّانِي ٱلْفِطْنَةُ ٱلَّتِي يَتَصَوَّرُ بِهَا غَوَامِضَ ٱلْعُلُومِ * وَٱلثَّالِثُ ٱلذَّكَاءُ ٱلَّذِي يَسْتَقِرُّ بِهِ حِفْظُ مَا تَصَوَّرَهُ وَفَهِمَ مَا عَلِمَهُ * وَٱلرَّابِعُ ٱلشَّهْوَةُ ٱلَّتِي يَدُومُ بِهَا ٱلطَّلَبُ وَلَا يُسْرِعُ إِلَيْهِ ٱلْمَلَلُ * وَٱلْخَامِسُ ٱلِٱكْتِفَاءُ بِمَادَّةٍ تُغْنِيهِ عَنْ كُلَفِ ٱلطَّلَبِ * وَٱلسَّادِسُ ٱلْفَرَاغُ ٱلَّذِي يَكُونُ مَعَهُ ٱلتَّوَفُّرُ وَيَحْصُلُ بِهِ ٱلِٱسْتِكْثَارُ * وَٱلسَّابِعُ عَدَمُ ٱلْقَوَاطِعِ ٱلْمُذْهِلَةِ مِنْ هُمُومٍ وَأَمْرَاضٍ * وَٱلثَّامِنُ طُولُ ٱلْعُمْرِ وَٱتِّسَاعُ ٱلْمُدَّةِ لِيَنْتَهِيَ بِٱلِٱسْتِكْثَارِ إِلَى مَرَاتِبِ ٱلْكَمَالِ * وَٱلتَّاسِعُ ٱلظَّفَرُ بِعَالِمٍ سَمْحٍ بِعِلْمِهِ مُتَأَنٍّ فِي تَعْلِيمِهِ . فَإِذَا ٱسْتَكْمَلَ هٰذِهِ ٱلشُّرُوطَ ٱلتِّسْعَةَ فَهُوَ أَسْعَدُ طَالِبٍ وَأَنْجَحُ مُتَعَلِّمٍ . فَٱحْفَظْ وَبِٱللهِ ٱلتَّوْفِيقُ

ٱلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ

فِي أَوَائِلِ ٱلْعِلْمِ وَمَدَاخِلِهِ

وَٱعْلَمْ أَنَّ لِلْعُلُومِ أَوَائِلَ تُؤَدِّي إِلَى أَوَاخِرِهَا وَمَدَاخِلَ تُفْضِي إِلَى حَقَائِقِهَا . فَلْيَبْتَدِئْ طَالِبُ ٱلْعِلْمِ بِأَوَائِلِهَا لِيَنْتَهِيَ إِلَى

Digitized by Google

أواخرها وبمداخلها ليفضي إلى حقائقها. ولا يطلب الآخر قبل الأول. ولا الحقيقة قبل المدخل. فلا يدرك الآخر ولا يعرف الحقيقة لأن البناء على غير اساس لا يبنى. والثمر من غير غرس لا يجنى

(من كتاب ادب الدنيا والدين)

الفصل الرابع

فيما يجب على المعلم وفي وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادته

إعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا يلقي عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية وضعيفة وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله. ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهي إلى آخر

ٱلْفَنِّ فَتَجُودُ مَلَكَتُهُ. ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ وَقَدْ شَدَا فَلَا يَتْرُكُ عَوِيصًا وَلَا مُهِمًّا وَلَا مُغْلَقًا إِلَّا وَضَّحَهُ وَفَتَحَ لَهُ مُقْفَلَهُ فَيَخْلُصُ مِنَ ٱلْفَنِّ وَقَدِ ٱسْتَوْلَى عَلَى مَلَكَتِهِ. هٰذَا وَجْهُ ٱلتَّعْلِيمِ ٱلْمُفِيدِ وَهُوَ كَمَا رَأَيْتَ إِنَّمَا يَحْصُلُ فِي ثَلَاثِ تَكْرَارَاتٍ وَقَدْ يَحْصُلُ لِلْبَعْضِ فِي أَقَلَّ مِنْ ذٰلِكَ بِحَسَبِ مَا يُخْلَقُ لَهُ وَيَتَيَسَّرُ عَلَيْهِ. وَقَدْ شَاهَدْنَا كَثِيرًا مِنَ ٱلْمُعَلِّمِينَ لِهٰذَا ٱلْعَهْدِ ٱلَّذِي أَدْرَكْنَا يَجْهَلُونَ طُرُقَ ٱلتَّعْلِيمِ وَإِفَادَتِهِ وَيُحْضِرُونَ ٱلْمُتَعَلِّمَ فِي أَوَّلِ تَعْلِيمِهِ ٱلْمَسَائِلَ ٱلْمُقْفَلَةَ مِنَ ٱلْعِلْمِ وَيُطَالِبُونَهُ بِإِحْضَارِ ذِهْنِهِ فِي حَلِّهَا وَيَحْسَبُونَ ذٰلِكَ مَرَانَةً عَلَى ٱلتَّعْلِيمِ وَصَوَابًا فِيهِ وَيُكَلِّفُونَهُ وَعْيَ ذٰلِكَ وَتَحْصِيلَهُ وَيُخْلِطُونَ عَلَيْهِ بِمَا يُلْقُونَ لَهُ مِنْ غَايَاتِ ٱلْفُنُونِ فِي مَبَادِئِهَا وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدَّ لِفَهْمِهَا. فَإِنَّ قَبُولَ ٱلْعِلْمِ وَٱلِٱسْتِعْدَادَاتِ لِفَهْمِهِ تَنْشَأُ تَدْرِيجًا وَيَكُونُ ٱلْمُتَعَلِّمُ أَوَّلَ ٱلْأَمْرِ عَاجِزًا عَنِ ٱلْفَهْمِ بِٱلْجُمْلَةِ إِلَّا فِي ٱلْأَقَلِّ وَعَلَى سَبِيلِ ٱلتَّقْرِيبِ وَٱلْإِجْمَالِ وَبِٱلْأَمْثَالِ ٱلْحِسِّيَّةِ ثُمَّ لَا يَزَالُ ٱلِٱسْتِعْدَادُ فِيهِ يَتَدَرَّجُ قَلِيلًا قَلِيلًا بِمُخَالَفَةِ مَسَائِلِ ذٰلِكَ ٱلْفَنِّ وَتَكْرَارِهَا عَلَيْهِ وَٱلِٱنْتِقَالِ فِيهَا مِنَ ٱلتَّقْرِيبِ إِلَى ٱلِٱسْتِيعَابِ ٱلَّذِي فَوْقَهُ حَتَّى تَتِمَّ ٱلْمَلَكَةُ فِي ٱلِٱسْتِعْدَادِ ثُمَّ فِي ٱلتَّحْصِيلِ وَيُحِيطَ هُوَ بِمَسَائِلِ ٱلْفَنِّ. وَإِذَا

ألقيت عليه الغايات في البدآءات وهو حينئذٍ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه وإنما أتى ذلك من سوء التعليم. ولا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي أكب على التعلم منه بحسب طاقته وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتدئًا كان أو منتهيًا ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من أوله إلى آخره ويحصل أغراضه ويستولي منه على ملكة بها ينفذ في غيره لأن المتعلم إذا حصل ملكة ما في علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي وحصل له نشاط في طلب المزيد والنهوض إلى ما فوق حتى يستولي على غايات العلم. وإذا خلط عليه الأمر عجز عن الفهم وأدركه الكلال وانطمس فكره ويئس من التحصيل وهجر العلم والتعليم. والله يهدي من يشاء. وكذلك ينبغي لك أن لا تطول على المتعلم في الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض فيعسر حصول الملكة بتفريقها. وإذا كانت أوائل

ٱلْعِلْمِ وَأَوَاخِرُهُ حَاضِرَةً عِنْدَ ٱلْفِكْرَةِ مُجَانِبَةً لِلنِّسْيَانِ كَانَتِ ٱلْمَلَكَةُ أَيْسَرَ حُصُولًا وَأَحْكَمَ ٱرْتِبَاطًا وَأَقْرَبَ صَبْغَةً لِأَنَّ ٱلْمَلَكَاتِ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِتَتَابُعِ ٱلْفِعْلِ وَتَكْرَارِهِ وَإِذَا تَنُوسِيَ ٱلْفِعْلُ تَنُوسِيَتِ ٱلْمَلَكَةُ ٱلنَّاشِئَةُ عَنْهُ وَٱللهُ عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ. وَمِنَ ٱلْمَذَاهِبِ ٱلْحَمِيدَةِ وَٱلطُّرُقِ ٱلْوَاجِبَةِ فِي ٱلتَّعْلِيمِ أَنْ لَا يُخْلَطَ عَلَى ٱلْمُتَعَلِّمِ عِلْمَانِ مَعًا فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ قَلَّ أَنْ يَظْفَرَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَا فِيهِ مِنْ تَقْسِيمِ ٱلْبَالِ وَٱنْصِرَافِهِ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى تَفَهُّمِ ٱلْآخَرِ فَيَسْتَغْلِقَانِ مَعًا وَيَسْتَصْعِبَانِ وَيَعُودُ مِنْهُمَا بِٱلْخَيْبَةِ. وَإِذَا تَفَرَّغَ ٱلْفِكْرُ لِتَعْلِيمِ مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مُقْتَصِرًا عَلَيْهِ فَرُبَّمَا كَانَ ذٰلِكَ أَجْدَرَ لِتَحْصِيلِهِ وَٱللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ٱلْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ

(عن ابن خلدون)

ٱلْفَصْلُ ٱلْخَامِسُ

في استعمال العلم

قَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاءِ ثَمَرَةُ ٱلْعِلْمِ أَنْ يُعْمَلَ بِهِ. وَثَمَرَةُ ٱلْعَمَلِ أَنْ يُؤْجَرَ عَلَيْهِ. وَقِيلَ مِنْ تَمَامِ ٱلْعِلْمِ ٱسْتِعْمَالُهُ. وَمِنْ تَمَامِ ٱلْعَمَلِ ٱسْتِقْلَالُهُ. فَمَنِ ٱسْتَعْمَلَ عِلْمَهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ رَشَادٍ.

Digitized by Google

وَمَنِ ٱسْتَقَلَّ عَمَلَهُ لَمْ يُقَصِّرْ عَنْ مُرَادِهِ. وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ ٱلطَّائِيُّ

وَلَمْ يَحْمَدُوا مِنْ عَالِمٍ غَيْرِ عَامِلٍ خَلَاقًا وَلَا مِنْ عَامِلٍ غَيْرِ عَالِمِ

رَأَوْا طُرُقَاتِ ٱلْعَجْزِ عُوجًا فَظِيعَةً وَأَفْظَعُ عَجْزٍ عِنْدَهُمْ عَجْزُ حَازِمِ

وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ ٱلْحِكَمِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ مَنْ تَرَكَ ٱلْعَمَلَ بِهِ.

وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ ٱلْحِكَمِ أَيْضًا ٱلنَّارُ لَا يَنْقُصُهَا مَا أُخِذَ مِنْهَا وَلٰكِنْ يُخْمِدُهَا أَنْ لَا تَجِدَ حَطَبًا كَذٰلِكَ ٱلْعِلْمُ لَا يُفْنِيهِ ٱلِٱقْتِبَاسُ وَلٰكِنَّ فَقْدَ ٱلْحَامِلِينَ لَهُ سَبَبُ عَدَمِهِ. فَإِيَّاكَ وَٱلْبُخْلَ بِمَا تَعْلَمُ

ٱلْفَصْلُ ٱلسَّادِسُ

فِيمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ ٱلْعُلَمَاءُ مِنَ ٱلْأَخْلَاقِ ٱلْجَدِيرَةِ بِهِمْ

أَمَّا مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ ٱلْعُلَمَاءُ مِنَ ٱلْأَخْلَاقِ ٱلَّتِي بِهِمْ أَلْيَقُ وَلَهُمْ أَلْزَمُ فَٱلتَّوَاضُعُ وَمُجَانَبَةُ ٱلْعُجْبِ. لِأَنَّ ٱلتَّوَاضُعَ عَطُوفٌ وَٱلْعُجْبَ مُنَفِّرٌ وَهُوَ بِكُلِّ أَحَدٍ قَبِيحٌ وَبِٱلْعُلَمَاءِ أَقْبَحُ لِأَنَّ ٱلنَّاسَ بِهِمْ يَقْتَدُونَ. وَكَثِيرًا مَا يُدَاخِلُهُمُ ٱلْإِعْجَابُ لِتَوَحُّدِهِمْ بِفَضِيلَةِ ٱلْعِلْمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ نَظَرُوا حَقَّ ٱلنَّظَرِ وَعَمِلُوا بِمُوجَبِ ٱلْعِلْمِ لَكَانَ ٱلتَّوَاضُعُ بِهِمْ أَوْلَى وَمُجَانَبَةُ ٱلْعُجْبِ بِهِمْ أَحْرَى لِأَنَّ ٱلْعُجْبَ نَقْصٌ يُنَافِي ٱلْفَضْلَ وَيَأْكُلُ ٱلْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ

Digitized by Google

ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ فَلَا بَقِيَ مَا أَدْرَكُوهُ مِنْ فَضِيلَةِ ٱلْعِلْمِ بِمَا لَحِقَهُمْ مِنْ نَقْصِ ٱلْعُجْبِ * وَقَالَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ تَعَلَّمُوا ٱلْعِلْمَ وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ ٱلسَّكِينَةَ وَٱلْحِلْمَ وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ وَلْيَتَوَاضَعْ لَكُمْ مَنْ تُعَلِّمُونَهُ وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ ٱلْعُلَمَآءِ فَلَا يَقُومُ عِلْمُكُمْ بِجَهْلِكُمْ * وَقَالَ ٱلشَّعْبِيُّ ٱلْعِلْمُ ثَلَاثَةُ أَشْبَارٍ فَمَنْ نَالَ مِنْهُ شِبْرًا شَمَخَ بِأَنْفِهِ وَظَنَّ أَنَّهُ نَالَهُ · وَمَنْ نَالَ ٱلشِّبْرَ ٱلثَّانِيَ صَغُرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَنَلْهُ · وَأَمَّا ٱلشِّبْرُ ٱلثَّالِثُ فَهَيْهَاتَ لَا يَنَالُهُ أَحَدٌ أَبَدًا

وَمِنْ أَوْضَحِ ذٰلِكَ بَيَانًا ٱسْتِعَاذَةُ ٱلْجَاحِظِ فِي كِتَابِ ٱلْبَيَانِ حَيْثُ يَقُولُ ٱللّٰهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ ٱلْقَوْلِ كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ ٱلْعَمَلِ · وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلتَّكَلُّفِ لِمَا لَا نُحْسِنُ كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْعُجْبِ بِمَا نُحْسِنُ · وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ٱلسَّلَاطَةِ وَٱلْهَذَرِ كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ٱلْعِيِّ وَٱلْحَصَرِ * وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَآءِ مِنَ ٱلْعِلْمِ أَنْ لَا تَتَكَلَّمَ فِيمَا لَا تَعْلَمُ بِكَلَامِ مَنْ يَعْلَمُ فَحَسْبُكَ جَهْلًا مِنْ عَقْلِكَ أَنْ تَنْطِقَ بِمَا لَا تَفْهَمُ · وَلَقَدْ أَحْسَنَ زُرَارَةُ بْنُ زَيْدٍ حَيْثُ يَقُولُ

إِذَا مَا ٱنْتَهَى عِلْمِي تَنَاهَيْتُ عِنْدَهُ أَطَالَ فَأَمْلَى أَوْ تَنَاهَى فَأَقْصَرَا

Digitized by Google

وَيُخْبِرُنِي عَنْ غَائِبِ ٱلْمَرْءِ فِعْلُهُ
كَفَى ٱلْفِعْلُ عَمَّا غَيَّبَ ٱلْمَرْءُ مُخْبِرَا

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاءِ مِنْ فَضْلِ عِلْمِكَ ٱسْتِقْلَالُكَ لِعِلْمِكَ وَمِنْ كَمَالِ عَقْلِكَ ٱسْتِظْهَارُكَ عَلَى عَقْلِكَ · وَلَا يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَجْهَلَ مِنْ نَفْسِهِ مَبْلَغَ عِلْمِهَا وَلَا يَتَجَاوَزَ بِهَا قَدْرَ حَقِّهَا وَلَأَنْ يَكُونَ بِهَا مُقَصِّرًا فَيُذْعِنَ بِٱلِٱنْقِيَادِ أَوْلَى مِنْ أَنْ يَكُونَ بِهَا مُجَاوِزًا فَيُكَفَّ عَنِ ٱلِٱزْدِيَادِ لِأَنَّ مَنْ جَهِلَ حَالَ نَفْسِهِ كَانَ لِغَيْرِهَا أَجْهَلَ * وَقَدْ قَسَمَ ٱلْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ أَحْوَالَ ٱلنَّاسِ فِيمَا عَلِمُوهُ أَوْ جَهِلُوهُ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ مُتَقَابِلَةٍ لَا يَخْلُو ٱلْإِنْسَانُ مِنْهَا . فَقَالَ ٱلرِّجَالُ أَرْبَعَةٌ رَجُلٌ يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي فَذٰلِكَ عَالِمٌ فَٱسْأَلُوهُ · وَرَجُلٌ يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي فَذٰلِكَ نَاسٍ فَذَكِّرُوهُ · وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي فَذٰلِكَ مُسْتَرْشِدٌ فَأَرْشِدُوهُ · وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي فَذٰلِكَ جَاهِلٌ فَٱرْفُضُوهُ * وَأَنْشَدَ أَبُو ٱلْقَاسِمِ ٱلْآمِدِيُّ

إِذَا كُنْتَ لَا تَدْرِي وَلَمْ تَكُ بِٱلَّذِي
يُسَائِلُ مَنْ يَدْرِي فَكَيْفَ إِذَنْ تَدْرِي

(من كتاب ادب الدنيا والدين)

Digitized by Google

الباب الثاني

وَفِيهِ عَشَرَةُ فُصُولٍ

أَلْفَصْلُ ٱلْأَوَّلُ

فِي أَرْكَانِ ٱلْكِتَابَةِ

إِعْلَمْ أَنَّ أَرْكَانَ ٱلْكِتَابَةِ ٱلَّتِي لَا بُدَّ مِنْ مُرَاعَاتِهَا فِي كُلِّ كِتَابٍ بَلَاغِيٍّ ذِي شَأْنٍ ثَلَاثَةٌ

أَلْأَوَّلُ أَنْ يَكُونَ مَطْلَعُ ٱلْكِتَابِ عَلَيْهِ حِدَّةٌ وَرَشَاقَةٌ فَإِنَّ ٱلْكَاتِبَ مَنْ أَجَادَ ٱلْمَطْلَعَ وَٱلْمَقْطَعَ. أَوْ يَكُونَ مَبْنِيًّا عَلَى مَقْصَدِ ٱلْكِتَابِ وَلِهٰذَا بَابٌ يُسَمَّى بَابَ ٱلْمَبَادِئِ وَٱلِٱفْتِتَاحَاتِ (١) فَلْيُحْذَ حَذْوُهُ وَهٰذَا ٱلرُّكْنُ يَشْتَرِكُ فِيهِ ٱلْكَاتِبُ وَٱلشَّاعِرُ

أَلرُّكْنُ ٱلثَّانِي أَنْ يَكُونَ خُرُوجُ ٱلْكَاتِبِ مِنْ مَعْنًى إِلَى مَعْنًى بِرَابِطَةٍ لِتَكُونَ رِقَابُ ٱلْمَعَانِي آخِذًا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَلَا تَكُونَ مُقْتَضَبَةً وَلِذٰلِكَ بَابٌ مُفْرَدٌ أَيْضًا يُسَمَّى بَابَ ٱلتَّخَلُّصِ وَٱلِٱقْتِضَابِ (٢). وَهٰذَا ٱلرُّكْنُ أَيْضًا يَشْتَرِكُ فِيهِ ٱلْكَاتِبُ وَٱلشَّاعِرُ

---

١ انظر الفصل الثامن من هذا الباب ٢ انظر الفصل التاسع من هذا الباب

Digitized by Google

الرُّكْنُ الثَّالِثُ أَنْ تَكُونَ أَلْفَاظُ الْكِتَابِ غَيْرَ مُخْلَقَةٍ بِكَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ. وَلَا أُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ تَكُونَ أَلْفَاظًا غَرِيبَةً فَإِنَّ ذَلِكَ عَيْبٌ فَاحِشٌ بَلْ أُرِيدُ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ الْمُسْتَعْمَلَةُ مَسْبُوكَةً سَبْكًا غَرِيبًا يَظُنُّ السَّامِعُ أَنَّهَا غَيْرُ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَهِيَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ. وَهُنَاكَ مُعْتَرَكُ الْفَصَاحَةِ الَّذِي تُظْهِرُ فِيهِ الْخَوَاطِرُ بَرَاعَتَهَا وَالْأَقْلَامُ شَجَاعَتَهَا كَمَا قَالَ الْبُحْتُرِيُّ

بِاللَّفْظِ يَقْرُبُ فَهْمُهُ فِي بُعْدِهِ عَنَّا وَيَبْعُدُ نَيْلُهُ فِي قُرْبِهِ

وَهٰذَا الْمَوْضِعُ بَعِيدُ الْمَنَالِ كَثِيرُ الْإِشْكَالِ يَحْتَاجُ إِلَى لُطْفِ ذَوْقٍ وَشَهَامَةِ خَاطِرٍ وَهُوَ شَبِيهٌ بِالشَّيْءِ الَّذِي يُقَالُ إِنَّهُ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَ الْعَالَمِ. فَلَفْظُهُ هُوَ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ وَلَيْسَ بِالَّذِي يُسْتَعْمَلُ أَيْ إِنَّ مُفْرَدَاتِ أَلْفَاظِهِ هِيَ الْمُسْتَعْمَلَةُ الْمَأْلُوفَةُ وَلٰكِنَّ سَبْكَهُ وَتَرْكِيبَهُ هُوَ الْغَرِيبُ الْعَجِيبُ. وَإِذَا سَمَوْتَ أَيُّهَا الْكَاتِبُ إِلَى هٰذِهِ الدَّرَجَةِ وَاسْتَطْعَمْتَ طَعْمَ هٰذَا الْكَلَامِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ عَلِمْتَ حِينَئِذٍ أَنَّهُ كَالرُّوحِ السَّاكِنَةِ فِي بَدَنِكَ الَّتِي قَالَ اللّٰهُ فِيهَا قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي. وَلَيْسَ كُلُّ خَاطِرٍ بِرَاقٍ إِلَى هٰذِهِ الدَّرَجَةِ ذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ

يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. وَمَعَ هٰذَا فَلَا تَظُنَّ أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي كِتَابِي أَنِّي أَرَدْتُ بِهٰذَا الْقَوْلِ إِهْمَالَ جَانِبِ الْمَعَانِي بِحَيْثُ يُؤْتَى بِاللَّفْظِ الْمَوْصُوفِ بِصِفَاتِ الْحُسْنِ وَالْمَلَاحَةِ وَلَا يَكُونُ تَحْتَهُ مِنَ الْمَعْنَى مَا يُمَاثِلُهُ وَيُسَاوِيهِ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ كَذٰلِكَ كَانَ كَصُورَةٍ حَسَنَةٍ بَدِيعَةٍ فِي حُسْنِهَا إِلَّا أَنَّ صَاحِبَهَا بَلِيدٌ أَبْلَهُ. وَهٰذَا الرُّكْنُ أَيْضًا يَشْتَرِكُ فِيهِ الْكَاتِبُ وَالشَّاعِرُ

(انتهى عن المثل السائر ببعض تصرُّف)

الْفَصْلُ الثَّانِي

فِي أَدَوَاتِ الْكِتَابَةِ

قَالَ إِبْرٰهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِيُّ إِنْ كَانَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ طَلَبِ أَدَوَاتِ الْكِتَابَةِ فَتَصَفَّحْ مِنْ رَسَائِلِ الْمُتَقَدِّمِينَ مَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ وَمِنْ رَسَائِلِ الْمُتَأَخِّرِينَ مَا يُرْجَعُ إِلَيْهِ وَمِنْ نَوَادِرِ الْكَلَامِ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ وَمِنَ الْأَشْعَارِ وَالْأَخْبَارِ وَالسِّيَرِ وَالْأَسْمَاءِ مَا يَتَّسِعُ بِهِ مَنْطِقُكَ وَيَطُولُ بِهِ قَلَمُكَ. وَانْظُرْ فِي كُتُبِ الْمَقَامَاتِ وَالْخُطَبِ وَمُجَاوَبَةِ الْعَرَبِ فِي حُرُوبِهِمْ وَأَمْثَالِ الْفُرْسِ وَرَسَائِلِهِمْ وَعُهُودِهِمْ وَسِيَرِهِمْ وَوَقَائِعِهِمْ

Digitized by Google

وَمَكَايِدِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ مُتَوَسِّطًا عِلْمَ ٱلنَّحْوِ وَٱلْغَرِيبِ وَكُتُبَ ٱلسِّجِلَّاتِ وَٱلْأَمَانَاتِ لِتَكُونَ مَاهِرًا تَنْتَزِعُ آيَ ٱلْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعِهَا وَٱخْتِلَافَ ٱلْأَمْثَالِ فِي أَمَاكِنِهَا وَقَرْضَ ٱلشِّعْرِ ٱلْجَيِّدِ وَعِلْمَ ٱلْعُرُوضِ فَإِنَّ تَضْمِينَ ٱلْمَثَلِ ٱلسَّائِرِ وَٱلْبَيْتِ ٱلْغَابِرِ ٱلْبَارِعِ مِمَّا يَزِينُ كِتَابَكَ مَا لَمْ تُخَاطِبْ خَلِيفَةً أَوْ مَلِكًا جَلِيلَ ٱلْقَدْرِ فَإِنَّ ٱجْتِلَابَ ٱلشِّعْرِ فِي كُتُبِ ٱلْخُلَفَاءِ عَيْبٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ٱلْكَاتِبُ هُوَ ٱلْقَارِضَ لِلشِّعْرِ وَٱلصَّانِعَ لَهُ فَإِنَّ ذٰلِكَ يَزِيدُ فِي أُبَّهَتِهِ

وَإِذَا ٱحْتَجْتَ إِلَى مُخَاطَبَةِ ٱلْمُلُوكِ وَٱلْوُزَرَاءِ وَٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْكُتَّابِ وَٱلْخُطَبَاءِ وَٱلْأُدَبَاءِ وَٱلشُّعَرَاءِ وَأَوْسَاطِ ٱلنَّاسِ وَسُوقَتِهِمْ فَخَاطِبْ كُلًّا عَلَى قَدْرِ أُبَّهَتِهِ وَجَلَالَتِهِ وَعُلُوِّهِ وَٱرْتِفَاعِهِ وَفِطْنَتِهِ وَٱنْتِبَاهِهِ وَتَخَيَّرْ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ أَرْجَحَهَا لَفْظًا وَأَجْزَلَهَا وَأَشْرَفَهَا جَوْهَرًا وَأَكْرَمَهَا حَسَبًا وَأَلْيَقَهَا فِي مَكَانِهَا وَأَشْكَلَهَا فِي مَوْضِعِهَا فَإِنْ حَاوَلَتْ صُنْعَ رِسَالَةٍ فَزِنِ ٱللَّفْظَةَ قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَهَا بِمِيزَانِ ٱلتَّصْرِيفِ إِذَا عَرَضَتْ وَعَايِرِ ٱلْكَلِمَةَ بِمِعْيَارِهَا إِذَا سَنَحَتْ فَإِنَّهُ رُبَّمَا مَرَّ بِكَ مَوْضِعٌ يَكُونُ مُخْرَجُ ٱلْكَلَامِ فِيهِ إِذَا كَتَبْتَ أَنَا فَاعِلٌ أَحْسَنَ مِنْ أَنْ تَكْتُبَ أَنَا

أَفْعَلُ وَمَوْضِعٌ آخَرُ يَكُونُ فِيهِ اسْتَفْعَلْتُ أَحْلَى مِنْ فَعَلْتُ .
فَأَدِرِ الْكَلَامَ عَلَى أَعْكَانِهِ وَقَلِّبْهُ عَلَى جَمِيعِ وُجُوهِهِ فَأَيُّ لَفْظَةٍ
رَأَيْتَهَا لَائِقَةً بِالْمَكَانِ الَّذِي نَدَبْتَهَا إِلَيْهِ فَانْزِعْهَا إِلَى الْمَكَانِ
الَّذِي أَرَدْتَهَا لَهُ وَأَوْقِعْهَا فِيهِ وَلَا تَجْعَلِ اللَّفْظَةَ قَلِقَةً فِي
مَوْضِعِهَا نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا فَإِنَّكَ مَتَى فَعَلْتَ هَجَّنْتَ الْمَوْضِعَ
الَّذِي حَاوَلْتَ تَحْسِينَهُ وَأَفْسَدْتَ الْمَكَانَ الَّذِي أَرَدْتَ
إِصْلَاحَهُ . فَإِنَّ وَضْعَ الْأَلْفَاظِ فِي غَيْرِ أَمَاكِنِهَا وَقَصْدَكَ بِهَا
إِلَى غَيْرِ مَصَابِّهَا إِنَّمَا هُوَ كَتَرْقِيعِ الثَّوْبِ الَّذِي لَمْ تُشَابِهْ
رِقَاعُهُ وَلَمْ تَتَقَارَبْ أَجْزَاؤُهُ وَخَرَجَ مِنْ حَدِّ الْجِدَّةِ وَتَغَيَّرَ
حُسْنُهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ

إِنَّ الْجَدِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلَقٍ
يُبِينُ لِلنَّاسِ أَنَّ الثَّوْبَ مَرْقُوعُ

كَذَلِكَ كُلَّمَا أَحْلَوْلَى الْكَلَامُ وَعَذُبَ وَرَاقَ وَسَهُلَتْ
مَخَارِجُهُ كَانَ أَسْهَلَ وُلُوجًا فِي الْأَسْمَاعِ وَأَشَدَّ اتِّصَالًا بِالْقُلُوبِ
وَأَخَفَّ عَلَى الْأَفْوَاهِ وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْمَعْنَى الْبَدِيعُ مُتَرْجَمًا
بِلَفْظٍ مُؤْنِقٍ شَرِيفٍ وَمُعَايَرًا بِكَلَامٍ عَذْبٍ لَمْ يَسِمْهُ التَّكْلِيفُ
بِمِيسَمِهِ وَلَمْ يُفْسِدْهُ التَّعْقِيدُ بِاسْتِهْلَاكِهِ

وَقَدْ رَأَيْتُهُمْ شَبَّهُوا ٱلْمَعْنَى ٱلْخَفِيَّ بِٱلرُّوحِ ٱلْخَفِيِّ وَٱللَّفْظَ ٱلظَّاهِرَ بِٱلْجُثْمَانِ ٱلظَّاهِرِ وَإِذَا لَمْ يَنْهَضْ بِٱلْمَعْنَى ٱلشَّرِيفِ ٱلْجَزْلِ لَفْظٌ شَرِيفٌ جَزْلٌ لَمْ تَكُنِ ٱلْعِبَارَةُ وَاضِحَةً وَلَا ٱلنِّظَامُ مُتَّسِقًا وَتَضَاءَلَ ٱلْمَعْنَى ٱلْحَسَنُ تَحْتَ ٱللَّفْظِ ٱلْقَبِيحِ كَتَضَاؤُلِ ٱلْحَسْنَاءِ فِي ٱلْأَطْمَارِ ٱلرَّثَّةِ (انتهى ملخصًا عن العقد الفريد)

ٱلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ

فِي ٱلصِّنَاعَةِ ٱللَّفْظِيَّةِ وَهِيَ قِسْمَانِ

ٱلْقِسْمُ ٱلْأَوَّلُ

فِي ٱللَّفْظَةِ ٱلْمُفْرَدَةِ

إِعْلَمْ أَنَّهُ يَحْتَاجُ صَاحِبُ هٰذِهِ ٱلصِّنَاعَةِ فِي تَأْلِيفِهِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ. ٱلْأَوَّلُ مِنْهَا ٱخْتِيَارُ ٱلْأَلْفَاظِ ٱلْمُفْرَدَةِ. وَحُكْمُ ذٰلِكَ حُكْمُ ٱللَّآلِئِ ٱلْمُبَدَّدَةِ فَإِنَّهَا تُخَيَّرُ وَتُنْتَقَى قَبْلَ ٱلنَّظْمِ. ٱلثَّانِي نَظْمُ كُلِّ كَلِمَةٍ مَعَ أُخْتِهَا فِي ٱلْمُشَاكَلَةِ لَهَا لِئَلَّا يَجِيءَ ٱلْكَلَامُ قَلِقًا نَافِرًا عَنْ مَوَاضِعِهِ وَحُكْمُ ذٰلِكَ حُكْمُ ٱلْعِقْدِ ٱلْمَنْظُومِ فِي ٱقْتِرَانِ كُلِّ لُؤْلُؤَةٍ مِنْهُ بِأُخْتِهَا ٱلْمُشَاكِلَةِ لَهَا. ٱلثَّالِثُ ٱلْغَرَضُ

ٱلْمَقْصُودُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْكَلَامِ عَلَى ٱخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ وَحُكْمُ ذٰلِكَ حُكْمُ ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي يُوضَعُ فِيهِ ٱلْعِقْدُ ٱلْمَنْظُومُ فَتَارَةً يُجْعَلُ إِكْلِيلًا عَلَى ٱلرَّأْسِ وَتَارَةً يُجْعَلُ قِلَادَةً فِي ٱلْعُنُقِ وَتَارَةً يُجْعَلُ شَنْفًا فِي ٱلْأُذُنِ وَلِكُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلْمَوَاضِعِ هَيْئَةٌ مِنَ ٱلْحُسْنِ تَخُصُّهُ · فَهٰذِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَا بُدَّ لِلْخَطِيبِ وَٱلشَّاعِرِ مِنَ ٱلْعِنَايَةِ بِهَا وَهِيَ ٱلْأَصْلُ ٱلْمُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي تَأْلِيفِ ٱلْكَلَامِ مِنَ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ · فَٱلْأَوَّلُ وَٱلثَّانِي مِنْ هٰذِهِ ٱلثَّلَاثَةِ ٱلْمَذْكُورَةِ هُمَا ٱلْمُرَادُ بِٱلْفَصَاحَةِ · وَٱلثَّلَاثَةُ بِجُمْلَتِهَا هِيَ ٱلْمُرَادُ بِٱلْبَلَاغَةِ · وَهٰذَا ٱلْمَوْضِعُ يَضِلُّ فِي سُلُوكِ طَرِيقِهِ ٱلْعُلَمَاءُ بِصِنَاعَةِ صَوْغِ ٱلْكَلَامِ مِنَ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ فَكَيْفَ ٱلْجُهَّالُ ٱلَّذِينَ لَمْ تَنْفَتِحْ رَائِحَتُهُ · وَمَنِ ٱلَّذِي يُؤْتِيهِ ٱللّٰهُ فِطْرَةً نَاصِعَةً يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى أَسْرَارِ مَا يَسْتَعْمِلُهُ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ فَيَضَعَهَا فِي مَوَاضِعِهَا

وَقَدْ ذَكَرَ مَنْ تَقَدَّمَنِي مِنْ عُلَمَاءِ ٱلْبَيَانِ لِلْأَلْفَاظِ ٱلْمُفْرَدَةِ خَصَائِصَ وَهَيْئَاتٍ تَتَّصِفُ بِهَا وَٱخْتَلَفُوا فِي ذٰلِكَ وَٱسْتَحْسَنَ أَحَدُهُمْ شَيْئًا فَخُولِفَ فِيهِ وَكَذٰلِكَ ٱسْتَقْبَحَ ٱلْآخَرُ شَيْئًا فَخُولِفَ فِيهِ · وَلَوْ حَقَّقُوا ٱلنَّظَرَ وَوَقَفُوا عَلَى ٱلسِّرِّ فِي ٱتِّصَافِ بَعْضِ

ٱلْأَلْفَاظِ بِٱلْحُسْنِ وَبَعْضِهَا بِٱلْقُبْحِ لِمَا كَانَ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ فِي شَيْءٍ مِنْهَا. وَقَدْ أَشَرْتُ إِلَى ذٰلِكَ فِي ٱلْفَصْلِ ٱلثَّامِنِ مِنْ مُقَدِّمَةِ كِتَابِي هٰذَا ٱلَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى ذِكْرِ ٱلْفَصَاحَةِ[1] وَفِي ٱلْوُقُوفِ عَلَيْهِ وَٱلْإِحَاطَةِ بِهِ غِنًى عَنْ غَيْرِهِ. وَلٰكِنْ لَا بُدَّ أَنْ نَذْكُرَ هٰهُنَا تَفْصِيلًا لِمَا أَجْمَلْنَاهُ هُنَاكَ لِأَنَّا ذَكَرْنَا فِي ذٰلِكَ ٱلْفَصْلِ أَنَّ ٱلْأَلْفَاظَ دَاخِلَةٌ فِي حَيِّزِ ٱلْأَصْوَاتِ لِأَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ مِنْ مَخَارِجِ ٱلْحُرُوفِ فَمَا ٱسْتَلَذَّهُ ٱلسَّمْعُ مِنْهَا فَهُوَ ٱلْحَسَنُ وَمَا كَرِهَهُ وَنَبَا عَنْهُ فَهُوَ ٱلْقَبِيحُ. وَإِذَا ثَبَتَ ذٰلِكَ فَلَا حَاجَةَ إِلَى مَا ذُكِرَ مِنْ تِلْكَ ٱلْخَصَائِصِ وَٱلْهَيْئَاتِ ٱلَّتِي أَوْرَدَهَا عُلَمَاءُ ٱلْبَيَانِ فِي كُتُبِهِمْ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ ٱللَّفْظُ لَذِيذًا فِي ٱلسَّمْعِ كَانَ حَسَنًا وَإِذَا كَانَ حَسَنًا دَخَلَتْ تِلْكَ ٱلْخَصَائِصُ وَٱلْهَيْئَاتُ فِي ضِمْنِ حُسْنِهِ

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ ٱلْجُهَّالِ إِذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ إِنَّ هٰذِهِ ٱللَّفْظَةَ حَسَنَةٌ وَهٰذِهِ قَبِيحَةٌ أَنْكَرَ ذٰلِكَ وَقَالَ كُلُّ ٱلْأَلْفَاظِ حَسَنٌ وَٱلْوَاضِعُ لَمْ يَضَعْ إِلَّا حَسَنًا وَمَنْ يَبْلُغْ جَهْلُهُ إِلَى أَنْ لَا يَفْرُقَ بَيْنَ لَفْظَةِ ٱلْغُصْنِ وَلَفْظَةِ ٱلْعُسْلُوجِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ

---

١ انظر الفصل السابع من هذا الباب

ٱلْمُدَامَةِ وَلَفْظَةِ ٱلْإِسْفِنْطِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ ٱلسَّيْفِ وَلَفْظَةِ ٱلْخَنْشَلِيلِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ ٱلْأَسَدِ وَلَفْظَةِ ٱلْفَدَوْكَسِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُخَاطَبَ بِخِطَابٍ وَلَا يُجَاوَبَ بِجَوَابٍ

وَقَدْ بَقِيَتْ هُنَاكَ أَوْصَافٌ أُخَرُ يَنْبَغِي أَنْ يُنَبَّهَ عَلَيْهَا. فَمِنْهَا أَنْ لَا تَكُونَ ٱلْكَلِمَةُ وَحْشِيَّةً. وَقَدْ خَفِيَ ٱلْوَحْشِيُّ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلْمُنْتَمِينَ إِلَى صِنَاعَةِ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ وَظَنُّوهُ ٱلْمُسْتَقْبَحَ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ وَلَيْسَ كَذٰلِكَ بَلِ ٱلْوَحْشِيُّ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا غَرِيبٌ حَسَنٌ وَٱلْآخَرُ غَرِيبٌ قَبِيحٌ وَذٰلِكَ أَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى ٱسْمِ ٱلْوَحْشِ ٱلَّذِي يَسْكُنُ ٱلْقِفَارَ وَلَيْسَ بِأَنِيسٍ وَكَذٰلِكَ ٱلْأَلْفَاظُ ٱلَّتِي لَمْ تَكُنْ مَأْنُوسَةَ ٱلِٱسْتِعْمَالِ. وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ ٱلْوَحْشِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَقْبَحًا بَلْ أَنْ يَكُونَ نَافِرًا لَا يَأْلَفُ ٱلْإِنْسَ فَتَارَةً يَكُونُ حَسَنًا وَتَارَةً يَكُونُ قَبِيحًا. وَعَلَى هٰذَا فَإِنَّ أَحَدَ قِسْمَيِ ٱلْوَحْشِيِّ وَهُوَ ٱلْغَرِيبُ ٱلْحَسَنُ يَخْتَلِفُ بِٱخْتِلَافِ ٱلنِّسَبِ وَٱلْإِضَافَاتِ. وَأَمَّا ٱلْقِسْمُ ٱلْآخَرُ مِنَ ٱلْوَحْشِيِّ ٱلَّذِي هُوَ قَبِيحٌ فَإِنَّ ٱلنَّاسَ فِي ٱسْتِقْبَاحِهِ سَوَاءٌ وَلَا يَخْتَلِفُ فِيهِ عَرَبِيٌّ بَادٍ وَلَا قَرَوِيٌّ مُتَحَضِّرٌ. وَأَحْسَنُ ٱلْأَلْفَاظِ مَا كَانَ مَأْلُوفًا مُتَدَاوَلًا لَا لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَأْلُوفًا مُتَدَاوَلًا إِلَّا لِمَكَانِ حُسْنِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ ٱلْكَلَامُ عَلَى

ذٰلِكَ فِي بَابِ ٱلْفَصَاحَةِ[1]. فَإِنَّ أَرْبَابَ ٱلْخَطَابَةِ وَٱلشِّعْرِ نَظَرُوا إِلَى ٱلْأَلْفَاظِ وَنَقَّبُوا عَنْهَا ثُمَّ عَدَلُوا إِلَى ٱلْأَحْسَنِ مِنْهَا فَٱسْتَعْمَلُوهُ وَتَرَكُوا مَا سِوَاهُ وَهُوَ أَيْضًا يَتَفَاوَتُ فِي دَرَجَاتِ حُسْنِهِ فَٱلْأَلْفَاظُ إِذَنْ تَنْقَسِمُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ قِسْمَانِ حَسَنَانِ وَقِسْمٌ قَبِيحٌ. فَٱلْقِسْمَانِ ٱلْحَسَنَانِ أَحَدُهُمَا مَا تَدَاوَلَ ٱسْتِعْمَالَهُ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ مِنَ ٱلزَّمَنِ ٱلْقَدِيمِ إِلَى زَمَانِنَا هٰذَا وَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ وَحْشِيٌّ. وَٱلْآخَرُ مَا تَدَاوَلَ ٱسْتِعْمَالَهُ ٱلْأَوَّلُ دُونَ ٱلْآخِرِ وَيَخْتَلِفُ فِي ٱسْتِعْمَالِهِ بِٱلنِّسْبَةِ إِلَى ٱلزَّمَنِ وَأَهْلِهِ وَهٰذَا هُوَ ٱلَّذِي لَا يُعَابُ ٱسْتِعْمَالُهُ عِنْدَ ٱلْعَرَبِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ وَحْشِيًّا وَهُوَ عِنْدَنَا وَحْشِيٌّ. وَقَدْ تَضَمَّنَ ٱلْقُرْآنُ ٱلْكَرِيمُ مِنْهُ كَلِمَاتٍ مَعْدُودَةً وَهِيَ ٱلَّتِي يُطْلَقُ عَلَيْهَا غَرِيبُ ٱلْقُرْآنِ. وَكَذٰلِكَ تَضَمَّنَ ٱلْحَدِيثُ ٱلنَّبَوِيُّ مِنْهُ شَيْئًا وَهُوَ ٱلَّذِي يُطْلَقُ عَلَيْهِ غَرِيبُ ٱلْحَدِيثِ

وَلَا يَسْبُقْ وَهْمُكَ أَيُّهَا ٱلْمُتَأَمِّلُ إِلَى قَوْلِ ٱلْقَائِلِ ٱلَّذِي غَلَبَ عَلَيْهِ غِلَظُ ٱلطَّبْعِ وَفَجَاجَةُ ٱلذِّهْنِ بِأَنَّ ٱلْعَرَبَ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ كَذَا وَكَذَا فَهٰذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَسَنٌ بَلْ

---

1 انظر الفصل السابع من هذا الباب

يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ ٱلَّذِي نَسْتَحْسِنُهُ نَحْنُ فِي زَمَانِنَا هٰذَا هُوَ ٱلَّذِي كَانَ عِنْدَ ٱلْعَرَبِ مُسْتَحْسَنًا وَٱلَّذِي نَسْتَقْبِحُهُ هُوَ ٱلَّذِي كَانَ عِنْدَهُمْ مُسْتَقْبَحًا · وَٱلِٱسْتِعْمَالُ لَيْسَ بِدَلِيلٍ عَلَى ٱلْحُسْنِ فَإِنَّا نَحْنُ نَسْتَعْمِلُ ٱلْآنَ مِنَ ٱلْكَلَامِ مَا لَيْسَ بِحَسَنٍ وَإِنَّمَا نَسْتَعْمِلُهُ لِضَرُورَةٍ فَلَيْسَ ٱسْتِعْمَالُ ٱلْحَسَنِ بِمُمْكِنٍ فِي كُلِّ ٱلْأَحْوَالِ · وَهٰذَا طَرِيقٌ يَضِلُّ بِغَيْرِ ٱلْعَارِفِ بِمَسَالِكِهِ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ صِنَاعَةَ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ وَمَا يَجِدُهُ صَاحِبُهَا مِنَ ٱلْكُلْفَةِ فِي صَوْغِ ٱلْأَلْفَاظِ وَٱخْتِيَارِهَا فَإِنَّهُ مَعْذُورٌ فِي أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ لَا يَعْرِفُ ٱلشَّوْقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ وَلَا ٱلصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا وَمَعَ هٰذَا فَإِنَّ قَوْلَ ٱلْقَائِلِ بِأَنَّ ٱلْعَرَبَ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ كَذَا وَكَذَا وَهٰذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَسَنٌ قَوْلٌ فَاسِدٌ لَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ جَاهِلٍ فَإِنَّ ٱسْتِحْسَانَ ٱلْأَلْفَاظِ وَٱسْتِقْبَاحَهَا لَا يُؤْخَذُ بِٱلتَّقْلِيدِ مِنَ ٱلْعَرَبِ لِأَنَّهُ شَيْءٌ لَيْسَ لِلتَّقْلِيدِ فِيهِ مَجَالٌ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ لَهُ خَصَائِصُ وَهَيْئَاتٌ وَعَلَامَاتٌ إِذَا وُجِدَتْ عُلِمَ حُسْنُهُ مِنْ قُبْحِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ ٱلْكَلَامُ عَلَى ذٰلِكَ فِي بَابِ ٱلْفَصَاحَةِ وَٱلْبَلَاغَةِ · وَأَمَّا ٱلَّذِي تُقَلِّدُ ٱلْعَرَبَ فِيهِ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ فَإِنَّمَا هُوَ ٱلِٱسْتِشْهَادُ بِأَشْعَارِهَا عَلَى مَا يُنْقَلُ مِنْ لُغَتِهَا وَٱلْأَخْذُ

بِأَقْوَالِهَا فِي ٱلْأَوْضَاعِ ٱلنَّحْوِيَّةِ فِي رَفْعِ ٱلْفَاعِلِ وَنَصْبِ
ٱلْمَفْعُولِ وَجَرِّ ٱلْمُضَافِ إِلَيْهِ وَجَزْمِ ٱلشَّرْطِ وَأَشْبَاهِ ذٰلِكَ
وَمَا عَدَاهُ فَلَا. وَحُسْنُ ٱلْأَلْفَاظِ وَقُبْحُهَا لَيْسَ إِضَافِيًّا إِلَى زَيْدٍ
دُونَ عَمْرٍو أَوْ إِلَى عَمْرٍو دُونَ زَيْدٍ لِأَنَّهُ وَصْفٌ ذَوَوِيٌّ لَا
يَتَغَيَّرُ بِٱلْإِضَافَةِ. أَلَا تَرَى أَنَّ لَفْظَةَ ٱلْمُزْنَةِ مَثَلًا حَسَنَةٌ عِنْدَ
ٱلنَّاسِ كَافَّةً مِنَ ٱلْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ وَهَلُمَّ جَرًّا لَا يَخْتَلِفُ أَحَدٌ فِي
حُسْنِهَا. وَكَذٰلِكَ لَفْظَةُ ٱلْبُعَاقِ فَإِنَّهَا قَبِيحَةٌ عِنْدَ ٱلنَّاسِ كَافَّةً
مِنَ ٱلْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ فَإِذَا ٱسْتَعْمَلَتْهَا ٱلْعَرَبُ لَا يَكُونُ ٱسْتِعْمَالُهُمْ
إِيَّاهَا مُخْرِجًا لَهَا عَنِ ٱلْقُبْحِ وَلَا يُلْتَفَتُ إِذَنْ إِلَى ٱسْتِعْمَالِهِمْ
إِيَّاهَا بَلْ يُعَابُ مُسْتَعْمِلُهَا وَيُغَلَّظُ لَهُ ٱلنَّكِيرُ حَيْثُ ٱسْتَعْمَلَهَا
فَلَا تَظُنَّ أَنَّ ٱلْوَحْشِيَّ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ مَا يَكْرَهُهُ سَمْعُكَ
وَيَثْقُلُ عَلَيْكَ ٱلنُّطْقُ بِهِ وَإِنَّمَا هُوَ ٱلْغَرِيبُ ٱلَّذِي يَقِلُّ
ٱسْتِعْمَالُهُ فَتَارَةً يَخِفُّ عَلَى سَمْعِكَ وَلَا تَجِدُ بِهِ كَرَاهَةً وَتَارَةً يَثْقُلُ
عَلَى سَمْعِكَ وَتَجِدُ مِنْهُ ٱلْكَرَاهَةَ. وَذٰلِكَ فِي ٱللَّفْظِ عَيْبَانِ أَحَدُهُمَا
أَنَّهُ غَرِيبُ ٱلِٱسْتِعْمَالِ وَٱلْآخَرُ أَنَّهُ ثَقِيلٌ عَلَى ٱلسَّمْعِ كَرِيهٌ
عَلَى ٱلذَّوْقِ. وَإِذَا كَانَ ٱللَّفْظُ بِهٰذِهِ ٱلصِّفَةِ فَلَا مَزِيدَ عَلَى
فَظَاظَتِهِ وَغِلَاظَتِهِ وَهُوَ ٱلَّذِي يُسَمَّى ٱلْوَحْشِيَّ ٱلْغَلِيظَ وَيُسَمَّى

Digitized by Google

أَيْضًا ٱلْمُتَوَعِّرَ وَلَيْسَ وَرَآءَهُ فِي ٱلْقُبْحِ دَرَجَةٌ اخْرَى وَلَا يَسْتَعْمِلُهُ إِلَّا أَجْهَلُ ٱلنَّاسِ مِمَّنْ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِ شَيْءٌ مِنْ مَعْرِفَةِ هٰذَا ٱلْفَنِّ أَصْلًا. فَإِنْ قِيلَ فَمَا هٰذَا ٱلنَّوْعُ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ. قُلْتُ قَدْ ثَبَتَ لَكَ أَنَّهُ مَا كَرِهَهُ سَمْعُكَ وَثَقُلَ عَلَى لِسَانِكَ ٱلنُّطْقُ بِهِ. وَسَأَضْرِبُ لَكَ فِي ذٰلِكَ مِثَالًا فَمِنْهُ مَا وَرَدَ لِتَابَّطَ شَرًّا فِي كِتَابِ ٱلْحَمَاسَةِ

يَظَلُّ بِمَوْمَاةٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا
جَحِيشًا وَيَعْرَوْرِي ظُهُورَ ٱلْمَسَالِكِ

فَإِنَّ لَفْظَةَ جَحِيشٍ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ ٱلْمُنْكَرَةِ ٱلْقَبِيحَةِ. وَيَا لِلّٰهِ ٱلْعَجَبُ أَلَيْسَ أَنَّهَا بِمَعْنَى فَرِيدٍ وَفَرِيدٌ لَفْظَةٌ حَسَنَةٌ رَائِقَةٌ وَلَوْ وُضِعَتْ فِي هٰذَا ٱلْبَيْتِ مَوْضِعَ جَحِيشٍ لَمَا اخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْ وَزْنِهِ. فَتَأَبَّطَ شَرًّا مَلُومٌ مِنْ وَجْهَيْنِ فِي هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ ٱسْتَعْمَلَ ٱلْقَبِيحَ وَٱلْآخَرُ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ مَنْدُوحَةٌ عَنِ ٱسْتِعْمَالِهِ فَلَمْ يَعْدِلْ عَنْهُ. وَمِمَّا هُوَ أَقْبَحُ مِنْهَا مَا وَرَدَ لِأَبِي تَمَّامٍ قَوْلُهُ

قَدْ قُلْتُ لَمَّا ٱطْلَخَمَّ ٱلْأَمْرُ وَٱنْبَعَثَتْ
عَشَوَاءَ تَالِيَةً غُبْسًا دَهَارِيسَا

فَلَفْظَةُ ٱطْلَخَمَّ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ ٱلْمُنْكَرَةِ ٱلَّتِي جَمَعَتِ ٱلْوَصْفَيْنِ

ٱلْقَبِيحَيْنِ فِي أَنَّهَا غَرِيبَةٌ وَأَنَّهَا غَلِيظَةٌ فِي ٱلسَّمْعِ كَرِيهَةٌ عَلَى ٱلذَّوْقِ . وَكَذٰلِكَ لَفْظَةُ دَهَارِيسَ أَيْضًا . وَعَلَى هٰذَا وَرَدَ قَوْلُهُ مِنْ أَبْيَاتٍ يَصِفُ فَرَسًا مِنْ جُمْلَتِهَا

نِعْمَ مَتَاعُ ٱلدُّنْيَا حَبَاكَ بِهِ أَرْوَعُ لَا جَيْدَرٌ وَلَا جِبُسُ

فَلَفْظَةُ جَيْدَرٍ غَلِيظَةٌ . وَأَغْلَظُ مِنْهَا قَوْلُ أَبِي ٱلطَّيِّبِ ٱلْمُتَنَبِّئِ

جَفَخَتْ وَهُمْ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ

شِيَمٌ عَلَى ٱلْحَسَبِ ٱلْأَغَرِّ دَلَائِلُ

فَإِنَّ لَفْظَةَ جَفَخَ مُرَّةُ ٱلطَّعْمِ وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى ٱلسَّمْعِ ٱقْشَعَرَّ مِنْهَا وَأَبُو ٱلطَّيِّبِ فِي ٱسْتِعْمَالِهَا كَٱسْتِعْمَالِ تَأَبَّطَ شَرًّا لَفْظَةَ جَحِيشٍ . فَإِنَّ تَأَبَّطَ شَرًّا كَانَتْ لَهُ مَنْدُوحَةٌ عَنِ ٱسْتِعْمَالِ تِلْكَ ٱللَّفْظَةِ كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ فِيمَا تَقَدَّمَ وَكَذٰلِكَ أَبُو ٱلطَّيِّبِ فِي ٱسْتِعْمَالِ هٰذِهِ ٱللَّفْظَةِ ٱلَّتِي هِيَ جَفَخَتْ فَإِنَّ مَعْنَاهَا فَخَرَتْ وَٱلْجَفْخُ ٱلْفَخْرُ يُقَالُ جَفَخَ فُلَانٌ إِذَا فَخَرَ وَلَوِ ٱسْتَعْمَلَ عِوَضًا عَنْ جَفَخَتْ فَخَرَتْ لَٱسْتَقَامَ وَزْنُ ٱلْبَيْتِ وَحَظِيَ فِي ٱسْتِعْمَالِهِ بِٱلْأَحْسَنِ وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ يَذْهَبُ هٰذَا وَأَمْثَالُهُ عَلَى مِثْلِ هٰؤُلَاءِ ٱلْفُحُولِ مِنَ ٱلشُّعَرَاءِ . وَهٰذَا ٱلَّذِي ذَكَرْتُهُ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ هُوَ ٱلْوَحْشِيُّ ٱلْغَلِيظُ ٱلَّذِي لَيْسَ لَهُ مَا يُدَانِيهِ فِي قُبْحِهِ

وَكَرَاهَتِهِ وَهٰذِهِ ٱلْأَمْثِلَةُ دَلِيلٌ عَلَى مَا أَرَدْنَاهُ. وَٱلْعَرَبُ إِذَنْ لَا تُلَامُ عَلَى ٱسْتِعْمَالِ ٱلْغَرِيبِ ٱلْحَسَنِ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ وَإِنَّمَا تُلَامُ عَلَى ٱلْغَرِيبِ ٱلْقَبِيحِ وَأَمَّا ٱلْحَضَرِيُّ فَإِنَّهُ يُلَامُ عَلَى ٱسْتِعْمَالِ ٱلْقِسْمَيْنِ مَعًا وَهُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَشَدُّ مَلَامَةً مِنْهُ فِي ٱلْآخَرِ (عن المثل السائر)

ٱلْقِسْمُ ٱلثَّانِي

فِي ٱلْكَلَامِ

قَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنْ مُدَّعِي هٰذِهِ ٱلصِّنَاعَةِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ٱلْكَلَامَ ٱلْفَصِيحَ هُوَ ٱلَّذِي يَعِزُّ فَهْمُهُ وَيَبْعُدُ مُتَنَاوَلُهُ وَإِذَا رَأَوْا كَلَامًا وَحْشِيًّا غَامِضَ ٱلْأَلْفَاظِ يُعْجَبُونَ بِهِ وَيَصِفُونَهُ بِٱلْفَصَاحَةِ وَهُوَ بِٱلضِّدِّ مِنْ ذٰلِكَ لِأَنَّ ٱلْفَصَاحَةَ هِيَ ٱلظُّهُورُ وَٱلْبَيَانُ لَا ٱلْغُمُوضُ وَٱلْخَفَاءُ. وَسَأُبَيِّنُ لَكَ مَا تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ فَأَقُولُ ٱلْأَلْفَاظُ تَنْقَسِمُ فِي ٱلِٱسْتِعْمَالِ إِلَى جَزْلَةٍ وَرَقِيقَةٍ وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا مَوْضِعٌ يَحْسُنُ ٱسْتِعْمَالُهُ فِيهِ. فَٱلْجَزْلُ مِنْهَا يُسْتَعْمَلُ فِي وَصْفِ مَوَاقِفِ ٱلْحُرُوبِ وَفِي قَوَارِعِ ٱلتَّهْدِيدِ وَٱلتَّخْوِيفِ وَأَشْبَاهِ ذٰلِكَ. وَأَمَّا ٱلرَّقِيقُ مِنْهَا فَإِنَّهُ

Digitized by Google

يُستعمَلُ فِي وَصْفِ ٱلْأَشْوَاقِ وَذِكْرِ أَيَّامِ ٱلْبِعَادِ وَفِي ٱسْتِجْلَابِ ٱلْمَوَدَّاتِ وَمُلَايَنَاتِ ٱلِاسْتِعْطَافِ وَأَشْبَاهِ ذٰلِكَ. وَلَسْتُ أَعْنِي بِٱلْجَزْلِ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ أَنْ يَكُونَ وَحْشِيًّا مُتَوَعِّرًا عَلَيْهِ عُنْجُهِيَّةُ ٱلْبَدَاوَةِ بَلْ أَعْنِي بِٱلْجَزْلِ أَنْ يَكُونَ مَتِينًا عَلَى عُذُوبَتِهِ فِي ٱلْفَمِ وَلَذَاذَتِهِ فِي ٱلسَّمْعِ. وَكَذٰلِكَ لَسْتُ أَعْنِي بِٱلرَّقِيقِ أَنْ يَكُونَ رَكِيكًا سَفْسَافًا وَإِنَّمَا هُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلرَّقِيقُ ٱلْحَاشِيَةِ ٱلنَّاعِمُ ٱلْمَلْبَسِ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ

نَاعِمَاتُ ٱلْأَطْرَافِ لَوْ أَنَّهَا تُلْـ ـبَسُ أَغْنَتْ عَنِ ٱلْمُلَاءِ ٱلرِّقَاقِ

وَسَأَضْرِبُ لَكَ مِثَالًا لِلْجَزْلِ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ وَٱلرَّقِيقِ فَأَقُولُ ٱنْظُرْ إِلَى قَوَارِعِ ٱلْقُرْآنِ عِنْدَ ذِكْرِ ٱلْحِسَابِ وَٱلْعَذَابِ وَٱلْمِيزَانِ وَٱلصِّرَاطِ وَعِنْدَ ذِكْرِ ٱلْمَوْتِ وَمُفَارَقَةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا جَرَى هٰذَا ٱلْمَجْرَى فَإِنَّكَ لَا تَرَى شَيْئًا مِنْ ذٰلِكَ وَحْشِيَّ ٱلْأَلْفَاظِ وَلَا مُتَوَعِّرًا. ثُمَّ ٱنْظُرْ إِلَى ذِكْرِ ٱلرَّحْمَةِ وَٱلرَّأْفَةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ وَٱلْمُلَاطَفَاتِ فِي خِطَابِ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَخِطَابِ ٱلْمُنِيبِينَ وَٱلتَّائِبِينَ مِنَ ٱلْعِبَادِ وَمَا جَرَى هٰذَا ٱلْمَجْرَى فَإِنَّكَ لَا تَرَى شَيْئًا مِنْ ذٰلِكَ ضَعِيفَ ٱلْأَلْفَاظِ وَلَا سَفْسَافًا. فَمِثَالُ ٱلْأَوَّلِ وَهُوَ ٱلْجَزْلُ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ

فَصَعِقَ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَآءَ ٱللّٰهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرٰى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ. وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَابُ وَجِيٓءَ بِٱلنَّبِيِّينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ. وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ. وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتّٰى إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا قَالُوا بَلٰى وَلٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ.

قِيلَ ٱدْخُلُوٓا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ. وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتّٰى إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَامِلِينَ. فَتَأَمَّلْ هٰذِهِ ٱلْآيَاتِ ٱلْمُضَمَّنَةَ ذِكْرَ ٱلْحَشْرِ عَلٰى تَفَاصِيلِ أَحْوَالِهِ وَذِكْرَ ٱلنَّارِ وَٱلْجَنَّةِ وَٱنْظُرْ هَلْ فِيهَا لَفْظَةٌ إِلَّا وَهِيَ سَهْلَةٌ مُسْتَعْذَبَةٌ عَلٰى مَا بِهَا مِنَ ٱلْجَزَالَةِ. وَكَذٰلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالٰى وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادٰى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ
الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ
مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ. وَأَمَّا مِثَالُ الثَّانِي وَهُوَ الرَّقِيقُ مِنَ الْأَلْفَاظِ
فَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي مُخَاطَبَةِ النَّبِيِّ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَا مَا
وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ
تَعَالَى فِي تَرْغِيبِ الْمَسْئَلَةِ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي
قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ. وَهَكَذَا تَرَى سَبِيلَ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي كِلَا هَذَيْنِ الْحَالَيْنِ مِنَ الْجَزَالَةِ وَالرِّقَّةِ.
وَكَذَلِكَ كَلَامُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ مِمَّا وَرَدَ
عَنْهَا نَثْرًا وَيَكْفِي مِنْ ذَلِكَ كَلَامُ قَبِيصَةَ بْنِ نُعَيْمٍ لَمَّا قَدِمَ
عَلَى امْرِئِ الْقَيْسِ فِي أَشْيَاخٍ لِبَنِي أَسَدٍ يَسْأَلُونَهُ الْعَفْوَ عَنْ
دَمِ أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ إِنَّكَ فِي الْمَحَلِّ وَالْقَدْرِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ
بِتَصَرُّفِ الدَّهْرِ وَمَا تُحْدِثُهُ أَيَّامُهُ وَتَنْتَقِلُ بِهِ أَحْوَالُهُ بِحَيْثُ لَا
تَحْتَاجُ إِلَى تَذْكِيرٍ مِنْ وَاعِظٍ وَلَا تَبْصِيرٍ مِنْ مُجَرِّبٍ. وَلَكَ مِنْ
سُؤْدُدِ مَنْصِبِكَ وَشَرَفِ أَعْرَاقِكَ وَكَرَمِ أَصْلِكَ فِي الْعَرَبِ
مَجْدٌ يَحْمِلُ مَا حُمِلَ عَلَيْهِ مِنْ إِقَالَةِ الْعَثْرَةِ وَالرُّجُوعِ عَنِ
الْهَفْوَةِ وَلَا تَتَجَاوَزُ الْهِمَمُ إِلَى غَايَةٍ إِلَّا رَجَعَتْ إِلَيْكَ فَوَجَدَتْ

عِنْدَكَ مِنْ فَضِيلَةِ ٱلرَّأْيِ وَبَصِيرَةِ ٱلْفَهْمِ وَكَرَمِ ٱلصَّفْحِ مَا يَطُولُ رَغَبَاتِهَا وَيَسْتَغْرِقُ طَلِبَاتِهَا · وَقَدْ كَانَ ٱلَّذِي كَانَ مِنَ ٱلْخَطْبِ ٱلْجَلِيلِ ٱلَّذِي عَمَّتْ رَزِيَّتُهُ نِزَارًا وَٱلْيَمَنَ وَلَمْ تُخْصَصْ بِذٰلِكَ كِنْدَةُ دُونَنَا لِلشَّرَفِ ٱلْبَارِعِ ٱلَّذِي كَانَ لِحُجْرٍ وَلَوْ كَانَ يُفْدَى هَالِكٌ بِٱلْأَنْفُسِ ٱلْبَاقِيَةِ بَعْدَهُ لَمَا بَخِلَتْ أَكَارِمُنَا بِهَا عَلَى مِثْلِهِ وَلٰكِنَّهُ مَضَى بِهِ سَبِيلٌ لَا تَرْجِعُ أُخْرَاهُ عَلَى أُولَاهُ وَلَا يَلْحَقُ أَقْصَاهُ أَدْنَاهُ. فَأَحْمَدُ ٱلْحَالَاتِ فِي ذٰلِكَ أَنْ تَعْرِفَ ٱلْوَاجِبَ عَلَيْكَ فِي إِحْدَى خِلَالٍ ثَلَاثٍ إِمَّا أَنْ تَخْتَارَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَشْرَفَهَا بَيْتًا وَأَعْلَاهَا فِي بِنَاءِ ٱلْمَكْرُمَاتِ صَوْتًا فَنَقُودَهُ إِلَيْكَ بِنِسْعِهِ تَذْهَبُ مَعَ شَفَرَاتِ حُسَامِكَ بِبَاقِي قَصَرَتِهِ فَنَقُولُ رَجُلٌ ٱمْتُحِنَ بِهَالِكٍ عَزِيزٍ فَلَمْ يَسْتَلَّ سَخِيمَتَهُ إِلَّا بِمُكْنَتِهِ مِنَ ٱلِٱنْتِقَامِ · وَإِمَّا فِدَاءٌ بِمَا يَرُوحُ عَلَى بَنِي أَسَدٍ مِنْ نَعَمِهَا فَهِيَ أُلُوفٌ تُجَاوِزُ ٱلْخَمْسَةَ فَيَكُونُ ذٰلِكَ فِدَاءً تَرْجِعُ بِهِ ٱلْقُضُبُ إِلَى أَجْفَانِهَا · وَإِمَّا أَنْ تُوَادِعَنَا إِلَى أَنْ تَضَعَ ٱلْحَوَامِلُ فَتُسْدَلَ ٱلْأُزُرُ وَتُعْقَدَ ٱلْخُمُرُ فَوْقَ ٱلرَّايَاتِ. قَالَ فَبَكَى سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ لَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْعَرَبُ أَنَّهُ لَا كُفْؤَ لِحُجْرٍ فِي دَمٍ وَإِنِّي لَنْ أُعَاوِضَ جَمَلًا وَلَا نَاقَةً فَأَكْتَسِبَ بِهِ سُبَّةَ ٱلْأَبَدِ

وَفَتَّ ٱلْعَضُدِ. وَأَمَّا ٱلنَّظِرَةُ فَقَدْ أَوْجَبَتْهَا ٱلْأَحِنَّةُ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهَا وَلَنْ أَكُونَ لِعَطَبِهَا سَبَباً وَسَتَعْرِفُونَ طَلَائِعَ كِنْدَةَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ تَحْمِلُ فِي ٱلْقُلُوبِ حَنَقاً وَفَوْقَ ٱلْأَسِنَّةِ عَلَقاً

إِذَا جَالَتِ ٱلْخَيْلُ فِي مَأْزِقٍ
تُصَافِحُ فِيهِ ٱلْمَنَايَا ٱلنُّفُوسَا

أَتُقِيمُونَ أَمْ تَنْصَرِفُونَ. قَالُوا بَلْ نَنْصَرِفُ بِأَسْوَإِ ٱلْاِخْتِيَارِ وَأَبْلَى ٱلْاِجْتِرَارِ بِمَكْرُوهٍ وَأَذِيَّةٍ وَحَرْبٍ وَبَلِيَّةٍ. ثُمَّ نَهَضُوا عَنْهُ وَقَبِيصَةُ يَتَمَثَّلُ

لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَوْخِمَ ٱلْوِرْدَ إِنْ عَدَتْ
كَتَائِبُنَا فِي مَأْزِقِ ٱلْحَرْبِ تَمْطُرُ

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ لَا وَٱللّٰهِ وَلٰكِنْ أَسْتَعْذِبُهُ فَرُوَيْدًا يَنْفَرِجْ لَكَ دُجَاهَا مِنْ فُرْسَانِ كِنْدَةَ وَكَتَائِبِ حِمْيَرَ وَلَقَدْ كَانَ ذِكْرُ غَيْرِ هٰذَا بِي أَوْلَى إِذْ كُنْتَ نَازِلاً بِرَبْعِي وَلٰكِنَّكَ قُلْتَ فَأَوْجَبْتَ. فَلْتَنْظُرْ إِلَى هٰذَا ٱلْكَلَامِ مِنَ ٱلرَّجُلَيْنِ قَبِيصَةَ وَٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ حَتَّى يَدَعَ ٱلْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ فِي ٱسْتِعْمَالِ ٱلْوَحْشِيِّ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ فَإِنَّ هٰذَا ٱلْكَلَامَ قَدْ كَانَ فِي ٱلزَّمَنِ ٱلْقَدِيمِ قَبْلَ ٱلْإِسْلَامِ بِمَا شَاءَ ٱللّٰهُ

Digitized by Google

وَإِذَا كَانَ هٰذَا قَوْلَ سَاكِنِ فِي ٱلْفَلَاةِ لَا يَرَى إِلَّا شِيحَةً أَوْ قَيْصُومَةً وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا ضَبًّا أَوْ يَرْبُوعًا فَمَا بَالُ قَوْمٍ سَكَنُوا ٱلْحَضَرَ وَوَجَدُوا رِقَّةَ ٱلْعَيْشِ يَتَعَاطَوْنَ وَحْشِيَّ ٱلْأَلْفَاظِ وَشَظَفَ ٱلْعِبَارَاتِ وَمَا يُخْلِدُ إِلَى ذٰلِكَ إِلَّا إِمَّا جَاهِلٌ بِأَسْرَارِ ٱلْفَصَاحَةِ وَإِمَّا عَاجِزٌ عَنْ سُلُوكِ طَرِيقِهَا. فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ مِمَّنْ شَدَا شَيْئًا مِنْ عِلْمِ ٱلْأَدَبِ يُمْكِنُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِٱلْوَحْشِيِّ مِنَ ٱلْكَلَامِ وَذَاكَ أَنَّهُ يَلْتَقِطُهُ مِنْ كُتُبِ ٱللُّغَةِ أَوْ يَتَلَقَّفُهُ مِنْ أَرْبَابِهَا. وَأَمَّا ٱلْفَصِيحُ ٱلْمُتَّصِفُ بِصِفَةِ ٱلْمَلَاحَةِ فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَوْ قَدَرَ عَلَيْهِ لَمَا عَلِمَ أَيْنَ يَضَعُ يَدَهُ فِي تَأْلِيفِهِ وَسَبْكِهِ فَإِنْ مَارَى فِي ذٰلِكَ مُمَارٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَشْعَارِ عُلَمَاءِ ٱلْأَدَبِ مِمَّنْ كَانَ مُشَارًا إِلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ صِحَّةَ مَا ذَكَرْتُهُ.

هٰذَا ٱبْنُ دُرَيْدٍ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ أَشْعَرُ عُلَمَاءِ ٱلْأَدَبِ وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى شِعْرِهِ وَجَدْتَهُ بِٱلنِّسْبَةِ إِلَى شِعْرِ ٱلشُّعَرَاءِ ٱلْمُجِيدِينَ مُنْحَطًّا مَعَ أَنَّ أُولٰئِكَ ٱلشُّعَرَاءَ لَمْ يَعْرِفُوا مِنْ عِلْمِ ٱلْأَدَبِ عُشْرَ مِعْشَارِ مَا عَلِمَهُ. هٰذَا ٱلْعَبَّاسُ ٱبْنُ ٱلْأَحْنَفِ قَدْ كَانَ مِنْ أَوَائِلِ ٱلشُّعَرَاءِ ٱلْمُجِيدِينَ وَشِعْرُهُ كَمَمَرِّ نَسِيمٍ عَلَى عَذَبَاتِ أَغْصَانٍ وَكَلُؤْلُؤَاتِ طَلٍّ عَلَى طُرَرِ رَيْحَانٍ وَلَيْسَ فِيهِ

لَفْظَةٌ وَاحِدَةٌ غَرِيبَةٌ يُحْتَاجُ إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ

(انتهى ملخصًا عن المثل السائر)

الفَصْلُ الرَّابِعُ

فِي انْقِسَامِ الكَلَامِ إِلَى فَنَّيِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ

إِعْلَمْ أَنَّ لِسَانَ العَرَبِ وَكَلَامَهُمْ عَلَى فَنَّيْنِ فَنِّ الشِّعْرِ المَنْظُومِ وَهُوَ الكَلَامُ المَوْزُونُ المُقَفَّى وَمَعْنَاهُ الَّذِي تَكُونُ أَوْزَانُهُ كُلُّهَا عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ وَهُوَ القَافِيَةُ. وَفَنِّ النَّثْرِ وَهُوَ الكَلَامُ غَيْرُ المَوْزُونِ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الفَنَّيْنِ يَشْتَمِلُ عَلَى فُنُونٍ وَمَذَاهِبَ فِي الكَلَامِ. فَأَمَّا الشِّعْرُ فَمِنْهُ المَدْحُ وَالهِجَاءُ وَالرِّثَاءُ. وَأَمَّا النَّثْرُ فَمِنْهُ السَّجْعُ الَّذِي يُؤْتَى بِهِ قِطَعًا وَيُلْتَزَمُ فِي كُلِّ كَلِمَتَيْنِ مِنْهُ قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ وَيُسَمَّى سَجْعًا وَمِنْهُ المُرْسَلُ وَهُوَ الَّذِي يُطْلَقُ فِيهِ الكَلَامُ إِطْلَاقًا وَلَا يُقْطَعُ أَجْزَاءً بَلْ يُرْسَلُ إِرْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِقَافِيَةٍ وَلَا غَيْرِهَا. وَيُسْتَعْمَلُ فِي الخُطَبِ وَالدُّعَاءِ وَتَرْغِيبِ الجُمْهُورِ وَتَرْهِيبِهِمْ. وَأَمَّا القُرْآنُ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ مِنَ المَنْثُورِ إِلَّا أَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ الوَصْفَيْنِ وَلَيْسَ يُسَمَّى مُرْسَلًا مُطْلَقًا وَلَا مُسَجَّعًا بَلْ تَفْصِيلَ

Digitized by Google

آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها
ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها ويثنى من غير
التزام حرف يكون سجعا أو قافية وهو معنى قوله تعالى الله
نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم. وقال قد فصلنا الآيات. ويسمى آخر
الآيات منه فواصل إذ ليست أسجاعا ولا التزم فيها ما
يلتزم في السجع ولا هي أيضا قوافي. وأطلق اسم المثاني على
آيات القرآن كلها على العموم لما ذكرناه واختصت بأم
القرآن للغلبة فيها كالنجم للثريا وهذا سميت السبع المثاني.
وانظر هذا مع ما قاله المفسرون في تعليل تسميتها بالمثاني
يشهد لك الحق بر جحان ما قلناه. واعلم أن لكل واحد من
هذه الفنون أساليب تختص به عند أهله ولا تصلح للفن
الآخر ولا تستعمل فيه مثل النسيب المختص بالشعر
والحمد والدعاء المختص بالخطب والدعاء المختص
بالمخاطبات وأمثال ذلك. وقد استعمل المتأخرون
أساليب الشعر وموازينه في المنثور من كثرة الأسجاع
والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدي الأغراض وصار

هٰذَا ٱلْمَنْثُورُ إِذَا تَأَمَّلْتَهُ مِنْ بَابِ ٱلشِّعْرِ وَفَنِّهِ وَلَمْ يَفْتَرِقَا إِلَّا فِي ٱلْوَزْنِ. وَٱسْتَمَرَّ ٱلْمُتَأَخِّرُونَ مِنَ ٱلْكُتَّابِ عَلَى هٰذِهِ ٱلطَّرِيقَةِ وَٱسْتَعْمَلُوهَا فِي ٱلْمُخَاطَبَاتِ ٱلسُّلْطَانِيَّةِ وَقَصَرُوا ٱلِٱسْتِعْمَالَ فِي ٱلْمَنْثُورِ كُلِّهِ عَلَى هٰذَا ٱلْفَنِّ ٱلَّذِي ٱرْتَضَوْهُ وَخَلَطُوا ٱلْأَسَالِيبَ فِيهِ وَهَجَرُوا ٱلْمُرْسَلَ وَتَنَاسَوْهُ وَخُصُوصًا أَهْلَ ٱلْمَشْرِقِ وَصَارَتِ ٱلْمُخَاطَبَاتُ ٱلسُّلْطَانِيَّةُ لِهٰذَا ٱلْعَهْدِ عِنْدَ ٱلْكُتَّابِ ٱلْغُفْلِ جَارِيَةً عَلَى هٰذَا ٱلْأُسْلُوبِ ٱلَّذِي أَشَرْنَا إِلَيْهِ. وَهُوَ غَيْرُ صَوَابٍ مِنْ جِهَةِ ٱلْبَلَاغَةِ لِمَا يُلَاحَظُ فِي تَطْبِيقِ ٱلْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى ٱلْحَالِ مِنْ أَحْوَالِ ٱلْمُخَاطِبِ وَٱلْمُخَاطَبِ. وَهٰذَا ٱلْفَنُّ ٱلْمَنْثُورُ ٱلْمُقَفَّى أَدْخَلَ ٱلْمُتَأَخِّرُونَ فِيهِ أَسَالِيبَ ٱلشِّعْرِ فَوَجَبَ أَنْ تُنَزَّهَ ٱلْمُخَاطَبَاتُ ٱلسُّلْطَانِيَّةُ عَنْهُ إِذْ أَسَالِيبُ ٱلشِّعْرِ تُنَافِيهَا ٱللَّوْذَعِيَّةُ وَخَلْطُ ٱلْجِدِّ بِٱلْهَزْلِ وَٱلْإِطْنَابُ فِي ٱلْأَوْصَافِ وَضَرْبُ ٱلْأَمْثَالِ وَكَثْرَةُ ٱلتَّشْبِيهَاتِ وَٱلِٱسْتِعَارَاتِ حَيْثُ لَا تَدْعُو ضَرُورَةٌ إِلَى ذٰلِكَ فِي ٱلْخِطَابِ. وَٱلْمَحْمُودُ فِي ٱلْمُخَاطَبَاتِ ٱلسُّلْطَانِيَّةِ ٱلتَّرَسُّلُ وَهُوَ إِطْلَاقُ ٱلْكَلَامِ وَإِرْسَالُهُ مِنْ غَيْرِ تَسْجِيعٍ إِلَّا فِي ٱلْأَقَلِّ ٱلنَّادِرِ وَحَيْثُ تُرْسِلُهُ ٱلْمَلَكَةُ إِرْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ لَهُ. ثُمَّ إِعْطَاءُ

ٱلْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى ٱلْحَالِ فَإِنَّ ٱلْمَقَامَاتِ
مُخْتَلِفَةٌ وَلِكُلِّ مَقَامٍ أُسْلُوبٌ يَخُصُّهُ مِنْ إِطْنَابٍ أَوْ إِيجَازٍ أَوْ
حَذْفٍ أَوْ إِثْبَاتٍ أَوْ تَصْرِيحٍ أَوْ إِشَارَةٍ وَكِنَايَةٍ وَٱسْتِعَارَةٍ.
وَأَمَّا إِجْرَاءُ ٱلْخِطَابَاتِ ٱلسُّلْطَانِيَّةِ عَلَى هٰذَا ٱلنَّحْوِ ٱلَّذِي هُوَ
عَلَى أَسَالِيبِ ٱلشِّعْرِ فَمَذْمُومٌ وَمَا حَمَلَ عَلَيْهِ أَهْلَ ٱلْعَصْرِ
إِلَّا ٱسْتِيلَاءُ ٱلْعُجْمَةِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَقُصُورُهُمْ لِذٰلِكَ عَنْ
إِعْطَاءِ ٱلْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى ٱلْحَالِ فَعَجَزُوا عَنِ
ٱلْكَلَامِ ٱلْمُرْسَلِ لِبُعْدِ أَمَدِهِ فِي ٱلْبَلَاغَةِ وَٱنْفِسَاحِ خَطْوَتِهِ
وَوَلِعُوا بِهٰذَا ٱلْمُسَجَّعِ يُلَفِّقُونَ بِهِ مَا نَقَصَهُمْ مِنْ تَطْبِيقِ ٱلْكَلَامِ
عَلَى ٱلْمَقْصُودِ وَمُقْتَضَى ٱلْحَالِ فِيهِ وَيَجْبُرُونَهُ بِذٰلِكَ ٱلْقَدْرِ
مِنَ ٱلتَّزْيِينِ بِٱلْأَسْجَاعِ وَٱلْأَلْقَابِ ٱلْبَدِيعَةِ وَيَغْفُلُونَ عَمَّا
سِوَى ذٰلِكَ. وَأَكْثَرُ مَنْ أَخَذَ بِهٰذَا ٱلْفَنِّ وَبَالَغَ فِيهِ فِي سَائِرِ
أَنْحَاءِ كَلَامِهِمْ كُتَّابُ ٱلْمَشْرِقِ وَشُعَرَاؤُهُ لِهٰذَا ٱلْعَهْدِ حَتَّى
إِنَّهُمْ لَيُخِلُّونَ بِٱلْإِعْرَابِ فِي ٱلْكَلِمَاتِ وَٱلتَّصْرِيفِ إِذَا دَخَلَتْ
لَهُمْ فِي تَجْنِيسٍ أَوْ مُطَابَقَةٍ لَا يَجْتَمِعَانِ مَعَهَا فَيُرَجِّحُونَ ذٰلِكَ
ٱلصِّنْفَ مِنَ ٱلتَّجْنِيسِ وَيَدَعُونَ ٱلْإِعْرَابَ وَيُفْسِدُونَ بِنِيَةَ
ٱلْكَلِمَةِ عَسَاهَا تُصَادِفُ ٱلتَّجْنِيسَ. فَتَأَمَّلْ ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمْنَاهُ

لَكَ تَقِفْ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ وَاللهُ الْمُوَفِّقُ إِلَى الصَّوَابِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ (عن ابن خلدون)

أَلْفَصْلُ الْخَامِسُ

فِي السَّجْعِ

إِعْلَمْ أَنَّ السَّجْعَ قَدْ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ. الْأَوَّلُ أَنْ يَكُونَ الْفَصْلَانِ مُتَسَاوِيَيْنِ لَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ. وَقَوْلِهِ تَعَالَى وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا. فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا. فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا. فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا. فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا. أَلَا تَرَى كَيْفَ جَاءَتْ هٰذِهِ الْفُصُولُ مُتَسَاوِيَةَ الْأَجْزَاءِ حَتَّى كَأَنَّهَا أُفْرِغَتْ فِي قَالَبٍ وَاحِدٍ. وَأَمْثَالُ ذٰلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَثِيرَةٌ وَهُوَ أَشْرَفُ السَّجْعِ مَنْزِلَةً لِلِاعْتِدَالِ الَّذِي فِيهِ

أَلْقِسْمُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ الْفَصْلُ الثَّانِي أَطْوَلَ مِنَ الْأَوَّلِ لَا طُولًا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ الِاعْتِدَالِ خُرُوجًا كَثِيرًا فَإِنَّهُ يَقْبُحُ عِنْدَ ذٰلِكَ وَيُسْتَكْرَهُ وَيُعَدُّ عَيْبًا. فَمِمَّا جَاءَ مِنْ ذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ

سعيرًا. إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا. وإذا ألقوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين دعوا هنالك ثبورًا. ألا ترى أن الفصل الأول ثماني لفظات والفصل الثاني والثالث تسع تسع. ويستثنى من هذا القسم ما كان من السجع على ثلاث فقر فإن الفقرتين الأوليين تحسبان في عدة واحدة ثم تأتي الثالثة فينبغي أن تكون طويلة طولًا يزيد عليهما فإذا كانت الأولى والثانية أربع لفظات أربع لفظات تكون الثالثة عشر لفظات أو إحدى عشرة. إلا أنه لا ينبغي أن تجعل ذلك قياسًا مطردًا في السجعات الثلاث أين وقعت من الكلام بل تعلم أن الجواز يعم الجانبين من التساوي في السجعات الثلاث ومن زيادة السجعة الثالثة. ألا ترى أنه قد ورد ثلاث سجعات متساويات في القرآن الكريم كقوله تعالى وأصحاب اليمين. ما أصحاب اليمين. في سدر مخضود. وطلح منضود. وظل ممدود. فهذه السجعات كلها من لفظتين لفظتين ولو جعلت الثالثة منها خمس لفظات أو ستًا لما كان ذلك معيبًا

القسم الثالث أن يكون الفصل الآخر أقصر من

ٱلْأَوَّلِ وَهُوَ عِنْدِي عَيْبٌ فَاحِشٌ وَسَبَبُ ذٰلِكَ أَنَّ ٱلسَّجْعَ يَكُونُ قَدِ ٱسْتَوْفَى أَمَدَهُ مِنَ ٱلْفَصْلِ ٱلْأَوَّلِ بِحُكْمِ طُولِهِ ثُمَّ يَجِيءُ ٱلْفَصْلُ ٱلثَّانِي قَصِيرًا عَنِ ٱلْأَوَّلِ فَيَكُونُ كَالشَّيْءِ ٱلْمَبْتُورِ فَيَبْقَى ٱلْإِنْسَانُ عِنْدَ سَمَاعِهِ كَمَنْ يُرِيدُ ٱلِانْتِهَاءَ إِلَى غَايَةٍ فَيَعْثُرُ دُونَهَا

وَإِذِ ٱنْتَهَيْنَا إِلَى هٰهُنَا وَبَيَّنَّا أَقْسَامَ ٱلسَّجْعِ وَلُبَّهُ وَقُشُورَهُ فَسَنَقُولُ فِيهِ قَوْلًا كُلِّيًّا وَهُوَ أَنَّ ٱلسَّجْعَ عَلَى ٱخْتِلَافِ أَقْسَامِهِ ضَرْبَانِ احَدُهُمَا يُسَمَّى ٱلسَّجْعَ ٱلْقَصِيرَ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ ٱلسَّجْعَتَيْنِ مُؤَلَّفَةً مِنَ ٱلْفَاظٍ قَلِيلَةٍ وَكُلَّمَا قَلَّتِ ٱلْأَلْفَاظُ كَانَ أَحْسَنَ لِقُرْبِ ٱلْفَوَاصِلِ ٱلْمَسْجُوعَةِ مِنْ سَمْعِ ٱلسَّامِعِ وَهٰذَا ٱلضَّرْبُ اوْعَرُ ٱلسَّجْعِ مَذْهَبًا وَأَبْعَدُهُ مُتَنَاوَلًا وَلَا يَكَادُ ٱسْتِعْمَالُهُ يَقَعُ إِلَّا نَادِرًا. وَٱلضَّرْبُ ٱلْآخَرُ يُسَمَّى ٱلسَّجْعَ ٱلطَّوِيلَ وَهُوَ ضِدُّ ٱلْأَوَّلِ لِأَنَّهُ أَسْهَلُ مُتَنَاوَلًا. وَإِنَّمَا كَانَ ٱلْقَصِيرُ مِنَ ٱلسَّجْعِ أَوْعَرَ مَسْلَكًا مِنَ ٱلطَّوِيلِ لِأَنَّ ٱلْمَعْنَى إِذَا صِيغَ بِأَلْفَاظٍ قَصِيرَةٍ عَزَّ مُؤَاتَاةُ ٱلسَّجْعِ فِيهِ لِقِصَرِ تِلْكَ ٱلْأَلْفَاظِ وَضِيقِ ٱلْمَجَالِ فِي ٱسْتِجْلَابِهِ وَأَمَّا ٱلطَّوِيلُ فَإِنَّ ٱلْأَلْفَاظَ تَطُولُ فِيهِ وَيُسْتَجْلَبُ لَهُ ٱلسَّجْعُ مِنْ حَيْثُ وَلَيْسَ كَمَا

Digitized by Google

يُقَالُ وَكَانَ ذٰلِكَ سَهْلًا. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هٰذَيْنِ الضَّرْبَيْنِ تَتَفَاوَتُ دَرَجَاتُهُ فِي عِدَّةِ الْأَلْفَاظِ. أَمَّا السَّجْعُ الْقَصِيرُ فَأَحْسَنُهُ مَا كَانَ مُؤَلَّفًا مِنْ لَفْظَتَيْنِ لَفْظَتَيْنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا. فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا. وَقَوْلِهِ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ. وَمِنْهُ مَا يَكُونُ مُؤَلَّفًا مِنْ ثَلَاثَةِ أَلْفَاظٍ وَأَرْبَعَةٍ وَخَمْسَةٍ وَكَذٰلِكَ الْعَشَرَةُ وَمَا زَادَ عَلَى ذٰلِكَ فَهُوَ مِنَ السَّجْعِ الطَّوِيلِ. فَمِمَّا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. وَقَوْلُهُ تَعَالَى اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ. وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ. وَأَمَّا السَّجْعُ الطَّوِيلُ فَإِنَّ دَرَجَاتِهِ تَتَفَاوَتُ فِي الطُّولِ أَيْضًا فَمِنْهُ مَا يَقْرُبُ مِنَ السَّجْعِ الْقَصِيرِ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ تَأْلِيفُهُ مِنْ إِحْدَى عَشْرَةَ إِلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَفْظَةً وَأَكْثَرُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ لَفْظَةً كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ. وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ. فَالْأُولَى إِحْدَى عَشْرَةَ لَفْظَةً وَالثَّانِيَةُ

ثلاث عشرة لفظة . وكذلك قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم . فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم . ومن السجع الطويل ما يكون تأليفه من العشرين لفظة فما حولها كقوله تعالى إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور . وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور . ومن السجع الطويل أيضا ما يزيد على هذه العدة المذكورة وهو غير مضبوط

(عن المثل السائر)

الفصل السادس

في كيفية عمل الشعر ووجه تعلمه

اعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطا أولها الحفظ من جنسه أي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ويتخير المحفوظ من الجزل

ٱلنَّقِيِّ ٱلْكَثِيرِ ٱلْأَسَالِيبِ. وَهٰذَا ٱلْمَحْفُوظُ ٱلْمُخْتَارُ أَقَلُّ مَا يَكْفِي فِيهِ شِعْرُ شَاعِرٍ مِنَ ٱلْفُحُولِ ٱلْإِسْلَامِيِّينَ مِثْلِ ٱبْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَكُثَيِّرٍ وَذِي ٱلرُّمَّةِ وَجَرِيرٍ وَأَبِي نُوَاسٍ وَحَبِيبٍ وَٱلْبُحْتُرِيِّ وَٱلرَّضِيِّ وَأَبِي فِرَاسٍ وَأَكْثَرُهُ شِعْرُ كِتَابِ ٱلْأَغَانِيِّ لِأَنَّهُ جَمَعَ شِعْرَ أَهْلِ ٱلطَّبَقَةِ ٱلْإِسْلَامِيَّةِ كُلَّهُ وَٱلْمُخْتَارَ مِنْ شِعْرِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ. وَمَنْ كَانَ خَالِيًا مِنَ ٱلْمَحْفُوظِ فَنَظْمُهُ قَاصِرٌ رَدِيءٌ وَلَا يُعْطِيهِ ٱلرَّوْنَقَ وَٱلْحَلَاوَةَ إِلَّا كَثْرَةُ ٱلْمَحْفُوظِ. فَمَنْ قَلَّ حِفْظُهُ أَوْ عُدِمَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شِعْرٌ وَإِنَّمَا هُوَ نَظْمٌ سَاقِطٌ وَٱجْتِنَابُ ٱلشِّعْرِ أَوْلَى بِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَحْفُوظٌ. ثُمَّ بَعْدَ ٱلِٱمْتِلَاءِ مِنَ ٱلْحِفْظِ وَشَحْذِ ٱلْقَرِيحَةِ لِلنَّسْجِ عَلَى ٱلْمِنْوَالِ يُقْبِلُ عَلَى ٱلنَّظْمِ وَبِٱلْإِكْثَارِ مِنْهُ تَسْتَحْكِمُ مَلَكَتُهُ وَتَرْسُخُ. وَرُبَّمَا يُقَالُ إِنَّ مِنْ شَرْطِهِ نِسْيَانَ ذٰلِكَ ٱلْمَحْفُوظِ لِتُمْحَى رُسُومُهُ ٱلْحَرْفِيَّةُ ٱلظَّاهِرَةُ إِذْ هِيَ صَادَّةٌ عَنِ ٱسْتِعْمَالِهَا بِعَيْنِهَا فَإِذَا نَسِيَهَا وَقَدْ تَكَيَّفَتِ ٱلنَّفْسُ بِهَا ٱنْتَقَشَ ٱلْأُسْلُوبُ فِيهَا كَأَنَّهُ مِنْوَالٌ يَأْخُذُ فِي ٱلنَّسْجِ عَلَيْهِ بِأَمْثَالِهَا مِنْ كَلِمَاتٍ أُخْرَى ضَرُورَةً. ثُمَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ ٱلْخَلْوَةِ وَٱسْتِجَادَةِ ٱلْمَكَانِ ٱلْمَنْظُورِ فِيهِ مِنَ ٱلْمِيَاهِ وَٱلْأَزْهَارِ وَكَذَا ٱلْمَسْمُوعُ لِٱسْتِنَارَةِ ٱلْقَرِيحَةِ بِٱسْتِجْمَاعِهَا

Digitized by Google

وَتَنْشِيطِهَا بِمَلَاذِّ ٱلسُّرُورِ. ثُمَّ مَعَ هٰذَا كُلِّهِ فَشَرْطُهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى جِمَامٍ وَنَشَاطٍ فَذٰلِكَ أَجْمَعُ لَهُ وَأَنْشَطُ لِلْقَرِيحَةِ أَنْ تَأْتِيَ بِمِثْلِ ذٰلِكَ ٱلْمِنْوَالِ ٱلَّذِي فِي حِفْظِهِ. قَالُوا وَخَيْرُ ٱلْأَوْقَاتِ لِذٰلِكَ أَوْقَاتُ ٱلْبُكَرِ عِنْدَ ٱلْهُبُوبِ مِنَ ٱلنَّوْمِ وَفَرَاغِ ٱلْمَعِدَةِ وَنَشَاطِ ٱلْفِكْرِ وَفِي هٰؤُلَاءِ ٱلْجِمَامُ. وَرُبَّمَا قَالُوا إِنَّ مِنْ بَوَاعِثِهِ ٱلْعِشْقَ وَٱلِٱنْتِشَاءَ ذَكَرَ ذٰلِكَ ٱبْنُ رَشِيقٍ فِي كِتَابِ ٱلْعُمْدَةِ وَهُوَ ٱلْكِتَابُ ٱلَّذِي ٱنْفَرَدَ بِهٰذِهِ ٱلصِّنَاعَةِ وَإِعْطَاءِ حَقِّهَا وَلَمْ يَكْتُبْ فِيهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ. قَالُوا فَإِنِ ٱسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ بَعْدَ هٰذَا كُلِّهِ فَلْيَتْرُكْهُ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ وَلَا يُكْرِهْ نَفْسَهُ عَلَيْهِ. وَلْيَكُنْ بِنَاءُ ٱلْبَيْتِ عَلَى ٱلْقَافِيَةِ مِنْ أَوَّلِ صَوْغِهِ وَنَسْجِهِ يَضَعُهَا وَيَبْنِي ٱلْكَلَامَ عَلَيْهَا إِلَى آخِرِهِ لِأَنَّهُ إِنْ غَفَلَ عَنْ بِنَاءِ ٱلْبَيْتِ عَلَى ٱلْقَافِيَةِ صَعُبَ عَلَيْهِ وَضْعُهَا فِي مَحَلِّهَا فَرُبَّمَا تَجِيءُ نَافِرَةً قَلِقَةً. وَإِذَا سَمَحَ ٱلْخَاطِرُ بِٱلْبَيْتِ وَلَمْ يُنَاسِبِ ٱلَّذِي عِنْدَهُ فَلْيَتْرُكْهُ إِلَى مَوْضِعِهِ ٱلْأَلْيَقِ بِهِ فَإِنَّ كُلَّ بَيْتٍ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا ٱلْمُنَاسَبَةُ فَلْيَتَخَيَّرْ فِيهَا كَمَا يَشَاءُ وَلْيُرَاجِعْ شِعْرَهُ بَعْدَ ٱلْخَلَاصِ مِنْهُ بِٱلتَّنْقِيحِ وَٱلنَّقْدِ وَلَا يَضَنَّ بِهِ عَلَى ٱلتَّرْكِ إِذَا لَمْ يَبْلُغِ ٱلْإِجَادَةَ فَإِنَّ ٱلْإِنْسَانَ

مَفْتُونٌ بِشِعْرِهِ إِذْ هُوَ بَنَاتُ فِكْرِهِ وَاخْتِرَاعُ قَرِيحَتِهِ وَلَا يَسْتَعْمِلْ فِيهِ مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا الْأَفْصَحَ مِنَ التَّرَاكِيبِ وَالْخَالِصَ مِنَ الضَّرُورَاتِ اللِّسَانِيَّةِ فَلْيَهْجُرْهَا فَإِنَّهَا تَنْزِلُ بِالْكَلَامِ عَنْ طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ · وَقَدْ حَظَرَ أَئِمَّةُ اللِّسَانِ عَلَى الْمُوَلَّدِ ارْتِكَابَ الضَّرُورَةِ إِذْ هُوَ فِي سَعَةٍ مِنْهَا بِالْعُدُولِ عَنْهَا إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمُثْلَى مِنَ الْمَلَكَةِ · وَيَجْتَنِبُ أَيْضًا الْمُعَقَّدَ مِنَ التَّرَاكِيبِ جُهْدَهُ وَإِنَّمَا يَقْصِدُ مِنْهَا مَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ أَلْفَاظَهُ إِلَى الْفَهْمِ وَكَذَلِكَ كَثْرَةُ الْمَعَانِي فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ فَإِنَّ فِيهَا نَوْعَ تَعْقِيدٍ عَلَى الْفَهْمِ وَإِنَّمَا الْمُخْتَارُ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَتْ أَلْفَاظُهُ طِبْقًا عَلَى مَعَانِيهِ أَوْ أَوْفَى فَإِنْ كَانَتِ الْمَعَانِي كَثِيرَةً كَانَ حَشْوًا وَاسْتَعْمَلَ الذِّهْنُ بِالْغَوْصِ عَلَيْهَا فَمَنَعَ الذَّوْقَ عَنِ اسْتِيفَاءِ مُدْرَكِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ · وَلَا يَكُونُ الشِّعْرُ سَهْلًا إِلَّا إِذَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ أَلْفَاظَهُ إِلَى الذِّهْنِ وَلِهَذَا كَانَ شُيُوخُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَعِيبُونَ شِعْرَ أَبِي بَكْرِ بْنِ خَفَاجَةَ شَاعِرِ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ لِكَثْرَةِ مَعَانِيهِ وَازْدِحَامِهَا فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ كَمَا كَانُوا يَعِيبُونَ شِعْرَ الْمُتَنَبِّي وَالْمَعَرِّيِّ بِعَدَمِ النَّسْجِ عَلَى الْأَسَالِيبِ الْعَرَبِيَّةِ

كَمَا مَرَّ فَكَانَ شِعْرُهُمَا كَلَامًا مَنْظُومًا نَازِلًا عَنْ طَبَقَةِ الشِّعْرِ وَالْحَاكِمُ بِذٰلِكَ هُوَ الذَّوْقُ. وَلْيَتَجَنَّبِ الشَّاعِرُ أَيْضًا الْحُوشِيَّ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمُقَصَّرَ وَكَذٰلِكَ السُّوقِيَّ الْمُبْتَذَلَ فَإِنَّهُ يَنْزِلُ بِالْكَلَامِ عَنْ طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ أَيْضًا فَيَصِيرُ مُبْتَذَلًا وَيَقْرُبُ مِنْ عَدَمِ الْإِفَادَةِ كَقَوْلِهِمِ النَّارُ حَارَّةٌ وَالسَّمَاءُ فَوْقَنَا وَبِمِقْدَارِ مَا يَقْرُبُ مِنْ طَبَقَةِ عَدَمِ الْإِفَادَةِ يَبْعُدُ عَنْ رُتْبَةِ الْبَلَاغَةِ إِذْ هُمَا طَرَفَانِ. وَلِهٰذَا كَانَ الشِّعْرُ فِي الرَّبَّانِيَّاتِ وَالنَّبَوِيَّاتِ قَلِيلَ الْإِجَادَةِ فِي الْغَالِبِ وَلَا يَحْذِقُهُ إِلَّا الْفُحُولُ لِأَنَّ مَعَانِيَهَا مُتَدَاوَلَةٌ بَيْنَ الْجُمْهُورِ فَتَصِيرُ مُبْتَذَلَةً لِذٰلِكَ. وَإِذَا تَعَذَّرَ الشِّعْرُ بَعْدَ هٰذَا كُلِّهِ فَلْيُرَاوِضْهُ وَيُعَاوِدْهُ فَإِنَّ الْقَرِيحَةَ مِثْلُ الضَّرْعِ يَدِرُّ بِالْإِمْتِرَاءِ وَيَجِفُّ بِالتَّرْكِ. وَبِالْجُمْلَةِ فَهٰذِهِ الصِّنَاعَةُ وَتَعَلُّمُهَا مُسْتَوْفًى فِي كِتَابِ الْعُمْدَةِ لِابْنِ رَشِيقٍ وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهَا مَا حَضَرَنَا بِحَسْبِ الْجُهْدِ وَمَنْ أَرَادَ اسْتِيفَاءَ ذٰلِكَ فَعَلَيْهِ بِذٰلِكَ الْكِتَابِ فَفِيهِ الْبُغْيَةُ مِنْ ذٰلِكَ وَهٰذِهِ نُبْذَةٌ كَافِيَةٌ وَاللّٰهُ الْمُعِينُ

(عن ابن خلدون)

Digitized by Google

قَالَ ٱلْوَلِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ ٱلْبُحْتُرِيُّ كُنْتُ فِي حَدَاثَتِي أَرُومُ ٱلشِّعْرَ وَكُنْتُ أَرْجِعُ فِيهِ إِلَى طَبْعِي وَلَمْ أَكُنْ أَقِفُ عَلَى تَسْهِيلِ مَأْخَذِهِ وَوُجُوهِ ٱقْتِضَابِهِ حَتَّى قَصَدْتُ أَبَا تَمَّامٍ وَٱنْقَطَعْتُ فِيهِ إِلَيْهِ وَٱتَّكَلْتُ فِي تَعْرِيفِهِ عَلَيْهِ فَكَانَ أَوَّلُ مَا قَالَ لِي يَا أَبَا عُبَادَةَ تَخَيَّرِ ٱلْأَوْقَاتَ وَأَنْتَ قَلِيلُ ٱلْهُمُومِ صِفْرٌ مِنَ ٱلْغُمُومِ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْعَادَةَ جَرَتْ فِي ٱلْأَوْقَاتِ أَنْ يَقْصِدَ ٱلْإِنْسَانُ لِتَأْلِيفِ شَيْءٍ أَوْ حِفْظِهِ فِي وَقْتِ ٱلسَّحَرِ وَذٰلِكَ أَنَّ ٱلنَّفْسَ تَكُونُ قَدْ أَخَذَتْ حَظَّهَا مِنَ ٱلرَّاحَةِ وَقِسْطَهَا مِنَ ٱلنَّوْمِ. وَإِنْ أَرَدْتَ ٱلتَّشْبِيبَ فَٱجْعَلِ ٱللَّفْظَ رَقِيقًا وَٱلْمَعْنَى رَشِيقًا وَأَكْثِرْ فِيهِ مِنْ بَيَانِ ٱلصَّبَابَةِ وَتَوَجُّعِ ٱلْكَآبَةِ وَقَلَقِ ٱلْأَشْوَاقِ وَلَوْعَةِ ٱلْفِرَاقِ. فَإِذَا أَخَذْتَ فِي مَدِيحِ سَيِّدٍ ذِي أَيَادٍ فَٱشْهَرْ مَنَاقِبَهُ وَأَظْهِرْ مَنَاسِبَهُ وَأَبِنْ مَعَالِمَهُ وَشَرِّفْ مَقَامِهِ وَنَضِّدِ ٱلْمَعَانِيَ وَٱحْذَرِ ٱلْمَجْهُولَ مِنْهَا وَإِيَّاكَ أَنْ تَشِينَ شِعْرَكَ بِٱلْأَلْفَاظِ ٱلرَّدِيئَةِ وَكُنْ كَأَنَّكَ خَيَّاطٌ يَقْطَعُ ٱلثِّيَابَ عَلَى مَقَادِيرِ ٱلْأَجْسَادِ. وَإِذَا عَارَضَكَ ٱلضَّجَرُ فَٱرِحْ نَفْسَكَ وَلَا تَعْمَلْ شِعْرَكَ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِغُ ٱلْقَلْبِ وَٱجْعَلْ شَهْوَتَكَ لِقَوْلِ

ٱلشِّعْرِ ٱلذَّرِيعَةَ إِلَى حُسْنِ نَظْمِهِ فَإِنَّ ٱلشَّهْوَةَ نِعْمَ ٱلْمُعِينُ. وَجُمْلَةُ ٱلْحَالِ أَنْ تَعْتَبِرَ شِعْرَكَ بِمَا سَلَفَ مِنْ شِعْرِ ٱلْمَاضِينَ فَمَا ٱسْتَحْسَنَ ٱلْعُلَمَآءُ فَٱقْصِدْهُ وَمَا تَرَكُوهُ فَٱجْتَنِبْهُ تَرْشُدْ إِنْ شَآءَ ٱللهُ. قَالَ فَأَعْمَلْتُ نَفْسِي فِي مَا قَالَ فَوَقَفْتُ عَلَى ٱلسِّيَاسَةِ

(من كتاب زهر الآداب)

ٱلْفَصْلُ ٱلسَّابِعُ

فِي ٱلْفَصَاحَةِ وَٱلْبَلَاغَةِ وَفِيهِ قِسْمَانِ

ٱلْقِسْمُ ٱلْأَوَّلُ

فِي ٱلْفَصَاحَةِ

إِعْلَمْ أَنَّ هٰذَا بَابٌ مُتَعَذِّرٌ عَلَى ٱلْوَالِجِ وَمَسْلَكٌ مُتَوَعِّرٌ عَلَى ٱلنَّاهِجِ وَلَمْ يَزَلِ ٱلْعُلَمَآءُ مِنْ قَدِيمِ ٱلْوَقْتِ وَحَدِيثِهِ يُكْثِرُونَ ٱلْقَوْلَ فِيهِ وَٱلْبَحْثَ عَنْهُ وَلَمْ أَجِدْ مِنْ ذٰلِكَ مَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ إِلَّا ٱلْقَلِيلَ. وَغَايَةُ مَا يُقَالُ فِي هٰذَا ٱلْبَابِ أَنَّ ٱلْفَصَاحَةَ هِيَ ٱلظُّهُورُ وَٱلْبَيَانُ فِي أَصْلِ ٱلْوَضْعِ ٱللُّغَوِيِّ يُقَالُ أَفْصَحَ

Digitized by Google

ٱلصُّبْحُ إِذَا ظَهَرَ ثُمَّ إِنَّهُمْ يَقِفُونَ عِنْدَ ذٰلِكَ وَلَا يَكْشِفُونَ عَنِ ٱلسِّرِّ فِيهِ. وَبِهٰذَا ٱلْقَوْلِ لَا تَتَبَيَّنُ حَقِيقَةُ ٱلْفَصَاحَةِ لِأَنَّهُ يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ بِوُجُوهٍ مِنَ ٱلِٱعْتِرَاضَاتِ. أَحَدُهَا أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنِ ٱللَّفْظُ ظَاهِرًا بَيِّنًا لَمْ يَكُنْ فَصِيحًا ثُمَّ إِذَا ظَهَرَ وَتَبَيَّنَ صَارَ فَصِيحًا. ٱلْوَجْهُ ٱلثَّانِي أَنَّهُ إِذَا كَانَ ٱللَّفْظُ ٱلْفَصِيحُ هُوَ ٱلظَّاهِرَ ٱلْبَيِّنَ فَقَدْ صَارَ ذٰلِكَ بِٱلنِّسَبِ وَٱلْإِضَافَاتِ إِلَى ٱلْأَشْخَاصِ فَإِنَّ ٱللَّفْظَ قَدْ يَكُونُ ظَاهِرًا لِزَيْدٍ وَلَا يَكُونُ ظَاهِرًا لِعَمْرٍو فَهُوَ إِذَنْ فَصِيحٌ عِنْدَ هٰذَا وَغَيْرُ فَصِيحٍ عِنْدَ هٰذَا. وَلَيْسَ كَذٰلِكَ بَلِ ٱلْفَصِيحُ هُوَ فَصِيحٌ عِنْدَ ٱلْجَمِيعِ لَا خِلَافَ فِيهِ بِحَالٍ مِنَ ٱلْأَحْوَالِ لِأَنَّهُ إِذَا تَحَقَّقَ حَدُّ ٱلْفَصَاحَةِ وَعُرِفَ مَاهِيَّتُهَا لَمْ يَبْقَ فِي ٱللَّفْظِ ٱلَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ خِلَافٌ. ٱلْوَجْهُ ٱلثَّالِثُ أَنَّهُ إِذَا جِيءَ بِلَفْظٍ قَبِيحٍ يَنْبُو عَنْهُ ٱلسَّمْعُ وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ ظَاهِرٌ بَيِّنٌ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فَصِيحًا وَلَيْسَ كَذٰلِكَ لِأَنَّ ٱلْفَصَاحَةَ وَصْفُ حُسْنٍ لِلَّفْظِ لَا وَصْفُ قُبْحٍ. فَهٰذِهِ ٱلِٱعْتِرَاضَاتُ ٱلثَّلَاثَةُ وَارِدَةٌ عَلَى قَوْلِ ٱلْقَائِلِ إِنَّ ٱللَّفْظَ ٱلْفَصِيحَ هُوَ ٱلظَّاهِرُ ٱلْبَيِّنُ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ. وَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَى أَقْوَالِ ٱلنَّاسِ فِي هٰذَا

ٱلْبَابِ مَلَكَتْنِي ٱلْحَيْرَةُ فِيهَا. وَلَمْ يَثْبُتْ عِنْدِي مِنْهَا مَا أُعَوِّلُ عَلَيْهِ وَلِكَثْرَةِ مُلَابَسَتِي هٰذَا ٱلْفَنَّ وَمُعَارَكَتِي إِيَّاهُ ٱنْكَشَفَ لِيَ ٱلسِّرُّ فِيهِ وَسَأُوضِحُهُ فِي كِتَابِي هٰذَا وَأُحَقِّقُ ٱلْقَوْلَ فِيهِ فَأَقُولُ. إِنَّ ٱلْكَلَامَ ٱلْفَصِيحَ هُوَ ٱلظَّاهِرُ ٱلْبَيِّنُ وَأَعْنِي بِٱلظَّاهِرِ ٱلْبَيِّنِ أَنْ تَكُونَ أَلْفَاظُهُ مَفْهُومَةً لَا يُحْتَاجُ فِي فَهْمِهَا إِلَى ٱسْتِخْرَاجٍ مِنْ كِتَابِ لُغَةٍ. وَإِنَّمَا كَانَتْ بِهٰذِهِ ٱلصِّفَةِ لِأَنَّهَا تَكُونُ مَأْلُوفَةَ ٱلِٱسْتِعْمَالِ بَيْنَ أَرْبَابِ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ دَائِرَةً فِي كَلَامِهِمْ. وَإِنَّمَا كَانَتْ مَأْلُوفَةَ ٱلِٱسْتِعْمَالِ دَائِرَةً فِي ٱلْكَلَامِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ لِمَكَانِ حُسْنِهَا. وَذٰلِكَ أَنَّ أَرْبَابَ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ غَرْبَلُوا ٱللُّغَةَ بِٱعْتِبَارِ أَلْفَاظِهَا وَسَبَرُوا وَقَسَّمُوا فَٱخْتَارُوا ٱلْحَسَنَ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ فَٱسْتَعْمَلُوهُ وَنَفَوُا ٱلْقَبِيحَ مِنْهَا فَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ فَحُسْنُ ٱلِٱسْتِعْمَالِ سَبَبُ ٱسْتِعْمَالِهَا دُونَ غَيْرِهَا وَٱسْتِعْمَالُهَا سَبَبُ ظُهُورِهَا وَبَيَانِهَا. فَٱلْفَصِيحُ إِذَنْ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ هُوَ ٱلْحَسَنُ. فَإِنْ قِيلَ مِنْ أَيِّ وَجْهٍ عَلِمَ أَرْبَابُ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ ٱلْحَسَنَ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ حَتَّى ٱسْتَعْمَلُوهُ وَعَلِمُوا ٱلْقَبِيحَ مِنْهَا حَتَّى نَفَوْهُ وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ. قُلْتُ فِي ٱلْجَوَابِ إِنَّ هٰذَا مِنَ ٱلْأُمُورِ

ٱلْمَحْسُوسَةِ ٱلَّتِي شَاهِدُهَا مِنْ نَفْسِهَا لِأَنَّ ٱلْأَلْفَاظَ دَاخِلَةٌ فِي
حَيِّزِ ٱلْأَصْوَاتِ فَٱلَّذِي يَسْتَلِذُّهُ ٱلسَّمْعُ مِنْهَا وَيَمِيلُ إِلَيْهِ هُوَ
ٱلْحَسَنُ وَٱلَّذِي يَكْرَهُهُ وَيَنْفِرُ عَنْهُ هُوَ ٱلْقَبِيحُ. أَلَا تَرَى أَنَّ
ٱلسَّمْعَ يَسْتَلِذُّ صَوْتَ ٱلْبُلْبُلِ مِنَ ٱلطَّيْرِ وَصَوْتَ ٱلشُّحْرُورِ
وَيَمِيلُ إِلَيْهِمَا وَيَكْرَهُ صَوْتَ ٱلْغُرَابِ وَيَنْفِرُ عَنْهُ وَكَذٰلِكَ
يَكْرَهُ نَهِيقَ ٱلْحِمَارِ وَلَا يَجِدُ ذٰلِكَ فِي صَهِيلِ ٱلْفَرَسِ. وَٱلْأَلْفَاظُ
جَارِيَةٌ هٰذَا ٱلْمَجْرَى فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ لَفْظَةَ ٱلْمُزْنَةِ
وَٱلدِّيمَةِ حَسَنَةٌ يَسْتَلِذُّهَا ٱلسَّمْعُ وَأَنَّ لَفْظَةَ ٱلْبُعَاقِ قَبِيحَةٌ
يَكْرَهُهَا ٱلسَّمْعُ. وَهٰذِهِ ٱللَّفْظَاتُ ٱلثَّلَاثُ مِنْ صِفَةِ ٱلْمَطَرِ وَهِيَ
تَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ وَمَعَ هٰذَا فَإِنَّكَ تَرَى لَفْظَتَيِ ٱلْمُزْنَةِ
وَٱلدِّيمَةِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُمَا مَأْلُوفَتَيِ ٱلِٱسْتِعْمَالِ وَتَرَى لَفْظَ
ٱلْبُعَاقِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ مَتْرُوكًا لَا يُسْتَعْمَلُ وَإِنِ ٱسْتُعْمِلَ
فَإِنَّمَا يَسْتَعْمِلُهُ جَاهِلٌ بِحَقِيقَةِ ٱلْفَصَاحَةِ أَوْ مَنْ ذَوْقُهُ غَيْرُ
ذَوْقٍ سَلِيمٍ وَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا مَحْضًا مِنَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ٱلْأُقْدَمِينَ
فَإِنَّ حَقِيقَةَ ٱلشَّيْءِ إِذَا عُلِمَتْ وَجَبَ ٱلْوُقُوفُ عِنْدَهَا وَلَمْ
يُعَرَّجْ عَلَى مَا خَرَجَ عَنْهَا

(عن المثل السائر)

Digitized by Google

ٱلْقِسْمُ ٱلثَّانِي

فِي ٱلْبَلَاغَةِ

قَالَ أَبُو ٱلْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ ٱلْبَصْرِيُّ ٱلْمَاوَرْدِيُّ لَيْسَ يَصِحُّ ٱخْتِيَارُ ٱلْكَلَامِ إِلَّا لِمَنْ أَخَذَ نَفْسَهُ بِٱلْبَلَاغَةِ وَكَلَّفَهَا لُزُومَ ٱلْفَصَاحَةِ حَتَّى يَصِيرَ مُتَدَرِّبًا بِهَا مُعْتَادًا لَهَا فَلَا يَأْتِيَ بِكَلَامٍ مُسْتَكْرَهِ ٱللَّفْظِ وَلَا مُخْتَلِّ ٱلْمَعْنَى لِأَنَّ ٱلْبَلَاغَةَ لَيْسَتْ عَلَى مَعَانٍ مُفْرَدَةٍ وَلَا لِأَلْفَاظِهَا غَايَةٌ وَإِنَّمَا ٱلْبَلَاغَةُ تَكُونُ بِٱلْمَعَانِي ٱلصَّحِيحَةِ مُسْتَوْدَعَةً فِي أَلْفَاظٍ فَصِيحَةٍ فَتَكُونُ فَصَاحَةُ ٱلْأَلْفَاظِ مَعَ صِحَّةِ ٱلْمَعَانِي هِيَ ٱلْبَلَاغَةَ وَقَدْ قِيلَ لِلْيُونَانِيِّ مَا ٱلْبَلَاغَةُ قَالَ ٱخْتِيَارُ ٱلْكَلَامِ وَتَصْحِيحُ ٱلْأَقْسَامِ. وَقِيلَ ذٰلِكَ لِلرُّومِيِّ فَقَالَ حُسْنُ ٱلِٱخْتِصَارِ عِنْدَ ٱلْبَدِيهَةِ وَٱلْغَزَارَةِ يَوْمَ ٱلْإِطَالَةِ. وَقِيلَ لِلْعَرَبِيِّ فَقَالَ مَا حَسُنَ إِيجَازُهُ وَقَلَّ مَجَازُهُ. وَقِيلَ لِلْبَدَوِيِّ فَقَالَ مَا دُونَ ٱلسِّحْرِ وَفَوْقَ ٱلشِّعْرِ يَفُتُّ ٱلْخَرْدَلَ وَيَحُطُّ ٱلْجَنْدَلَ. وَقِيلَ لِلْحَضَرِيِّ فَقَالَ مَا كَثُرَ إِعْجَازُهُ وَتَنَاسَبَتْ صُدُورُهُ وَأَعْجَازُهُ. وَسَأَلَ ٱلْحَجَّاجُ ٱبْنَ ٱلْقِرِّيَّةِ عَنِ ٱلْإِيجَازِ قَالَ أَنْ تَقُولَ فَلَا تُبْطِئَ

وَأَنْ تُصِيبَ فَلَا تُخْطِئَ · وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ

خَيْرُ ٱلْكَلَامِ قَلِيلٌ ... عَلَى كَثِيرٍ دَلِيلُ
وَٱلْعِيُّ مَعْنًى قَصِيرٌ ... بِحَوْبِهِ لَفْظٌ طَوِيلُ
وَفِي ٱلْكَلَامِ فُصُولٌ ... وَفِيهِ قَالٌ وَقِيلُ

وَأَمَّا صِحَّةُ ٱلْمَعَانِي فَتَكُونُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا إِيضَاحُ تَفْسِيرِهَا حَتَّى لَا تَكُونَ مُشْكِلَةً وَلَا مُجْمَلَةً · وَٱلثَّانِي ٱسْتِيفَاءُ تَقْسِيمِهَا حَتَّى لَا يَدْخُلَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا وَلَا يَخْرُجَ عَنْهَا مَا هُوَ فِيهَا · وَٱلثَّالِثُ صِحَّةُ مُقَابَلَاتِهَا وَٱلْمُقَابَلَةُ تَكُونُ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا مُقَابَلَةُ ٱلْمَعْنَى بِمَا يُوَافِقُهُ وَحَقِيقَةُ هٰذِهِ ٱلْمُقَارَبَةُ لِأَنَّ ٱلْمَعَانِيَ تَصِيرُ مُتَشَاكِلَةً · وَٱلثَّانِي مُقَابَلَتُهُ بِمَا يُضَادُّهُ وَهُوَ حَقِيقَةُ ٱلْمُقَابَلَةِ وَلَيْسَ لِلْمُقَابَلَةِ إِلَّا أَحَدُ هٰذَيْنِ ٱلْوَجْهَيْنِ ٱلْمُوَافَقَةِ فِي ٱلِٱئْتِلَافِ وَٱلْمُضَادَّةِ مَعَ ٱلِٱخْتِلَافِ · فَأَمَّا فَصَاحَةُ ٱلْأَلْفَاظِ فَتَكُونُ بِثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا مُجَانَبَةُ ٱلْغَرِيبِ ٱلْوَحْشِيِّ حَتَّى لَا يَجُجَّهُ سَمْعٌ وَلَا يَنْفِرَ مِنْهُ طَبْعٌ · وَٱلثَّانِي تَنَكُّبُ ٱللَّفْظِ ٱلْمُبْتَذَلِ وَٱلْعُدُولُ عَنِ ٱلْكَلَامِ ٱلْمُسْتَرْذَلِ حَتَّى لَا يَسْتَسْقِطَهُ خَاصِّيٌّ وَلَا يَنْبُوَ عَنْهُ فَهْمُ عَامِّيٍّ كَمَا قَالَ ٱلْجَاحِظُ

فِي كِتَابِ ٱلْبَيَانِ. أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَرَ قَوْمًا أَمْثَلَ طَرِيقَةً فِي ٱلْبَلَاغَةِ مِنَ ٱلْكُتَّابِ وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ قَدِ ٱلْتَمَسُوا مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ مَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَعِّرًا وَحْشِيًّا وَلَا سَاقِطًا عَامِيًّا. وَٱلثَّالِثُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ ٱلْأَلْفَاظِ وَمَعَانِيهَا مُنَاسَبَةٌ وَمُطَابَقَةٌ. أَمَّا ٱلْمُطَابَقَةُ فَهِيَ أَنْ تَكُونَ ٱلْأَلْفَاظُ كَٱلْقَوَالِبِ لِمَعَانِيهَا فَلَا تَزِيدُ عَلَيْهَا وَلَا تَنْقُصُ عَنْهَا. وَقَالَ بِشْرُ بْنُ ٱلْمُعْتَمِرِ فِي وَصِيَّتِهِ فِي ٱلْبَلَاغَةِ إِذَا لَمْ تَجِدِ ٱللَّفْظَةَ وَاقِعَةً مَوْقِعَهَا وَلَا صَائِرَةً إِلَى مُسْتَقَرِّهَا وَلَا حَالَّةً فِي مَرْكَزِهَا بَلْ وَجَدْتَهَا قَلِقَةً فِي مَكَانِهَا نَافِرَةً عَنْ مَوْضِعِهَا فَلَا تُكْرِهْهَا عَلَى ٱلْقَرَارِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَعَاطَ قَرْضَ ٱلشِّعْرِ ٱلْمَوْزُونِ وَلَمْ تَتَكَلَّفِ ٱخْتِيَارَ ٱلْمَنْثُورِ لَمْ يَعِبْكَ بِتَرْكِ ذٰلِكَ أَحَدٌ وَإِذَا أَنْتَ تَكَلَّفْتَهُمَا وَلَمْ تَكُنْ حَاذِقًا فِيهِمَا عَابَكَ مَنْ أَنْتَ أَقَلُّ عَيْبًا مِنْهُ وَأَزْرَى عَلَيْكَ مَنْ أَنْتَ فَوْقَهُ. وَأَمَّا ٱلْمُنَاسَبَةُ فَهِيَ أَنْ يَكُونَ ٱلْمَعْنَى يَلِيقُ بِبَعْضِ ٱلْأَلْفَاظِ إِمَّا لِعُرْفٍ مُسْتَعْمَلٍ أَوْ لِٱتِّفَاقٍ مُسْتَحْسَنٍ حَتَّى إِذَا ذَكَرْتَ تِلْكَ ٱلْمَعَانِيَ بِغَيْرِ تِلْكَ ٱلْأَلْفَاظِ كَانَتْ نَافِرَةً عَنْهَا وَإِنْ كَانَتْ أَفْصَحَ وَأَوْضَحَ لِٱعْتِيَادِ

مَا سِوَاهَا · وَقَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَآءِ لَا يَكُونُ ٱلْبَلِيغُ بَلِيغًا حَتَّى يَكُونَ مَعْنَى كَلَامِهِ أَسْبَقَ إِلَى فَهْمِكَ مِنْ لَفْظِهِ إِلَى سَمْعِكَ

(من كتاب ادب الدنيا والدين)

ٱلْفَصْلُ ٱلثَّامِنُ

فِي ٱلْمَبَادِئِ وَٱلِٱفْتِتَاحَاتِ

إِعْلَمْ أَنَّ حَقِيقَةَ هٰذَا ٱلنَّوْعِ أَنْ يُجْعَلَ مَطْلَعُ ٱلْكَلَامِ مِنَ ٱلشِّعْرِ أَوِ ٱلرَّسَائِلِ دَالًّا عَلَى ٱلْمَعْنَى ٱلْمَقْصُودِ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْكَلَامِ إِنْ كَانَ فَتْحًا فَفَتْحًا وَإِنْ كَانَ هَنَآءً فَهَنَآءً أَوْ كَانَ عَزَآءً فَعَزَآءً وَكَذٰلِكَ يَجْرِي ٱلْحُكْمُ فِي غَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ ٱلْمَعَانِي وَفَائِدَتُهُ أَنْ يُعْرَفَ مِنْ مَبْدَإِ ٱلْكَلَامِ مَا ٱلْمُرَادُ بِهِ · وَحُكْمُ هٰذَا ٱلنَّوْعِ وَٱلْقَاعِدَةُ ٱلَّتِي يُبْنَى عَلَيْهَا أَسَاسُهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى ٱلشَّاعِرِ إِذَا نَظَمَ قَصِيدَةً أَنْ يَنْظُرَ فَإِنْ كَانَتْ مَدِيحًا صِرْفًا لَا يَخْتَصُّ بِحَادِثَةٍ مِنَ ٱلْحَوَادِثِ فَهُوَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ أَنْ يَفْتَتِحَهَا بِغَزَلٍ أَوْ لَا يَفْتَتِحَهَا بِغَزَلٍ بَلْ يَرْتَجِلَ ٱلْمَدِيحَ ٱرْتِجَالًا مِنْ أَوَّلِهَا كَقَوْلِ ٱلْقَائِلِ

إِنْ حَارَتِ ٱلْأَلْبَابُ كَيْفَ تَقُولُ
فِي ذَا ٱلْمَقَامِ فَعُذْرُهَا مَقْبُولُ
سَامِحْ بِفَضْلِكَ مَادِحِيكَ فَمَا لَهُمْ
أَبَدًا إِلَى مَا تَسْتَحِقُّ سَبِيلُ
إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا مُحْسِنٌ
فَٱلْمُحْسِنُونَ إِذَنْ لَدَيْكَ قَلِيلُ

فَإِنَّ هٰذَا ٱلشَّاعِرَ ٱرْتَجَلَ ٱلْمَدِيحَ مِنْ أَوَّلِ ٱلْقَصِيدَةِ فَأَتَى بِهِ كَمَا تَرَى حَسَنًا لَائِقًا. وَأَمَّا إِذَا كَانَ ٱلْقَصِيدُ فِي حَادِثَةٍ مِنَ ٱلْحَوَادِثِ كَفَتْحِ مُقْفَلٍ أَوْ هَزِيمَةِ جَيْشٍ أَوْ غَيْرِ ذٰلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَبْدَأَ فِيهِ بِغَزَلٍ وَإِنْ فُعِلَ ذٰلِكَ دَلَّ عَلَى ضُعْفِ قَرِيحَةِ ٱلشَّاعِرِ وَقُصُورِهِ عَنِ ٱلْغَايَةِ أَوْ عَلَى جَهْلِهِ بِوَضْعِ ٱلْكَلَامِ فِي مَوَاضِعِهِ. فَإِنْ قِيلَ إِنَّكَ قُلْتَ يَجِبُ عَلَى ٱلشَّاعِرِ كَذَا وَكَذَا فَلِمَ ذٰلِكَ قُلْتُ فِي ٱلْجَوَابِ إِنَّ ٱلْغَزَلَ رِقَّةٌ مَحْضَةٌ وَٱلْأَلْفَاظُ ٱلَّتِي تُنْظَمُ فِي ٱلْحَوَادِثِ ٱلْمُشَارِ إِلَيْهَا مِنْ فَحْلِ ٱلْكَلَامِ وَمَتِينِ ٱلْقَوْلِ وَهِيَ ضِدُّ ٱلْغَزَلِ. وَأَيْضًا فَإِنَّ ٱلْأَسْمَاعَ تَكُونُ مُتَطَلِّعَةً إِلَى مَا يُقَالُ فِي تِلْكَ ٱلْحَوَادِثِ

وَٱلْإِبْتِدَآءِ بِٱلْخَوْضِ فِي ذِكْرِهَا لَا ٱلْإِبْتِدَآءِ بِٱلْغَزَلِ إِذِ ٱلْمُهِمُّ وَاجِبُ ٱلتَّقْدِيمِ

وَمِنْ أَدَبِ هٰذَا ٱلنَّوْعِ أَنْ لَا يَذْكُرَ ٱلشَّاعِرُ فِي ٱفْتِتَاحِ قَصِيدَةٍ بِٱلْمَدِيحِ مَا يَتَطَيَّرُ مِنْهُ. وَهٰذَا يَرْجِعُ إِلَى أَدَبِ ٱلنَّفْسِ لَا إِلَى أَدَبِ ٱلدَّرْسِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَحْتَرِزَ مِنْهُ فِي مَوَاضِعِهِ كَوَصْفِ ٱلدِّيَارِ بِٱلدُّثُورِ وَٱلْمَنَازِلِ بِٱلْعَفَآءِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنْ تَشَتُّتِ ٱلْأُلَّافِ وَذَمِّ ٱلزَّمَانِ وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ فِي ٱلتَّهَانِئِ فَإِنَّهُ يَكُونُ أَشَدَّ قُبْحًا وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ ذٰلِكَ فِي ٱلْخُطُوبِ ٱلنَّازِلَةِ وَٱلنَّوَائِبِ ٱلْحَادِثَةِ وَمَتَى كَانَ ٱلْكَلَامُ فِي ٱلْمَدِيحِ مُفْتَتَحًا بِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ تَطَيَّرَ مِنْهُ سَامِعُهُ

وَإِنَّمَا خُصَّتِ ٱلْإِبْتِدَآءَاتُ بِٱلِٱخْتِيَارِ لِأَنَّهَا أَوَّلُ مَا يَطْرُقُ ٱلسَّمْعَ مِنَ ٱلْكَلَامِ فَإِذَا كَانَ ٱلْإِبْتِدَآءُ لَائِقًا بِٱلْمَعْنَى ٱلْوَارِدِ بَعْدَهُ تَوَفَّرَتِ ٱلدَّوَاعِي عَلَى ٱسْتِمَاعِهِ. وَمِنْ قَبِيحِ ٱلْإِبْتِدَآءَاتِ قَوْلُ ذِي ٱلرُّمَّةِ مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا ٱلْمَآءُ يَنْسَكِبُ لِأَنَّ مُقَابَلَةَ ٱلْمَمْدُوحِ بِهٰذَا ٱلْخِطَابِ لَا خَفَآءَ بِقُبْحِهِ وَكَرَاهَتِهِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ تَجَرَّعْ أَسًى قَدْ أَقْفَرَ ٱلْأَجْرَعُ

ٱلْفَرْدُ . وَإِنَّمَا أَلْقَى أَبَا تَمَّامٍ فِي مِثْلِ هٰذَا ٱلْمَكْرُوهِ تَتَبُّعُهُ لِلتَّجْنِيسِ بَيْنَ تَجَرَّعْ وَٱلْأَجْرَعِ . وَكَذٰلِكَ ٱسْتُقْبِحَ قَوْلُ ٱلْبُحْتُرِيِّ فُؤَادٌ مَلَاهُ ٱلْحُزْنُ حَتَّى تَصَدَّعَا . فَإِنَّ ٱبْتِدَآءَ ٱلْمَدِيحِ بِمِثْلِ هٰذَا طِيَرَةٌ يَنْبُو عَنْهَا ٱلسَّمْعُ وَهُوَ أَجْدَرُ بِأَنْ يَكُونَ ٱبْتِدَآءَ مَرْثِيَةٍ لَا مَدِيحٍ وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ يَخْفَى هٰذَا عَلَى مِثْلِ ٱلْبُحْتُرِيِّ وَهُوَ مِنْ مُفْلِقِي ٱلشُّعَرَآءِ . وَحُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا فَرَغَ ٱلْمُعْتَصِمُ مِنْ بِنَآءِ قَصْرِهِ بِٱلْمَيْدَانِ جَلَسَ فِيهِ وَجَمَعَ أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِي زِينَتِهِمْ فَمَا رَأَى ٱلنَّاسُ أَحْسَنَ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ فَٱسْتَأْذَنَ إِسْحٰقُ بْنُ إِبْرٰهِيمَ ٱلْمَوْصِلِيُّ فِي ٱلْإِنْشَادِ فَأَذِنَ لَهُ فَأَنْشَدَ شِعْرًا حَسَنًا أَجَادَ فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ ٱسْتَفْتَحَهُ بِذِكْرِ ٱلدِّيَارِ وَعَفَائِهَا فَقَالَ

يَا دَارُ غَيَّرَكِ ٱلْبِلَى وَمَحَاكِ

يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا ٱلَّذِي أَبْلَاكِ

فَتَطَيَّرَ ٱلْمُعْتَصِمُ بِذٰلِكَ وَتَغَامَزَ ٱلنَّاسُ عَلَى إِسْحٰقَ كَيْفَ ذَهَبَ عَلَيْهِ مِثْلُ ذٰلِكَ مَعَ مَعْرِفَتِهِ وَعِلْمِهِ وَطُولِ خِدْمَتِهِ لِلْمُلُوكِ . فَإِذَا أَرَادَ ٱلشَّاعِرُ أَنْ يَذْكُرَ دَارًا فِي مَدِيحِهِ فَلْيَذْكُرْ

كَمَا ذَكَرَ أَشْجَعُ ٱلسُّلَمِيُّ حَيْثُ قَالَ

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا ٱلْأَيَّامُ

وَمَا أَجْدَرَ هٰذَا ٱلْبَيْتَ بِمُفْتَتَحِ شِعْرِ إِسْحٰقَ بْنِ إِبْرٰهِيمَ ٱلَّذِي أَنْشَدَهُ لِلْمُعْتَصِمِ فَإِنَّهُ لَوْ ذَكَرَ هٰذَا أَوْ جَرَى مَجْرَاهُ لَكَانَ حَسَنًا لَائِقًا. وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ أَحْذَقِ ٱلشُّعَرَاءِ فَقَالَ مَنْ أَجَادَ ٱلِٱبْتِدَاءَ وَٱلْمَطْلَعَ. أَلَا تَرَى إِلَى قَصِيدَةِ أَبِي نُوَاسٍ ٱلَّتِي أَوَّلُهَا

يَا دَارُ مَا فَعَلَتْ بِكِ ٱلْأَيَّامُ لَمْ يَبْقَ فِيكِ بَشَاشَةٌ تُسْتَامُ

فَإِنَّهَا مِنْ أَشْرَفِ شِعْرِهِ وَأَعْلَاهُ مَنْزِلَةً وَهِيَ مَعَ ذٰلِكَ مُسْتَكْرَهَةُ ٱلِٱبْتِدَاءِ لِأَنَّهَا فِي مَدْحِ ٱلْخَلِيفَةِ ٱلْأَمِينِ وَٱفْتِتَاحُ ٱلْمَدِيحِ بِذِكْرِ ٱلدِّيَارِ وَدُثُورِهَا مِمَّا يُتَطَيَّرُ مِنْهُ وَلَا سِيَّمَا فِي مُشَافَهَةِ ٱلْخُلَفَاءِ وَٱلْمُلُوكِ وَلِهٰذَا يُخْتَارُ فِي ذِكْرِ ٱلْأَمَاكِنِ وَٱلْمَنَازِلِ مَا رَقَّ لَفْظُهُ وَحَسُنَ ٱلنُّطْقُ بِهِ كَٱلْعُذَيْبِ وَٱلْغُوَيْرِ وَرَامَةَ وَبَارِقٍ وَٱلْعَقِيقِ وَأَشْبَاهِ ذٰلِكَ

وَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ ٱلِٱبْتِدَاءِ أَنْ لَا يَكُونَ مِمَّا يُتَطَيَّرُ مِنْهُ فَقَطْ فَإِنَّ مِنَ ٱلِٱبْتِدَاءَاتِ مَا يُسْتَقْبَحُ وَإِنْ لَمْ يُتَطَيَّرْ مِنْهُ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ قَدْكَ ٱتَّئِبْ أَرْبَيْتَ فِي ٱلْغُلَوَاءِ

Digitized by Google

وَكَقَوْلِهِ يَهْجُو جَحَاتِي لَسْتُ طَوْعَ مُؤَنِّبِي وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ
الْمُتَنَبِّيِ أَقَلُّ فَعَالِي بَلْهَ أَكْثَرُهُ مَجْدٌ. وَالْعَجَبُ أَنَّ هٰذَيْنِ
الشَّاعِرَيْنِ الْمُفْلِقَيْنِ يَبْتَدِئَانِ بِمِثْلِ ذٰلِكَ وَلَهُمَا مِنَ الِابْتِدَآءَاتِ
الْحَسَنَةِ مَا أَذْكُرُهُ. أَمَّا أَبُو تَمَّامٍ فَإِنَّهُ افْتَتَحَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي مَدَحَ
بِهَا الْمُعْتَصِمَ عِنْدَ فَتْحِهِ مَدِينَةَ عَمُّورِيَّةَ فَقَالَ

أَلسَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَآءً مِنَ الْكُتُبِ
فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
بِيضُ الصَّفَائِحِ لَاسُودُ الصَّحَائِفِ فِي
مُتُونِهِنَّ جِلَآءُ الشَّكِّ وَالرِّيَبِ

فَلَمَّا فُتِحَتْ بَنَى أَبُو تَمَّامٍ مَطْلَعَ قَصِيدَتِهِ عَلَى هٰذَا الْمَعْنَى
وَجَعَلَ السَّيْفَ أَصْدَقَ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي خَبَّرَتْ بِامْتِنَاعِ
الْبَلَدِ وَاعْتِصَامِهَا. وَقَوْلُهُ فِي أَوَّلِ مَرْثِيَةٍ

أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا
وَأَصْبَحَ مَغْنَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلْقَعَا

وَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ فَإِنَّهُ أَكْثَرَ مِنَ الِابْتِدَآءَاتِ الْحَسَنَةِ فِي
شِعْرِهِ كَقَوْلِهِ فِي قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا كَافُورًا وَكَانَ قَدْ جَرَتْ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ سَيِّدِهِ نَزْغَةٌ فَبَدَأَ قَصِيدَتَهُ بِذِكْرِ الْغَرَضِ

ٱلْمَقْصُودِ فَقَالَ

حَسَمَ ٱلصُّلْحُ مَا ٱشْتَهَتْهُ ٱلْأَعَادِي
وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ ٱلْحُسَّادِ

وَهٰذَا مِنْ بَدِيعِ ٱلِٱبْتِدَآءِ وَنَادِرِهِ. وَكَذٰلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ فِي سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ وَكَانَ ٱبْنُ ٱلشُّمْشُقِيقِ حَلَفَ لَيَلْقَيَنَّهُ كِفَاحًا فَلَمَّا ٱلْتَقَيَا لَمْ يُطِقْ ذٰلِكَ وَوَلَّى هَارِبًا فَٱفْتَتَحَ أَبُو ٱلطَّيِّبِ قَصِيدَتَهُ بِفَحْوَى ٱلْأَمْرِ فَقَالَ

عُقْبَى ٱلْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى ٱلْوَغَى نَدَمُ
مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ ٱلْقَسَمُ
وَفِي ٱلْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ وَاعِدُهُ
مَا دَلَّ أَنَّكَ فِي ٱلْمِيعَادِ مُتَّهَمُ

وَمِنَ ٱلْبَدِيعِ ٱلنَّادِرِ فِي هٰذَا ٱلْبَابِ قَوْلُهُ مُتَغَزِّلًا فِي مَطْلَعِ قَصِيدَتِهِ ٱلْقَافِيَّةِ وَهِيَ

أَتُرَاهَا لِكَثْرَةِ ٱلْعُشَّاقِ تَحْسَبُ ٱلدَّمْعَ خِلْقَةً فِي ٱلْمَآقِي

وَهٰذَا ٱلْقَدْرُ مِنَ ٱلْأَمْثِلَةِ كَافٍ لِلْمُتَعَلِّمِ وَٱللّٰهُ ٱلْمُوَفِّقُ

(انتهى ملخصًا ببعض تصرُّف عن المثل السائر)

ٱلْفَصْلُ ٱلتَّاسِعُ

فِي ٱلتَّخَلُّصِ وَٱلِاقْتِضَابِ

إِعْلَمْ أَنَّ ٱلتَّخَلُّصَ هُوَ أَنْ يَأْخُذَ مُؤَلِّفُ ٱلْكَلَامِ فِي مَعْنًى مِنَ ٱلْمَعَانِي فَبَيْنَا هُوَ فِيهِ إِذْ أَخَذَ فِي مَعْنًى آخَرَ غَيْرِهِ وَجَعَلَ ٱلْأَوَّلَ سَبَبًا إِلَيْهِ فَيَكُونُ بَعْضُهُ آخِذًا بِرِقَابِ بَعْضٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْطَعَ كَلَامَهُ وَيَسْتَأْنِفَ كَلَامًا آخَرَ بَلْ يَكُونُ جَمِيعُ كَلَامِهِ كَأَنَّمَا أُفْرِغَ إِفْرَاغًا وَذٰلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى حِذْقِ ٱلشَّاعِرِ وَقُوَّةِ تَصَرُّفِهِ مِنْ أَجْلِ أَنَّ نِطَاقَ ٱلْكَلَامِ يَضِيقُ عَلَيْهِ وَيَكُونُ مُتَّبِعًا لِلْوَزْنِ وَٱلْقَافِيَةِ فَلَا تُؤَاتِيهِ ٱلْأَلْفَاظُ عَلَى حَسَبِ إِرَادَتِهِ. وَأَمَّا ٱلنَّاثِرُ فَإِنَّهُ مُطْلَقُ ٱلْعِنَانِ يَمْضِي حَيْثُ شَاءَ فَلِذٰلِكَ يَشُقُّ ٱلتَّخَلُّصُ عَلَى ٱلشَّاعِرِ أَكْثَرَ مِمَّا يَشُقُّ عَلَى ٱلنَّاثِرِ

وَأَمَّا ٱلِاقْتِضَابُ فَإِنَّهُ ضِدُّ ٱلتَّخَلُّصِ وَذَاكَ أَنْ يَقْطَعَ ٱلشَّاعِرُ كَلَامَهُ ٱلَّذِي هُوَ فِيهِ وَيَسْتَأْنِفَ كَلَامًا آخَرَ غَيْرَهُ مِنْ مَدِيحٍ أَوْ هِجَاءٍ أَوْ غَيْرِ ذٰلِكَ وَلَا يَكُونُ لِلثَّانِي عَلَاقَةٌ بِٱلْأَوَّلِ وَهُوَ مَذْهَبُ ٱلْعَرَبِ وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ ٱلْمُخَضْرَمِينَ. وَأَمَّا

ٱلْمُحْدَثُونَ فَإِنَّهُمْ تَصَرَّفُوا فِي ٱلتَّخَلُّصِ فَأَبْدَعُوا وَأَظْهَرُوا مِنْهُ كُلَّ غَرِيبَةٍ فَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ

يَقُولُ فِي قُومَسٍ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذَتْ
مِنَّا ٱلسُّرَى وَخُطَى ٱلْمَهْرِيَّةِ ٱلْقُودِ
أَمَطْلَعَ ٱلشَّمْسِ تَبْغِي أَنْ تَؤُمَّ بِنَا
فَقُلْتُ كَلَّا وَلٰكِنْ مَطْلَعَ ٱلْجُودِ

وَقَوْلُهُ

غَيْدَآءُ جَادَ وَلِيُّ ٱلْحُسْنِ سُنَّتَهَا
فَصَاغَهَا بِيَدَيْهِ رَوْضَةً أُنُفَا
يُضْحِي ٱلْعَذُولُ عَلَى تَأْنِيبِهِ كَلِفًا
بِعُذْرِ مَنْ كَانَ مَشْغُوفًا بِهَا كَلِفَا
وَدِّعْ فُؤَادَكَ تَوْدِيعَ ٱلْفِرَاقِ فَمَا
أُرَاهُ مِنْ سَفَرِ ٱلتَّوْدِيعِ مُنْصَرِفَا
يُجَاهِدُ ٱلشَّوْقَ طَوْرًا ثُمَّ يَجْذِبُهُ
جِهَادَهُ لِلْقَوَافِي فِي أَبِي دُلَفَا

وَمِمَّا جَآءَ مِنَ ٱلتَّخَلُّصَاتِ ٱلْحَسَنَةِ قَوْلُ ٱلْمُتَنَبِّئِ فِي قَصِيدَتِهِ ٱلدَّالِيَّةِ

خَلِيلَيَّ إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ
فَلِمْ مِنْهُمُ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ
فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ
وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدُ

وَهٰذَا هُوَ الْكَلَامُ الْآخِذُ بَعْضُهُ بِرِقَابِ بَعْضٍ أَلَا تَرَى إِلَى الْخُرُوجِ إِلَى مَدْحِ الْمَمْدُوحِ فِي هٰذِهِ الْأَبْيَاتِ كَأَنَّهُ أَفْرَغَ فِي قَالَبٍ وَاحِدٍ. وَكَذٰلِكَ قَوْلُهُ أَيْضًا وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ مَا أَتَى بِهِ مِنَ التَّخَلُّصَاتِ وَهُوَ فِي قَصِيدَتِهِ التَّائِيَّةِ

وَمَطَالِبٍ فِيهَا الْهِلَالُ أَتَيْتُهَا ثَبْتَ الْجَنَانِ كَأَنَّنِي لَمْ آتِهَا
وَمَقَانِبٍ بِمَقَانِبٍ غَادَرْتُهَا أَقْوَاتَ وَحْشٍ كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِهَا
أَقْبَلْتُهَا غُرَرَ الْجِيَادِ كَأَنَّمَا أَيْدِي بَنِي عِمْرَانَ فِي جَبَهَاتِهَا
أَلثَّابِتِينَ فُرُوسَةً كَجُلُودِهَا فِي ظَهْرِهَا وَالطَّعْنُ فِي لَبَّاتِهَا
فَكَأَنَّهَا نُحِتَتْ قِيَامًا تَحْتَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ وُلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا
تِلْكَ النُّفُوسُ الْغَالِبَاتُ عَلَى الْعُلَى وَالْمَجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا
سُقِيَتْ مَنَابِتُهَا الَّتِي سَقَتِ الْوَرَى بِيَدَيْ أَبِي أَيُّوبَ خَيْرِ نَبَاتِهَا

فَانْظُرْ إِلَى هٰذَيْنِ التَّخَلُّصَيْنِ الْبَدِيعَيْنِ فَالْأَوَّلُ خَرَجَ بِهِ إِلَى مَدْحِ قَوْمِ الْمَمْدُوحِ وَالثَّانِي خَرَجَ بِهِ إِلَى نَفْسِ

ٱلْمَمْدُوحِ وَكِلَاهُمَا قَدْ أَغْرَبَ فِيهِ كُلَّ ٱلْإِغْرَابِ . وَعَلَى هٰذَا جَاءَ قَوْلُهُ

إِذَا صُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَالًا لِفَاتِكٍ
وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالًا لِعَالِمِ
وَإِلَّا فَخَانَتْنِي ٱلْقَوَافِي وَعَاقَنِي
عَنِ ٱبْنِ عُبَيْدِ ٱللهِ ضَعْفُ ٱلْعَزَائِمِ

وَٱعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يَقْصِدُ ٱلشَّاعِرُ ٱلتَّخَلُّصَ فَيَأْتِي بِهِ قَبِيحًا كَمَا فَعَلَ فَقَالَ عِنْدَ ٱلْخُرُوجِ مِنَ ٱلْغَزَلِ إِلَى ٱلْمَدِيحِ

غَدَا بِكِ كُلُّ خِلْوٍ مُسْتَهَامًا وَأَصْبَحَ كُلُّ مَسْتُورٍ خَلِيعَا
أُحِبُّكِ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَمْلٌ ثَبِيرَ أَوِ ٱبْنُ إِبْرٰهِيمَ رِيعَا

وَهٰذَا تَخَلُّصٌ كَمَا تَرَاهُ بَارِدٌ لَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ مَسْحَةِ ٱلْجَمَالِ شَيْءٌ وَهٰهُنَا يَكُونُ ٱلِٱقْتِضَابُ أَحْسَنَ مِنَ ٱلتَّخَلُّصِ . فَيَنْبَغِي لِسَالِكِ هٰذِهِ ٱلطَّرِيقَةِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَصُوغُهُ فَإِنْ أَتَاهُ ٱلتَّخَلُّصُ حَسَنًا كَمَا يَنْبَغِي وَإِلَّا فَلْيَدَعْهُ وَلَا يَسْتَكْرِهْهُ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ هٰذَا كَمَا فَعَلَ ٱلْمُتَنَبِّيءُ

وَقَدِ ٱسْتَعْمَلَ ذٰلِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي قَصِيدَتِهِ ٱلَّتِي أَوَّلُهَا أَحْيَا وَأَيْسَرُ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا فَقَالَ

عَلَّ ٱلْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعَ لِي
إِلَى ٱلَّتِي تَرَكَتْنِي فِي ٱلْهَوَى مَثَلَا

وَٱلْإِضْرَابُ عَنْ مِثْلِ هٰذَا ٱلتَّخَلُّصِ خَيْرٌ مِنْ ذِكْرِهِ وَمَا أَلْقَاهُ فِي هٰذِهِ ٱلْهُوَّةِ إِلَّا أَبُو نُوَاسٍ فَإِنَّهُ قَالَ

سَأَشْكُو إِلَى ٱلْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ
هَوَاكِ لَعَلَّ ٱلْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا

وَلِهٰذَا نَظَائِرُ وَأَشْبَاهٌ فَلْيَتَخَيَّرِ ٱلنَّاظِمُ

وَٱلِٱقْتِضَابُ ٱلْوَارِدُ فِي ٱلشِّعْرِ كَثِيرٌ لَا يُحْصَى وَٱلتَّخَلُّصُ بِٱلنِّسْبَةِ إِلَيْهِ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرٍ وَلَا يَكَادُ يُوجَدُ ٱلتَّخَلُّصُ فِي شِعْرِ ٱلشَّاعِرِ ٱلْمُجِيدِ إِلَّا قَلِيلًا بِٱلنِّسْبَةِ إِلَى ٱلْمُقْتَضَبِ مِنْ شِعْرِهِ. فَمِنَ ٱلِٱقْتِضَابِ قَوْلُ ابِي نُوَاسٍ فِي قَصِيدَتِهِ ٱلنُّونِيَّةِ ٱلَّتِي أَوَّلُهَا يَا كَثِيرَ ٱلنَّوْحِ فِي ٱلدِّمَنِ وَهٰذِهِ ٱلْقَصِيدَةُ هِيَ عَيْنُ شِعْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُكْمِلْ حُسْنَهَا بِٱلتَّخَلُّصِ مِنَ ٱلْغَزَلِ إِلَى ٱلْمَدِيحِ بَلِ ٱقْتَضَبَهُ ٱقْتِضَابًا فَبَيْنَا هُوَ يَصِفُ ٱلْخَمْرَ وَيَقُولُ

فَٱسْقِنِي كَأْسًا عَلَى عَذَلِ ... كَرِهَتْ مَسْمُوعَهُ أُذُنِي
مِنْ كُمَيْتِ ٱللَّوْنِ صَافِيَةٍ ... خَيْرِ مَا سَلْسَلْتَ فِي بَدَنِي
مَا ٱسْتَقَرَّتْ فِي فُؤَادِ فَتًى ... فَدَرَى مَا لَوْعَةُ ٱلْحَزَنِ

Digitized by Google

حَتَّى قَالَ

تَضْحَكُ ٱلدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ قَامَ بِٱلْآثَارِ وَٱلسُّنَنِ
سَنَّ لِلنَّاسِ ٱلنَّدَى فَنَدَوْا فَكَأَنَّ ٱلْبُخْلَ لَمْ يَكُنِ

فَأَكْثَرُ مَدَائِحِ أَبِي نُوَاسٍ مُقْتَضَبَةٌ هٰكَذَا. وَمِنْ هٰذَا ٱلْبَابِ قَوْلُ ٱلْبُحْتُرِيِّ فِي قَصِيدَتِهِ ٱلْمَشْهُورَةِ بِٱلْجُودَةِ ٱلَّتِي مَدَحَ بِهَا ٱلْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ وَذَكَرَ لِقَاءَهُ ٱلْاسَدَ وَقَتْلَهُ إِيَّاهُ وَأَوَّلُهَا

أَجِدَّكَ مَا يَنْفَكُّ يَسْرِي لِزَيْنَبَا وَهِيَ مِنْ أُمَّهَاتِ شِعْرِهِ وَمَعَ ذٰلِكَ لَمْ يُوَفَّقْ فِيهَا لِلتَّخَلُّصِ مِنَ ٱلْغَزَلِ إِلَى ٱلْمَدِيحِ فَإِنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ فِي تَغَزُّلِهِ وَهُوَ يَقُولُ

عَهِدْتُكَ إِنْ مَنَّيْتَ مَنَّيْتَ مَوْعِدًا
جَهَامًا وَإِنْ أَبْرَقْتَ أَبْرَقْتَ خُلَّبَا
وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ ٱلصُّدُودَ ٱلَّذِي مَضَى
دَلَالٌ فَمَا إِنْ كَانَ إِلَّا تَجَنُّبَا
فَوَا أَسَفَا حَتَّامَ أَسْأَلُ مَانِعًا
وَآمَنُ خَوَّانًا وَأُعْتِبُ مُذْنِبَا

حَتَّى قَالَ فِي أَثَرِ ذٰلِكَ

أَقُولُ لِرَكْبٍ مُعْتَفِينَ تَدَرَّعُوا
عَلَى عَجَلٍ قِطَعًا مِنَ ٱللَّيْلِ غَيْهَبَا
رِدُوا نَائِلَ ٱلْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ إِنَّهُ
أَعَمُّ نَدًى فِيكُمْ وَأَيْسَرُ مَطْلَبَا

فَخَرَجَ إِلَى ٱلْمَدِيحِ بِغَيْرِ وُصْلَةٍ وَلَا سَبَبٍ. وَكَذٰلِكَ قَوْلُهُ فِي قَصِيدَتِهِ ٱلْمَشْهُورَةِ بِٱلْجُودَةِ ٱلَّتِي مَدَحَ بِهَا ٱلْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ أَيْضًا وَأَوَّلُهَا مَتَى لَاحَ بَرْقٌ أَوْ بَدَا طَلَلٌ قَفْرُ فَبَيْنَا هُوَ فِي غَزَلِهَا حَتَّى قَالَ

لَعَمْرُكَ مَا ٱلدُّنْيَا بِنَاقِصَةِ ٱلْجَدَى
إِذَا بَقِيَ ٱلْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ وَٱلْقَطْرُ

فَخَرَجَ إِلَى ٱلْمَدِيحِ مُقْتَضَبًا لَا مُتَعَلِّقًا بِهِ. وَأَمْثَالُ هٰذَا فِي شِعْرِهِ كَثِيرٌ

وَٱلتَّخَلُّصُ غَيْرُ مُمْكِنٍ فِي كُلِّ ٱلْأَحْوَالِ وَهُوَ مِنْ مُسْتَصْعَبَاتِ عِلْمِ ٱلْبَيَانِ فَلْيَتَدَبَّرِ ٱلشَّاعِرُ وَبِهٰذَا ٱلْقَدْرِ مِنَ ٱلْأَمْثِلَةِ كِفَايَةٌ لِلطَّالِبِ

(انتهى ملخصًا عن المثل السائر)

ٱلْفَصْلُ ٱلْعَاشِرُ

فِي ٱلْخِتَامِ

هٰذَا ٱلنَّوْعُ يَنْبَغِي لِلشَّاعِرِ وَٱلنَّاثِرِ أَنْ يَتَأَنَّقَا فِيهِ غَايَةَ ٱلتَّأَنُّقِ وَيُجَوِّدَا فِيهِ مَا ٱسْتَطَاعَا لِأَنَّهُ آخِرُ مَا يَنْتَهِي إِلَى ٱلسَّمْعِ وَيَتَرَدَّدُ صَدَاهُ فِي ٱلْأُذُنِ وَيَعْلَقُ بِحَوَاشِي ٱلذِّكْرِ فَهُوَ كَمَقْطَعِ ٱلشَّرَابِ يَكُونُ آخِرَ مَا يَمُرُّ بِٱلْفَمِ وَيُعْرَضُ عَلَى ٱلذَّوْقِ فَيَشْعُرُ مِنْهُ بِمَا لَا يَشْعُرُ مِنْ سِوَاهُ حَتَّى لَوْ كَانَ فِي ٱلشَّرَابِ بَعْضُ مَرَارَةٍ وَكَانَ حُلْوَ ٱلشَّمَالَةِ طَيِّبَ ٱلْمَنْزَعَةِ سَتَرَ هٰذَا ٱلْحُلْوُ تِلْكَ ٱلْمَرَارَةَ وَكَانَ هُوَ ٱلْبَاقِيَ وَهِيَ ٱلذَّاهِبَةَ. وَلِذٰلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ٱلْخِتَامُ مُمَيَّزًا عَنْ سَائِرِ ٱلْكَلَامِ قَبْلَهُ بِنُكْتَةٍ لَطِيفَةٍ أَوْ أُسْلُوبٍ رَشِيقٍ أَوْ مَعْنًى بَلِيغٍ وَيُخْتَارَ لَهُ مِنَ ٱللَّفْظِ ٱلرَّقِيقُ ٱلْحَاشِيَةِ ٱلْخَفِيفُ ٱلْمَحْمِلِ عَلَى ٱلسَّمْعِ ٱلسَّهْلُ ٱلْوُرُودِ عَلَى ٱلطَّبْعِ وَيُتَجَافَى بِهِ عَنِ ٱلْإِسْهَابِ وَٱلتَّعْقِيدِ وَٱلثِّقَلِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا تَنْبُو عَنْهُ ٱلْأُذُنُ وَتَثْقُلُ مُؤُونَتُهُ عَلَى ٱلذِّكْرِ فَتَذْهَبُ طُلَاوَتُهُ وَتَضِيعُ بِهِ مَحَاسِنُ مَا قَبْلَهُ لِأَنَّ كُلَّ تَالٍ مِمَّا سَبَقَهُ يَمْحُو أَثَرَ مَا تَلَاهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي ٱلْآخِرِ مَا يَخْلُفُ تِلْكَ ٱلْمَحَاسِنَ كُلَّهَا ذَهَبَتْ بِأَسْرِهَا طَلَفًا. وَمَتَى جَوَّدَ ٱلشَّاعِرُ أَوِ

Digitized by Google

ٱلنَّاثِرُ فِي آخِرِ كَلَامِهِ كَانَ ذٰلِكَ دَلِيلًا عَلَى سَعَةِ صَدْرِهِ وَقُوَّةِ ضَرِيبَتِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يُسْرِعْ إِلَيْهِ ٱلضَّجَرُ وَلَمْ يَسْتَوْلِ عَلَيْهِ ٱلْحَصَرُ وَلَمْ يَنْتَزِفْ مَادَّتَهُ ٱلْإِنْفَاقُ وَيَكُونُ مَثَلُهُ مَثَلَ ٱلْفَرَسِ ٱلْجَوَادِ كُلَّمَا ذَهَبَ مِنْهُ جَرْيٌ نَشِطَ لِغَيْرِهِ وَكَانَ فِي آخِرِ شَوْطِهِ أَقْوَى مِنْهُ فِي أَوَّلِهِ

وَحُكْمُ ٱلْخِتَامِ أَنْ يَكُونَ مُؤْذِنًا بِتَمَامِ ٱلْكَلَامِ بِحَيْثُ يَكُونُ وَاقِعًا عَلَى آخِرِ ٱلْمَعْنَى فَلَا يَنْتَظِرُ ٱلسَّامِعُ شَيْئًا بَعْدَهُ وَأَظْهَرُ مَا يَكُونُ هٰذَا فِي ٱلْقِصَصِ ٱلْمَسُوقَةِ كَمَا فِي ٱلْمَقَامَاتِ مَثَلًا فَإِنَّ نِهَايَةَ ٱلْوَاقِعَةِ تَدُلُّ عَلَى خِتَامِ ٱلْمَعْنَى فَيُخْتَمُ بِهِ ٱللَّفْظُ . وَإِذَا لَمْ يَكُنِ ٱلْمَعْنَى دَالًّا بِنَفْسِهِ عَلَى ٱلْخِتَامِ حَسُنَ أَنْ يُدَلَّ عَلَيْهِ بِكَلَامٍ آخَرَ يُذْكَرُ عَلَى عَقِبِ ٱلْفَرَاغِ مِنْ سِيَاقَةِ ٱلْأَغْرَاضِ ٱلسَّابِقَةِ وَحُكْمُهُ أَنْ يَكُونَ مُنْتَزَعًا مِمَّا سَبَقَهُ فَيُقْفَى بِهِ تَقْرِيرًا لِشَيْءٍ مِنْ تِلْكَ ٱلْأَغْرَاضِ أَوْ إِجْمَالًا لِمُفَصَّلِهَا مُورَدًا عَلَى وَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ ٱلْبَلَاغَةِ أَوِ ٱلْكَلَامِ ٱلْجَامِعِ أَوْ مُخْرَجًا مُخْرَجَ ٱلْمَثَلِ أَوِ ٱلْحِكْمَةِ أَوْ مَا شَاكَلَ ذٰلِكَ مِمَّا تَعْلَقُهُ ٱلْخَوَاطِرُ وَتُقَيِّدُهُ ٱلْأَذْهَانُ . وَهٰذَا مِنْ أَوْعَرِ مَسَالِكِ هٰذَا ٱلنَّوْعِ وَٱلظَّافِرُونَ بِقَلَائِدِهِ قَلِيلٌ لِعِزَّتِهِ وَٱمْتِنَاعِهِ وَأَكْثَرُ مَا يَجِيءُ

فِي ٱلشِّعْرِ أَوْ مَا يُنْحَى فِيهِ مَنْحَاهُ مِنْ مَقَامَاتِ ٱلْبَلَاغَةِ وَٱلْجَزَالَةِ وَذٰلِكَ كَقَوْلِ أَبِي ٱلطَّيِّبِ ٱلْمُتَنَبِّيِ

وَمَا أَخُصُّكَ فِي بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ
إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ ٱلنَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

وَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ

أَوْلَى ٱلْبَرِيَّةِ حَقًّا أَنْ تُرَاعِيَهُ
عِنْدَ ٱلسُّرُورِ ٱلَّذِي آسَاكَ فِي ٱلْحَزَنِ
إِنَّ ٱلْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا
مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ فِي ٱلْمَنْزِلِ ٱلْخَشِنِ

وَكَقَوْلِ ٱلزَّمَخْشَرِيِّ فِي خِتَامِ إِحْدَى مَقَالَاتِهِ إِنَّ ٱلطَّيْشَ فِي ٱلْكَلَامِ يُتَرْجِمُ عَنْ خِفَّةِ ٱلْأَحْلَامِ وَمَا دَخَلَ ٱلرِّفْقُ شَيْئًا إِلَّا زَانَهُ وَمَا زَانَ ٱلْمُتَكَلِّمَ إِلَّا ٱلرَّزَانَةُ. وَكَقَوْلِهِ فِي خِتَامِ أُخْرَى وَمَنْ جَاءَ بِٱلدَّعْوَةِ يُخْفِيهَا وَيَخَافُ ٱلْمَدْعُوَّ فِيهَا فَيَا لَهَا مُحْكَمَةً ذَاتَ نِيرَيْنِ مُشْرِقَةً ذَاتَ نُورَيْنِ قَدْ أَخْرَجَتْهَا ٱلْخُفْيَةُ مِنْ بَابِ ٱلرِّيَاءِ وَأَدْخَلَتْهَا ٱلْخِيفَةُ فِي بَابِ ٱلِٱتِّقَاءِ وَلٰكِنَّ ٱلنَّاسَ عَنِ ٱلتَّحْقِيقِ رُقُودٌ وَٱلنَّظَرَ ٱلصَّحِيحَ بَيْنَهُمْ مَفْقُودٌ. وَأَمَّا فِي غَيْرِ ذٰلِكَ فَٱلْأَكْثَرُ فِي هٰذَا ٱلضَّرْبِ أَنْ

يُضَمَّنَ غَرَضًا آخَرَ مِنَ ٱلدُّعَاءِ أَوْ عَرْضِ ٱلنَّفْسِ عَلَى خِدْمَةِ
ٱلْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ أَوِ تَوَقُّعِ ٱلْجَوَابِ مِنْهُ أَوْ غَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا تَحْتَمِلُهُ
مَقَامَاتُ ٱلْكَلَامِ وَتَقْتَضِيهِ دَوَاعِي ٱلْحَالِ وَهِيَ طَرِيقَةُ ٱلْكُتَّابِ
وَٱلْمُوَلَّدِينَ مِنَ ٱلشُّعَرَاءِ ذَهَابًا إِلَى ٱلْفَأْلِ أَوِ ٱلتَّبَرُّكِ أَوْ
زِيَادَةِ ٱلتَّحَبُّبِ وَٱلتَّقَرُّبِ مِنْ مَقَامِ ٱلْمُخَاطَبِ أَوِ ٱلْمَمْدُوحِ
وَأَكْثَرُ مَا يَخْتِمُونَهَا فِي ٱلنَّثْرِ بَعْدَ ٱلْأَغْرَاضِ ٱلْمَذْكُورَةِ
بِقَوْلِهِمْ إِنْ شَاءَ ٱللهُ أَوْ بِمَنِّ ٱللهِ وَفَضْلِهِ وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ.
وَٱلْأَمْثِلَةُ عَلَى جَمِيعِ ذٰلِكَ كَثِيرَةٌ مُسْتَفِيضَةٌ كَقَوْلِ ٱلْقَاضِي
مُحْيِي ٱلدِّينِ بْنِ عَبْدِ ٱلظَّاهِرِ فِي خِتَامِ صُورَةِ عَهْدٍ لِلْمَلِكِ
ٱلْأَشْرَفِ صَلَاحِ ٱلدِّينِ خَلِيلٍ وَٱللهُ تَعَالَى يَجْعَلُ ٱسْتِخْلَافَهُ
هٰذَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا وَلِلْمُعْتَدِينَ ٱنْفِصَامًا وَيُطْفِئُ بِمَاءِ سُيُوفِهِ
نَارَ كُلِّ حَطَبٍ حَتَّى تُصْبِحَ كَمَا أَصْبَحَتْ نَارُ سَمِيِّهِ بَرْدًا وَسَلَامًا.
وَقَوْلِ ٱلْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ ٱلْقَاسِمِ فِي خِتَامِ جَوَابٍ وَإِنَّ
قَسِيمَكَ ٱلْمُجِلَّ لِقَدْرِكَ وَحَمِيمَكَ ٱلْمُتَنَاهِيَ فِي بِرِّكَ
تَصَفَّحَ ثَنَاءَكَ مَجْدًا وَطَوْلًا وَٱسْتَوْضَحَ إِخَاءَكَ عَقْدًا وَقَوْلًا
وَأَعْطَاكَ صَفْقَةَ يَمِينِهِ عَلَى ٱلْمَوَدَّةِ وَٱلْإِكْبَارِ وَوَلَّاكَ صُفْوَةَ
بِقِينِهِ صَادِقَةَ ٱلْإِعْلَانِ وَٱلْإِسْرَارِ فَلَنْ تَزَالَ بِتَوْفِيقِ ٱللهِ

تَجِدُهُ حَيْثُ تَنْشُدُهُ وَتَعْهَدُهُ عَلَى أَبَرِّ مَا تَعْتَقِدُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ · وَقَوْلِ ٱلْبَدِيعِ ٱلْهَمَذَانِيِّ فِي خِتَامِ رِسَالَةٍ وَلِلشَّيْخِ ٱلرَّئِيسِ فِي تَشْرِيفِي بِٱلْجَوَابِ وَتَعْرِيفِي بِسَارِّ ٱلْأَخْبَارِ وَتَكْلِيفِي سَوَانِحَ ٱلْأَوْطَارِ وَتَصْرِيفِي عَلَى ٱلْأَمْرِ وَٱلنَّهْيِ رَأْيُهُ ٱلْمُوَفَّقُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى · وَمِنْ أَمْثِلَتِهِ فِي ٱلشِّعْرِ قَوْلُ ٱلْمُتَنَبِّيءِ

فَلَا حَطَّتْ لَكَ ٱلْهَيْجَاءُ سَرْجًا
وَلَا ذَاقَتْ لَكَ ٱلدُّنْيَا فِرَاقَا

وَقَوْلُهُ

أَتَمَّ سَعْدَكَ مَنْ أَعْطَاكَ أَوَّلَهُ
وَلَا ٱسْتَرَدَّ حَيَاةً مِنْكَ مُعْطِيهَا

وَقَوْلُ ٱبْنِ ٱلْوَرْدِيِّ

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مَا أَحَبَّ وِصَالَكُمْ
وَغَايَةُ مَجْهُودِ ٱلْمُقِلِّ سَلَامُ

وَكَثِيرًا مَا يَخْتِمُ ٱلنَّاثِرُ بِقَوْلِهِ وَٱلسَّلَامُ وَهُوَ مِنْ مَقَامَاتِ ٱلْإِخْتِصَارِ وَٱلْإِيجَازِ وَيَكْثُرُ ٱسْتِعْمَالُهُ فِي رَسَائِلِ ٱلْعَتْبِ وَٱلْمَوْجِدَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ · وَقَدْ يَخْتِمُ بِلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ

إِلَّا بِاللهِ أَوْ بِقَوْلِهِ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ أَوْ وَالْحَمْدُ لِلهِ أَوْ وَاللهُ أَعْلَمُ أَوْ غَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَالُ . وَرُبَّمَا خَتَمَ بِمَثَلٍ أَوْ بِبَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ وَذٰلِكَ كَقَوْلِ الْخُوَارَزْمِيِّ فِي خِتَامِ رِسَالَةٍ وَلَقَدْ سَلَكَ الْأَمِيرُ مِنَ الْكَرَمِ طَرِيقًا يَسْتَوْحِشُ فِيهَا لِقِلَّةِ سَالِكِيهَا وَيَتِيهُ فِي قِفَارِهَا لِدُرُوسِ آثَارِهَا وَانْهِدَامِ مَنَارِهَا أَعَانَهُ اللهُ عَلَى صُعُوبَةِ الطَّرِيقِ وَقِلَّةِ الرَّفِيقِ وَأَلْهَمَهُ صَبْرًا يُهَوِّنُ عَلَيْهِ احْتِمَالَ الْمَغَارِمِ وَيُقَرِّبُ عَلَيْهِ مَسَافَةَ الْمَكَارِمِ فَبِالصَّبْرِ تُنَالُ الْعُلَى وَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى . وَقَوْلِهِ أَيْضًا فِي خِتَامِ تَسْلِيَةٍ وَلٰكِنَّ الْغَضَبَ يُنْسِي الْحُرُمَاتِ وَيَدْفِنُ السَّيِّئَاتِ وَيَخْلُقُ لِلْبَرِيءِ جِنَايَاتٍ

وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفِعْلَهُ
لَكَالدَّهْرِ لَا عَارٌ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ

إِنْتَهَى وَفِي هٰذَا الْقَدْرِ غُنْيَةٌ لِلْبَصِيرِ وَفِي تَتَبُّعِ رَسَائِلِهِمْ وَخُطَبِهِمْ وَدَوَاوِينِ الشُّعَرَاءِ مِنْهُمْ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا مَؤُونَةٌ كَافِيَةٌ بِهِدَايَةِ اللهِ وَتَسْدِيدِهِ (مصححه)

ٱلْقِسْمُ ٱلثَّانِي

فِي شَذَرَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ أَقْوَالِ ٱلْكُتَّابِ

وَفِيهِ فُصُولٌ

فَصْلٌ

فِي حُسْنِ ٱلتَّوَاصُلِ

كتبَ ابو عبدِ الرحمنِ محمدُ بنُ طاهرٍ الى بعض إخوانهِ

كَتَبْتُ أَعَزَّكَ ٱللّٰهُ عَنْ ضَمِيرٍ ٱنْدَمَجَ عَلَى سِرِّ ٱعْتِقَادِكَ دُرُّهُ وَتَبَلَّجَ فِي أُفُقِ وِدَادِكَ بَدْرُهُ وَسَالَ عَلَى صَفَحَاتِ ثَنَائِكَ مِسْكُهُ وَصَارَ فِي رَاحَتَيْ سَنَائِكَ مِلْكُهُ وَلَمَّا ظَفِرْتُ بِفُلَانٍ حَمَّلْتُهُ مِنْ تَحِيَّتِي زَهَرًا جَنِيًّا يُوَافِيكَ عَرْفُهُ ذَكِيًّا وَيُوَالِيكَ أُنْسُهُ نَجِيًّا وَيَقْضِي مِنْ حَقِّكَ فَرْضًا مَأْتِيًّا عَلَى أَنَّ شَخْصَ جَلَالِكَ لِي مَاثِلٌ وَبَيْنَ ضُلُوعِي نَازِلٌ لَا يَمَلُّهُ خَاطِرٌ وَلَا يَمَسُّهُ عَرَضٌ دَائِرٌ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ

وكتبَ ابو الفضلِ بنُ العميدِ الى بعضِ إخوانهِ

قَدْ قَرُبَ أَيَّدَكَ ٱللّٰهُ مَحَلُّكَ عَلَى تَرَاخِيهِ وَتَصَاقَبَ

Digitized by Google

مُسْتَقِرٌّ عَلَى تَنَائِيهِ لِأَنَّ ٱلشَّوْقَ يُمَثِّلُكَ وَٱلذِّكْرَ يُخَيِّلُكَ فَنَحْنُ فِي ٱلظَّاهِرِ عَلَى ٱفْتِرَاقٍ وَفِي ٱلْبَاطِنِ عَلَى تَلَاقٍ وَفِي ٱلتَّسْمِيَةِ مُتَبَايِنُونَ وَفِي ٱلْمَعْنَى مُتَوَاصِلُونَ وَلَئِنْ تَفَارَقَتِ ٱلْأَشْبَاحُ لَقَدْ تَعَانَقَتِ ٱلْأَرْوَاحُ

وكتب بديعُ الزمانِ الهَمَذانيُّ الى القاسمِ الكَرَجيِّ

يَعِزُّ عَلَيَّ أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَ ٱلشَّيْخِ ٱلرَّئِيسِ أَنْ يَنُوبَ فِي خِدْمَتِهِ قَلَمِي عَنْ قَدَمِي وَيَسْعَدَ بِرُؤْيَتِهِ رَسُولِي دُونَ وُصُولِي وَيَرِدَ مَشْرَعَةَ ٱلْأُنْسِ بِهِ كِتَابِي قَبْلَ رِكَابِي وَلٰكِنْ مَا ٱلْحِيلَةُ وَٱلْعَوَائِقُ جَمَّةٌ

وَعَلَيَّ أَنْ أَسْعَى وَلَيْسَ عَلَيَّ إِدْرَاكُ ٱلنَّجَاحِ

وَقَدْ حَضَرْتُ دَارَهُ وَقَبَّلْتُ جِدَارَهُ وَمَا بِي حُبُّ ٱلْحِيطَانِ وَلٰكِنْ شَغَفًا بِٱلْقُطَّانِ وَلَا عِشْقُ ٱلْجُدْرَانِ وَلٰكِنْ شَوْقًا إِلَى ٱلسُّكَّانِ وَحِينَ عَدَتِ ٱلْعَوَادِي عَنْهُ أَمْلَيْتُ ضَمِيرَ ٱلشَّوْقِ عَلَى لِسَانِ ٱلْقَلَمِ مُعْتَذِرًا إِلَى ٱلشَّيْخِ عَلَى ٱلْحَقِيقَةِ عَنْ تَقْصِيرٍ وَقَعَ وَفُتُورٍ فِي ٱلْخِدْمَةِ عَرَضَ وَلٰكِنِّي أَقُولُ

إِنْ يَكُنْ تَرْكِي لِقَصْدِكَ ذَنْبًا فَكَفَى أَنْ لَا أَرَاكَ عِقَابَا

وكتب ابو محمد عبد الله البطليوسي الى ابي الحسن بن الاخضر

يَا سَيِّدِيَ ٱلْأَعْلَى وَعِمَادِيَ ٱلْأَسْنَى وَحَسَنَةَ ٱلدَّهْرِ ٱلْحُسْنَى ٱلَّذِي جَلَّ قَدْرُهُ وَسَارَ مَسِيرَ ٱلشَّمْسِ ذِكْرُهُ وَمَنْ أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَهُ لِفَضْلٍ يُعْلِي مَنَارَهُ وَعِلْمٍ يُحْيِي آثَارَهُ نَحْنُ أَعَزَّكَ ٱللهُ نَتَدَانَى إِخْلَاصًا وَإِنْ تَنَاءَيْنَا أَشْخَاصًا وَيَجْمَعُنَا ٱلْأَدَبُ وَإِنْ فَرَّقَنَا ٱلنَّسَبُ فَٱلْأَشْكَالُ أَقَارِبُ وَٱلْآدَابُ مَنَاسِبُ وَلَيْسَ يَضُرُّ تَنَاءِي ٱلْأَشْبَاحِ إِذَا تَقَارَبَتِ ٱلْأَرْوَاحُ وَمَا مَثَلُنَا فِي هٰذَا ٱلِٱنْتِظَامِ إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو تَمَّامٍ

نَسِيبِي فِي رَأْيِي وَعِلْمِي وَمَذْهَبِي
وَإِنْ بَاعَدَتْنَا فِي ٱلْأُصُولِ ٱلْمَنَاسِبُ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِمَآثِرِكَ ذَاكِرٌ وَلِمَفَاخِرِكَ نَاشِرٌ إِلَّا ذُو ٱلْوِزَارَتَيْنِ أَبُو فُلَانٍ أَبْقَاهُ ٱللهُ لَقَامَ لَكَ مَقَامَ سَحْبَانَ وَائِلٍ وَأَغْنَاكَ عَنْ قَوْلِ كُلِّ قَائِلٍ فَإِنَّهُ يَمُدُّ فِي مِضْمَارِ ذِكْرِكَ بَاعًا رَحِيبًا وَيَقُومُ بِفَخْرِكَ فِي كُلِّ نَادٍ خَطِيبًا حَتَّى يُثْنِيَ إِلَيْكَ ٱلْأَحْدَاقَ وَيَلْوِيَ نَحْوَكَ ٱلْأَعْنَاقَ فَكَيْفَ وَمَا يَنْطِقُ إِلَّا بِٱلَّذِي عَلِمَتْ سَعْدٌ وَمَا تَقَرَّرَ فِي ٱلنُّفُوسِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ فَذِكْرُكَ قَدْ أَنْجَدَ وَأَغَارَ وَلَمْ يَسِرْ فَلَكٌ حَيْثُ سَارَ وَإِنَّ لَيْلَ جَهْلٍ

أَطْلَعْتَ فِيهِ فَجْرَ تَبْصِيرِكَ لَجَدِيرٌ بِأَنْ يَصِيرَ نَهَارًا وَإِنَّ نَبْعَ فِكْرٍ قَدَحْتَهُ بِتَذْكِيرِكَ لَجَدِيرٌ بِأَنْ يَعُودَ مَرْخًا وَعَفَارًا فَهَنِيئًا لَكَ ٱلْفَضْلُ ٱلَّذِي أَنْتَ فِيهِ رَاسِخُ ٱلْقَدَمِ شَامِخُ ٱلْعَلَمِ مَنْشُورُ ٱللِّوَآءِ مَشْهُورُ ٱلذِّكَآءِ مُلِّيتَ ٱلْآدَابُ عُمْرَكَ وَلَا عَدِمَتِ ٱلْأَلْبَابُ ذِكْرَكَ وَرَقِيتَ مِنَ ٱلْمَرَاتِبِ أَعْلَاهَا وَلَقِيتَ مِنَ ٱلْمَآرِبِ أَقْصَاهَا بِفَضْلِ ٱللهِ

ولصحبه الى صديق له

مَا زِلْتُ أُدَافِعُ ٱلنَّفْسَ فِيمَا تَتَقَاضَانِي مِنْ شَكْوَى أَشْوَاقِهَا وَفِي ٱلشَّكْوَى شِفَآءٌ وَٱسْتِنْزَالُ أَثَرٍ مِنْ لَدُنْكَ تَتَعَلَّلُ بِهِ مَسَافَةَ ٱلْبَيْنِ إِلَى أَنْ يَمُنَّ ٱللهُ بِٱللِّقَآءِ وَمِنْ دُونِ إِجَابَتِهَا مَشَادِهُ قَدْ شَغَلَتِ ٱلذَّرْعَ وَشَوَاغِلُ قَدْ فَرَغَ مِنْ دُونِهَا ٱلْوَسْعُ إِلَى أَنْ غَلَبَ جَيْشُ ٱلْوَجْدِ عَلَى مَعَاقِلِ ٱلصَّبْرِ وَزَاحَمَ مَنَاكِبَ ٱلْعُدَوَآءِ حَتَّى ضَرَبَ أَطْنَابَهُ بَيْنَ ٱلْحِجَابِ وَٱلصَّدْرِ فَٱتَّخَذْتُ هٰذِهِ ٱلرُّقْعَةَ أُزَجِّيهَا إِلَيْكَ وَفِيهَا مِنْ وِقْرِ ٱلشَّوْقِ مَا يَنُوءُ بِرَسُولِهَا وَمِنْ رِقَّةِ ٱلصَّبَابَةِ مَا يَكَادُ يَطِيرُ بِهَا أَوْ يُخَلِّفُهَا فَيُصَافِحُ ٱلْأَعْنَابَ قَبْلَ وُصُولِهَا رَاجِيًا لَهَا أَنْ تُتَلَقَّى بِمَا عُهِدَ فِي سَيِّدِي مِنَ ٱلطَّلَاقَةِ وَٱلْبِشْرِ وَأَنْ لَا يَضَنَّ عَلَيْهَا بِمَا

عَوَّدَنِي مِنْ تَمْهِيدِ الْعُذْرِ وَيَصِلُنِي مِنْ بَعْدِهَا بِأَنْبَائِهِ الطَّيِّبَةِ عَائِدَةً عَنْهُ بِمَا يَكُونُ لِلنَّاظِرِ قُرَّةً وَلِلْخَاطِرِ مَسَرَّةً إِنْ شَاءَ اللهُ

ولهُ

وَافَانِي كِتَابُكَ الْعَزِيزُ فَأَهْلًا بِأَكْرَمِ رَسُولٍ جَاءَ بِبَيِّنَاتِ الْإِخْلَاصِ وَالْوَفَاءِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ ذِمَّةِ الْوِدَادِ وَالْإِخَاءِ يَتْلُو عَلَيَّ مِنْ حَدِيثِ الشَّوْقِ مَا شَهِدَ بِصِحَّتِهِ سُقْمِي وَهَتَفَ مُؤَذِّنُهُ فِي كُلِّ مَفْصِلٍ مِنْ جِسْمِي وَيُذَكِّرُنِي مِنْ عَهْدِكَ مَا طَالَمَا أَذْكَرَنِيهِ الْبَرْقُ إِذَا لَمَعَ وَالْبَدْرُ إِذَا طَلَعَ وَالْقُمْرِيُّ إِذَا سَجَعَ وَإِنَّمَا عَدَانِي عَنْكَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ مُجَاذَبَةِ الشَّوَاغِلِ وَمُسَاوَرَةِ الْبَلَابِلِ

وَفِي الْقَلْبِ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ شَجَنِ الْهَوَى
تَبَدَّلَتِ الْحَالَاتُ وَهُوَ مُقِيمُ

وَأَنَا عَلَى مَا بِي مِنْ غَلِّ الْبَنَانِ وَشُغْلِ الْجَنَانِ مَا زَالَتْ أَنْبَاؤُكَ عِنْدِي لَا يُخْطِئُنِي بَرِيدُهَا وَلَا يَنْقَطِعُ عَنِّي وُرُودُهَا أُهَنِّئُ النَّفْسَ مِنْهَا بِمَا تَتَمَنَّى لَكَ مِنْ سَلَامَةٍ لَا يَرِثُّ لَهَا شِعَارٌ وَإِقْبَالٍ لَا يَعْتَرِضُهُ بِإِذْنِ اللهِ إِدْبَارٌ وَقُصَارَى الْمَأْمُولِ فِي كَرَمِكَ أَنْ تُعَامِلَنِي بِمَا سَبَقَ لَكَ مِنْ جَمِيلِ الصِّلَةِ إِلَى

أَنْ يَمُنَّ ٱللهُ بِٱلِٱجْتِمَاعِ وَيُغْنِيَ بِٱلْعِيَانِ عَنِ ٱلسَّمَاعِ
وَمَا ذٰلِكَ عَلَى ٱللهِ بِعَزِيزٍ

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى ابي الوفاء صاحب جيش عضد الدولة

كِتَابِي وَأَنَا بِمَا يَبْلُغُنِي مِنْ صَالِحِ أَخْبَارِ ٱلشَّيْخِ مُغْتَبِطٌ مَسْرُورٌ وَبِمَا يَعْرِفُهُ ٱلزَّمَانُ وَأَهْلُهُ مِنِ ٱعْتِضَادِي بِهِ مَصُونٌ مَوْفُورٌ وَٱللهُ عَلَى ٱلْأُولَى مَحْمُودٌ وَعَلَى ٱلْأُخْرَى مَشْكُورٌ ٱلتَّطَفُّلُ وَإِنْ كَانَ مَحْظُورًا فِي غَيْرِ مَوَاطِنِهِ فَإِنَّهُ مُبَاحٌ فِي أَمَاكِنِهِ وَهُوَ وَإِنْ كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْأَحْوَالِ يَجْمَعُ عَارًا وَوِزْرًا فَإِنَّهُ فِي بَعْضِهَا يَجْمَعُ فَخْرًا وَذُخْرًا وَرُبَّ فِعْلٍ يُصَابُ بِهِ وَقْتُهُ فَيَكُونُ سُنَّةً وَهُوَ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ بِدْعَةٌ وَقَدْ تَطَفَّلْتُ عَلَى ٱلشَّيْخِ بِهٰذِهِ ٱلْأَحْرُفِ أَخْطُبُ بِهَا مَوَدَّتَهُ إِلَيْهِ وَأَعْرِضُ فِيهَا مَوَدَّتِي عَلَيْهِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَرْسُمَ لِي فِي لِسَانِي وَقَلْبِي رَسْمًا وَيَخْتِمَ عَلَيْهِمَا خَتْمًا فَقَدْ جَعَلْتُهُمَا بِٱسْمِهِ وَقَصَرْتُهُمَا عَلَى حُكْمِهِ وَسَأَضَعُهُمَا تَحْتَ خَتْمِهِ وَبَرِئْتُ إِلَيْهِ مِنْهُمَا وَصِرْتُ وَكِيلَهُ فِيهِمَا فَهُمَا عَلَى غَيْرِهِ حِمًى لَا يُقْرَبُ وَبَحِيرَةٌ لَا تُحْلَبُ وَلَا تُرْكَبُ وَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى آثَارِ ٱلشَّيْخِ عَلَى ٱلْأَحْرَارِ وَنَشَرْتُ طِرَازَ مَحَاسِنِهِ مِنْ أَيْدِي ٱلْقَاصِدِينَ وَٱلزُّوَّارِ وَرَأَيْتُ

نَفْسِي غُفْلًا مِنْ سِمَةِ مَوَدَّتِهِ وَعُطُلًا مِنْ جَمَالِ عِشْرَتِهِ حَمِيَّتُهَا مِنْ أَنْ يُحْمَى عَلَيْهَا وِرْدٌ مَوْرُودٌ وَيُحْسَرَ عَنْهَا ظِلٌّ عَلَى الْجَمِيعِ مَمْدُودٌ وَتَجَبَتْ مِنْ

سَحَابٍ خَطَانِي جَوْدُهُ وَهُوَ صَيِّبٌ

وَبَحْرٍ عَدَانِي سَيْلُهُ وَهْوَ مُفْعَمُ

وَبَدْرٍ أَضَاءَ الْأَرْضَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا

وَمَوْضِعُ رِجْلَيْ مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلِمُ

فَصْلٌ

فِي الْاِسْتِعْطَافِ وَالْاِعْتِذَارِ

كتب عمرو بن بحر الجاحظ الى ابن ابي دُوَّادٍ

لَيْسَ عِنْدِي أَعَزَّكَ اللهُ سَبَبٌ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى شَفِيعٍ إِلَّا مَا طَبَعَكَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الْكَرَمِ وَالرَّحْمَةِ وَالتَّأْمِيلِ الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ نِتَاجِ حُسْنِ الظَّنِّ وَإِثْبَاتِ الْفَضْلِ بِحَالِ الْمَأْمُولِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنَ الْعُتَقَاءِ الشَّاكِرِينَ فَتَكُونَ خَيْرَ مُعْتِبٍ وَأَكُونَ أَفْضَلَ شَاكِرٍ. وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ هٰذَا الْأَمْرَ سَبَبًا لِهٰذَا الْإِنْعَامِ وَهٰذَا الْإِنْعَامَ سَبَبًا لِلِانْقِطَاعِ

إِلَيْكُمْ وَٱلْكَوْنِ تَحْتَ أَجْنِحَتِكُمْ فَيَكُونَ لَا أَعْظَمَ بَرَكَةً وَلَا أَنْمَى بَقِيَّةً مِنْ ذَنْبٍ أَصْبَحْتُ فِيهِ وَبِمِثْلِكَ جُعِلْتُ فِدَاكَ عَادَ ٱلذَّنْبُ وَسِيلَةً وَٱلسَّيِّئَةُ حَسَنَةً وَمِثْلُكَ مَنِ ٱنْقَلَبَ بِهِ ٱلشَّرُّ خَيْرًا وَٱلْغُرْمُ غُنْمًا · مَنْ عَاقَبَ فَقَدْ أَخَذَ حَظَّهُ وَإِنَّمَا ٱلْأَجْرُ فِي ٱلْآخِرَةِ وَطِيبُ ٱلذِّكْرِ فِي ٱلدُّنْيَا عَلَى قَدْرِ ٱلِٱحْتِمَالِ وَتَجَرُّعِ ٱلْمَرَائِرِ وَأَرْجُو أَنْ لَا أُضِيعَ وَأَهْلَكَ فِيمَا بَيْنَ كَرَمِكَ وَعَقْلِكَ · وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَعْفُو عَمَّنْ صَغُرَ ذَنْبُهُ وَعَظُمَ حَقُّهُ وَإِنَّمَا ٱلْفَضْلُ وَٱلثَّنَاءُ ٱلْعَفْوُ عَنْ عَظِيمِ ٱلْجُرْمِ ضَعِيفِ ٱلْحُرْمَةِ وَإِنْ كَانَ ٱلْعَفْوُ ٱلْعَظِيمُ مُسْتَطْرَفًا مِنْ غَيْرِكُمْ فَهُوَ تِلَادٌ فِيكُمْ حَتَّى رُبَّمَا دَعَا ذٰلِكَ كَثِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَى مُخَالَفَةِ أَمْرِكُمْ فَلَا أَنْتُمْ عَنْ ذٰلِكَ تَنْكُلُونَ وَلَا عَلَى سَالِفِ إِحْسَانِكُمْ تَنْدَمُونَ وَلَا مَثَلُكُمْ إِلَّا كَمَثَلِ عِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ حِينَ كَانَ لَا يَمُرُّ بِمَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا أَسْمَعُوهُ شَرًّا وَأَسْمَعَهُمْ خَيْرًا فَقَالَ لَهُ شِمْعُونُ ٱلصَّفَا مَا رَأَيْتُ كَٱلْيَوْمِ كُلَّمَا أَسْمَعُوكَ شَرًّا أَسْمَعْتَهُمْ خَيْرًا فَقَالَ كُلُّ ٱمْرِئٍ يُنْفِقُ مِمَّا عِنْدَهُ وَلَيْسَ عِنْدَكُمْ إِلَّا ٱلْخَيْرُ وَلَا فِي أَوْعِيَتِكُمْ إِلَّا ٱلرَّحْمَةُ وَكُلُّ إِنَاءٍ بِٱلَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ

وكتب الى رجل

زَيَّنَكَ ٱللهُ بِٱلتَّقْوَى وَكَفَاكَ مَا أَهَمَّكَ مِنَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَى. مَنْ عَاقَبَ أَبْقَاكَ ٱللهُ تَعَالَى عَلَى ٱلصَّغِيرَةِ عُقُوبَةَ ٱلْكَبِيرَةِ وَعَلَى ٱلْهَفْوَةِ عُقُوبَةَ ٱلْإِصْرَارِ فَقَدْ تَنَاهَى فِي ٱلظُّلْمِ. وَمَنْ لَمْ يَفْرُقْ بَيْنَ ٱلْأَسَافِلِ وَٱلْأَعَالِي وَٱلْأَدَانِي وَٱلْأَقَاصِي فَقَدْ قَصَّرَ. وَٱللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ سَرَفَ ٱلرِّضَى مَخَافَةَ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى سَرَفِ ٱلْهَوَى فَمَا ظَنُّكَ بِسَرَفِ ٱلْغَيْظِ وَغَلَبَةِ ٱلْغَضَبِ مِنْ طَيَّاشٍ عَجُولٍ فَحَّاشٍ وَمَعَهُ مِنَ ٱلْخُرْقِ بِقَدْرِ قِسْطِهِ مِنِ ٱلْتِهَابِ ٱلْحَمْرَآءِ وَأَنْتَ رُوحٌ كَمَا أَنْتَ جِسْمٌ وَكَذٰلِكَ جِنْسُكَ وَنَوْعُكَ إِلَّا أَنَّ ٱلتَّأَثُّرَ فِي ٱلرِّقَاقِ أَسْرَعُ وَضِدُّهُ فِي ٱلْغِلَاظِ ٱلْجُفَاةِ أَكْمَلُ وَلِذٰلِكَ ٱشْتَدَّ جَزَعِي عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانِ ٱلْغَيْظِ وَغَلَبَتِهِ. فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مِقْدَارَ ٱلذَّنْبِ إِلَيْكَ مِنْ مِقْدَارِ عِقَابِكَ عَلَيْهِ فَٱنْظُرْ فِي عِلَّتِهِ وَفِي سَبَبِ إِخْرَاجِهِ إِلَى مَعْدِنِهِ ٱلَّذِي مِنْهُ نَجَمَ وَعُشِّهِ ٱلَّذِي مِنْهُ دَرَجَ وَإِلَى جِهَةِ صَاحِبِهِ فِي ٱلتَّسَرُّعِ وَٱلثَّبَاتِ وَإِلَى حِلْمِهِ عِنْدَ ٱلتَّعْرِيضِ وَفِطْنَتِهِ عِنْدَ ٱلتَّوْبَةِ. فَكُلُّ ذَنْبٍ كَانَ سَبَبُهُ ضِيقَ صَدْرٍ مِنْ جِهَةِ ٱلْفَيْضِ فِي ٱلْمَقَادِيرِ أَوْ مِنْ طَرِيقِ

ٱلْأَنَفَةِ وَغَلَبَةِ طِبَاعِ ٱلْحَمِيَّةِ مِنْ جِهَةِ ٱلْجَفْوَةِ أَوْ مِنْ جِهَةِ
ٱسْتِحْقَاقِهِ أَوْ كَانَ مُبَلَّغًا عَنْهُ مَكْذُوبًا عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ جَائِزًا
فِيهِ غَيْرَ مُمْتَنِعٍ مِنْهُ فَإِذَا كَانَتْ ذُنُوبُهُ مِنْ هٰذَا ٱلشَّكْلِ فَلَيْسَ
يَقِفُ عَلَيْهَا كَرِيمٌ وَلَا يَنْظُرُ فِيهَا حَلِيمٌ. وَلَسْتُ أُسَمِّيهِ بِكَثْرَةِ
مَعْرُوفِهِ كَرِيمًا حَتَّى يَكُونَ عَقْلُهُ غَامِرًا بِعِلْمِهِ وَعِلْمُهُ غَالِبًا عَلَى
طِبَاعِهِ كَمَا لَا أُسَمِّيهِ بِكَفِّ ٱلْعِقَابِ حَلِيمًا حَتَّى يَكُونَ عَارِفًا
بِمِقْدَارِ مَا أَخَذَ وَتَرَكَ. وَمَتَى وَجَدْتَ ٱلذَّنْبَ بَعْدَ ذٰلِكَ لَا
سَبَبَ لَهُ إِلَّا ٱلْبُغْضُ ٱلْمَحْضُ وَٱلنِّفَارُ ٱلْغَالِبُ فَلَوْ لَمْ تَرْضَ
لِصَاحِبِهِ بِعِقَابٍ دُونَ قَعْرِ جَهَنَّمَ لَعَذَرَكَ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْعُقَلَاءِ
وَصَوَّبَ رَأْيَكَ عَالَمٌ مِنَ ٱلْأَشْرَافِ. وَٱلْأَنَاةُ أَقْرَبُ مِنَ
ٱلْحَمْدِ وَأَبْعَدُ مِنَ ٱلذَّمِّ وَأَنَا أَى مِنْ خَوْفِ ٱلْعَجَلَةِ وَقَدْ قَالَ
ٱلْأَوَّلُ عَلَيْكَ بِٱلْأَنَاةِ فَإِنَّكَ عَلَى إِيقَاعِ مَا لَمْ تُوقِعْهُ أَقْدَرُ
مِنْكَ عَلَى رَدِّ مَا قَدْ أَوْقَعْتَهُ. وَلَيْسَ يُصَارِعُ ٱلْغَضَبَ أَيَّامَ
شَبَابِهِ شَيْءٌ إِلَّا صَرَعَهُ وَلَا يُنَازِعُهُ قَبْلَ أَنْتِهَائِهِ إِلَّا قَهَرَهُ
وَإِنَّمَا يُحْتَالُ لَهُ قَبْلَ هَيْجِهِ فَمَتَى تَمَكَّنَ وَٱسْتَفْحَلَ وَأَذْكَى
نَارَهُ وَأَشْعَلَ ثُمَّ لَاقَى مِنْ صَاحِبِهِ قُدْرَةً وَمِنْ أَعْوَانِهِ سَمْعًا
وَطَاعَةً فَلَوِ ٱسْتَبْطَنْتَهُ بِٱلتَّوْرَاةِ وَأَوْجَرْتَهُ بِٱلْإِنْجِيلِ وَلَدَدْتَهُ

بِالزَّبُورِ وَأُفْرِغَتْ عَلَى رَأْسِهِ الْقُرْآنَ إِفْرَاغًا وَأُتِيتَهُ يَا آدَمَ شَفِيعًا لَهَا أَقْصَرَ دُونَ أَقْصَى قُوَّتِهِ وَلَنْ يُسَكِّنَ غَضَبَ الْعَبْدِ إِلَّا ذِكْرُهُ غَضَبَ الرَّبِّ. فَلَا تَقِفْ حَفِظَكَ اللهُ بَعْدَ مُضِيِّكَ فِي عِنَابِيَ الْتِمَاسًا لِلْعَفْوِ عَنِّي وَلَا تُقْصِرْ عَنْ إِفْرَاطِكَ مِنْ طَرِيقِ الرَّحْمَةِ بِي وَلَكِنْ قِفْ وِقْفَةَ مَنْ يَتَّهِمُ الْغَضَبَ عَلَى عَقْلِهِ وَالشَّيْطَانَ عَلَى دِينِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ لِلْكَرَمِ أَعْدَاءً وَيُمْسِكُ إِمْسَاكَ مَنْ لَا يُبَرِّئُ نَفْسَهُ مِنَ الْهَوَى وَلَا يُبَرِّئُ الْهَوَى مِنَ الْخَطَاءِ وَلَا تُنْكِرْ لِنَفْسِكَ أَنْ تَزِلَّ وَلِعَقْلِكَ أَنْ يَهْفُوَ فَقَدْ زَلَّ آدَمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ خَلَقَهُ بِيَدِهِ. وَلَسْتُ أَسْأَلُكَ إِلَّا رَيْثَمَا تَسْكُنُ نَفْسُكَ وَيَرْتَدُّ إِلَيْكَ ذِهْنُكَ وَتَرَى الْحِلْمَ وَمَا يَجْلُبُ مِنَ السَّلَامَةِ وَطِيبِ الْأُحْدُوثَةِ. وَاللهُ يَعْلَمُ وَكَفَى بِهِ عَلِيمًا لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَفْدِيَكَ بِنَفْسِي فِي مُكَاتَبَاتِي وَكُنْتُ عِنْدَ نَفْسِي فِي عِدَادِ الْمَوْتَى وَفِي حَيِّزِ الْهَلْكَى فَرَأَيْتُ أَنَّ مِنَ الْخِيَانَةِ لَكَ وَمِنَ اللُّؤْمِ فِي مُعَامَلَتِكَ أَنْ أَفْدِيَكَ بِنَفْسٍ مَيِّتَةٍ وَأَنْ أُرِيَكَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكَ أَنْفَسَ ذُخْرٍ وَالذُّخْرُ مَعْدُومٌ. وَأَنَا أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخُو ثَقِيفٍ مَوَدَّةُ الْأَخِ التَّالِدِ وَإِنْ أَخْلَقَ خَيْرٌ مِنْ مَوَدَّةِ الْأَخِ الطَّارِفِ

وَإِنْ ظَهَرَتْ مَسَاعِيهِ وَرَاقَتْ جِدَّتُهُ · سَلَّمَكَ ٱللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْكَ وَكَانَ لَكَ وَمَعَكَ

وكتب بعضهم الى أمير

أَنَا مَنْ لَا يُحَاجُّكَ عَنْ نَفْسِهِ وَلَا يُغَالِطُكَ فِي جُرْمِهِ وَلَا يَلْتَمِسُ رِضَاكَ إِلَّا مِنْ جِهَةِ عَفْوِكَ وَلَا يَسْتَعْطِفُكَ إِلَّا بِٱلْإِقْرَارِ بِٱلذَّنْبِ وَلَا يَسْتَمِيلُكَ إِلَّا بِٱلِٱعْتِرَافِ بِٱلزَّلَّةِ وَقَالَ ٱلْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ

مَا أَحْسَنَ ٱلْعَفْوَ مِنَ ٱلْقَادِرِ لَا سِيَّمَا عَنْ غَيْرِ ذِي نَاصِرِ
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَلَا ذَنْبَ لِي فَمَا لَهُ غَيْرَكَ مِنْ غَافِرِ
أَعُوذُ بِٱلْوُدِّ ٱلَّذِي بَيْنَنَا أَنْ يَفْسُدَ ٱلْأَوَّلُ بِٱلْآخِرِ

وكتب ابنُ مكرَّمٍ الى بعض الرؤساء

نَبَتْ بِي غِرَّةُ ٱلْحَدَاثَةِ فَرَدَّتْنِي إِلَيْكَ ٱلتَّجْرِبَةُ وَقَادَتْنِي ٱلضَّرُورَةُ ثِقَةً بِإِسْرَاعِكَ إِلَيَّ وَإِنْ أَبْطَأْتُ عَنْكَ وَقَبُولِكَ لِعُذْرِي وَإِنْ قَصَّرْتُ عَنْ وَاجِبِكَ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي سَدَّتْ عَلَيَّ مَسَالِكَ ٱلصَّفْحِ عَنِّي فَرَاجِعْ فِيَّ مَجْدَكَ وَسُؤْدُدَكَ وَإِنِّي لَا أَعْرِفُ مَوْقِفًا أَذَلَّ مِنْ مَوْقِفِي لَوْلَا أَنَّ ٱلْمُخَاطَبَةَ فِيهِ لَكَ وَلَا خُطَّةً أَدْنَأَ مِنْ خُطَّتِي لَوْلَا أَنَّهَا فِي طَلَبِ رِضَاكَ

Digitized by Google

وكتب أبو بكر الخوارزمي الى أبي علي اليعلي لما طال عتابه وكثرت رقاعه اليه

لَوْ بِغَيْرِ الْمَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ
كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ أَعْتِصَارِي

كَيْفَ يَقْدِرُ أَبْقَى اللهُ الشَّيْخَ عَلَى الدَّوَاءِ مَنْ لَا يَهْتَدِي إِلَى أَوْجُهِ الدَّاءِ وَكَيْفَ يُدَارِي أَعْدَاءَهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْأَصْدِقَاءَ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَكَيْفَ يُعَالِجُ عِلَّةَ الْقَرْحَةِ الْعَمْيَاءِ أَمْ كَيْفَ يَسْرِي بِلَا دَلِيلٍ فِي الظَّلْمَاءِ أَمْ كَيْفَ يَخْرُجُ الْهَارِبُ مِنْ بَيْنِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ. أَلْكَرِيمُ أَيَّدَ اللهُ الشَّيْخَ إِذَا قَدَرَ غَفَرَ وَإِذَا أَوْثَقَ أَطْلَقَ وَإِذَا أَسَرَ أَعْتَقَ وَلَقَدْ هَرَبْتُ مِنَ الشَّيْخِ إِلَيْهِ وَتَسَلَّحْتُ بِعَفْوِهِ عَلَيْهِ وَأَلْقَيْتُ رِبْقَةَ حَيَاتِي وَمَمَاتِي بِيَدِهِ فَلْيُذِقْنِي حَلَاوَةَ رِضَاهُ عَنِّي كَمَا أَذَاقَنِي مَرَارَةَ انْتِقَامِهِ مِنِّي وَلْتَلُحْ عَلَى حَالِهِ غُرَّةُ عَفْوِهِ كَمَا لَاحَتْ عَلَيْهَا مَوَاسِمُ غَضَبِهِ وَسَطْوِهِ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْحُرَّ كَرِيمُ الظَّفَرِ إِذَا نَالَ أَحَالَ وَأَنَّ اللَّئِيمَ لَئِيمُ الظَّفَرِ إِذَا نَالَ اسْتَطَالَ وَلْيَغْتَنِمِ التَّجَاوُزَ عَنْ عَثَرَاتِ الْأَحْرَارِ وَلْيَنْتَهِزْ فُرَصَ الْاِقْتِدَارِ وَلْيَحْمَدِ اللهَ الَّذِي أَقَامَهُ مُقَامَ مَنْ يُرْتَجَى وَيُخْشَى

وَرَكَّبَ نِصَابَهُ فِي رُتْبَةٍ شَابَ ٱلزَّمَانُ وَمَجْدُهَا فَتِيٌّ وَأَخْلَقَ ٱلْعَالَمُ وَذِكْرُهَا طَرِيٌّ فَجَعَلَهُ فِي ٱلْمِيلَادِ كَرِيمَهَا وَسَلِيلَهَا وَفِي ٱلرُّتْبَةِ قَدْوَتَهَا وَجَلِيلَهَا وَلْيَعْتَقِدْ أَنَّهُ قَدْ هَابَهُ مَنِ ٱسْتَتَرَ وَلَمْ يُذْنِبْ إِلَيْهِ مَنِ ٱعْتَذَرَ وَأَنَّ مَنْ رُدَّ عَلَيْهِ عُذْرُهُ فَقَدْ أُخْرِجَ إِلَى ٱلشَّجَاعَةِ بَعْدَ ٱلْجُبْنِ وَأُخْرِجَ ذَنْبُهُ إِلَى صَحْنِ ٱلْيَقِينِ مِنْ سُتْرَةِ ٱلظَّنِّ وَفَّقَ ٱللهُ ٱلشَّيْخَ لِمَا يَحْفَظُ عَلَيْهِ قُلُوبَ أَوْلِيَآئِهِ وَعَصَمَهُ مِمَّا يَزِيدُ بِهِ فِي عَدَدِ جَمَاجِمِ أَعْدَآئِهِ وَلَيْسَ بَيْنَ ٱلْمُوَالَاةِ وَٱلْمُعَادَاةِ إِلَّا لَقْيَةٌ بَشِعَةٌ أَوْ لَفْظَةٌ قَذِعَةٌ

ولمحمد الى بعض اصفيائه

وَافَانِي كِتَابُكَ ٱلْعَزِيزُ وَٱلنَّفْسُ نَازِعَةٌ إِلَى مَا يُزِيلُ نِفَارَهَا وَٱلْقَرِيحَةُ تَائِقَةٌ إِلَى مَا يَشْحَذُ غِرَارَهَا فَكَانَ رَوْضَةً بَاسِمَةَ ٱلْكَمَائِمِ فَائِحَةَ ٱلنَّسَائِمِ قَدْ رَدَّتْ عَلَى ٱلنَّفْسِ ٱنْبِسَاطَهَا وَأَحْيَتِ ٱلْبَادِرَةَ فَٱسْتَأْنَفَتْ نَشَاطَهَا فَأَنَا مِنْهُ مَا بَيْنَ وَشْيٍ يُخْجِلُ طِرَازَ ٱلْعَبْقَرِيَّةِ وَزُخْرُفٍ دُونَهُ نَضْرَةُ ٱلسَّابِرِيَّةِ تُنَاجِينِي مِنْهُ رَشَاقَةُ أَلْفَاظٍ تَفْضَحُ قُدُودَ ٱلْحِسَانِ وَغَضَاضَةُ أَنْفَاسٍ يَغَارُ مِنْهَا وَرْدُ ٱلْجِنَانِ وَرِقَّةُ خِطَابٍ يَشِفُّ عَنْ

Digitized by Google

وُدٍّ صَفِيٍّ وَلُطْفٍ حَفِيٍّ وَكَرَمٍ وَفِيٍّ وَعَتْبٍ أَعْذَبَ مِنَ
الْمَاءِ الْقَرَاحِ وَأَرَقَّ مِنْ نَسَمَاتِ الصَّبَا فِي الصَّبَاحِ حَتَّى
لَقَدْ حَبَّبَ إِلَيَّ تَقْصِيرِي وَشَفَعَ عِنْدَ نَفْسِي فِي قَبُولِ مَعَاذِيرِي
عَلَى أَنَّ مَا عِنْدِي مِنَ الْوَلَاءِ لَا يَعْتَرِيهِ مَعَاذَ اللهِ وَهَنٌ وَلَا
يُخْلِقُهُ تَمَادِي زَمَنٍ أَوْ تَرَامِي وَطَنٍ وَلَكِنَّ صُرُوفَ
الْأَحْدَاثِ قَدْ قَصَّرَتِ الْجُهْدَ وَصَرَفَتْ جَوَادَ الْعَزِيمَةِ عَنِ
الْقَصْدِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَوْ نَزَلْتُ عَلَى حُكْمِ نَوَازِلِ الدَّهْرِ
وَلَمْ أُدَافِعْ طَلَائِعَهَا بِمَا بَقِيَ مِنْ سَاقَةِ الصَّبْرِ لَمَا كَانَ فِي
هِمَّتِي إِلَّا كَسْرُ الْيَرَاعِ وَهَجْرُ الْمَحَابِرِ وَالرِّقَاعِ وَحَسْبِي
مِنَ الْعُذْرِ مَا أَعْرِفُهُ مِنْ حِلْمِكَ الْمَأْلُوفِ وَمَا أَلِفْتُهُ مِنْ
كَرَمِكَ الْمَعْرُوفِ وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يُبْقِيَكَ لِي مِنَ الدَّهْرِ
نَصِيبًا وَيُمَتِّعَنِي بِلِقَائِكَ قَرِيبًا بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

ولهُ ايضًا

بِمَ يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مَنْ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ عُذْرًا وَكَيْفَ يَسْتَتِرُ
مِنْ عَتْبِكَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ لِذَنْبِهِ سَتْرًا بَلْ كَفَانِي مِنَ الْعَتْبِ
تَعْنِيفُ نَفْسِي عَلَى مَا أَلْقَيْتُ عَلَيْهَا مِنْ تَبِعَةِ تَقْصِيرِي وَمَا
حُلْتُ بِهِ مِنَ التَّفْرِيطِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَعَاذِيرِي وَاللهُ يَعْلَمُ مَا

Digitized by Google

كَانَ تَقْصِيرِي شَيْئًا أَرَدْتُهُ وَلَا كَانَ تَفْرِيطِي أَمْرًا قَصَدْتُهُ وَلٰكِنَّهَا ٱلْأَيَّامُ إِنْ صَاحَبْتَهَا لَمْ تُصْحِبْ وَإِنْ عَاتَبْتَهَا لَمْ تُعْتِبْ فَلَقَدْ عَبَرَتْ بِي هٰذِهِ ٱلْبُرْهَةُ كُلُّهَا وَأَنَا بَيْنَ شَوَاغِلَ لَا يَشْغَلُهَا عَنِّي شَاغِلٌ وَبَلَابِلَ قَدْ ٱخْتَلَطَ حَابِلُهَا بِٱلنَّابِلِ فَنَازَعَتْهَا هٰذِهِ ٱلنُّهْزَةُ ٱلْيَسِيرَةُ أُجَدِّدُ فِيهَا صِلَةَ ٱلتَّذْكِرَةِ إِلَى أَنْ يَمُنَّ ٱللّٰهُ بِصِلَةِ ٱلْحَبْلِ وَٱجْتِمَاعِ ٱلشَّمْلِ وَأَسْتَنْزِلُ أَحْرُفًا مِنْ خَطِّكَ يَكْتَحِلُ بِهَا ٱلنَّاظِرُ وَيَأْنَسُ إِلَيْهَا ٱلْخَاطِرُ مُتَوَقِّعًا بَعْدَ ذٰلِكَ أَنْ أَبْقَى بَيْنَ يَدَيْ مَوَدَّتِكَ مَذْكُورًا وَأَنْ لَا يَكُونَ عَجْزِي لَدَيْكَ شَيْئًا مَنْظُورًا وَأَنْ تَجْرِيَ بِي عَلَى عَادَةِ حِلْمِكَ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ ٱللّٰهُ ٱلشَّتِيتَيْنِ وَيُغْنِيَ ٱلْعَيْنَ عَنِ ٱلْأَثَرِ بِٱلْعَيْنِ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى

فَصْلٌ

فِي ٱلْعِتَابِ

وكتب ابو الفضل بديعُ الزمانِ الهَمَذانيُّ الى ابي جعفرٍ الميكاليّ

لَئِنْ سَاءَنِي أَنْ نِلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكِ

أَلْأَمِيرُ أَطَالَ ٱللّٰهُ بَقَاءَهُ إِلَى آخِرِ ٱلدُّعَاءِ فِي حَالَيْ

بِرِّهِ وَجَفَائِهِ مُتَفَضِّلٌ وَفِي يَوْمَيْ إِدْنَائِهِ وَإِبْعَادِهِ مُحْسِنٌ
وَهَنِيئًا لَهُ مِنْ حِمَانَا مَا يَحِلُّهُ وَمِنْ عُرَانَا مَا يَحُلُّهُ وَمِنْ أَعْرَاضِنَا
مَا يَسْتَحِلُّهُ بَلَغَنِي أَنَّهُ أَدَامَ ٱللهُ عِزَّهُ ٱسْتَزَادَ صَنِيعَهُ فَكُنْتُ
أَظُنُّنِي مُجْنِيًا عَلَيْهِ مُسَاءً إِلَيْهِ فَإِذَا أَنَا فِي قَرَارَةِ ٱلذَّنْبِ
وَمَشَارَةِ ٱلْعَتْبِ وَلَيْتَ شِعْرِي أَيُّ مَحْظُورٍ فِي ٱلْعِشْرَةِ حَضَرْتُهُ
أَوْ مَفْرُوضٍ مِنَ ٱلْخِدْمَةِ رَفَضْتُهُ أَوْ وَاجِبٍ فِي ٱلزِّيَارَةِ
أَهْمَلْتُهُ وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا ضَيْفًا أَهْدَاهُ مَنْزِعٌ شَاسِعٌ وَأَدَّاهُ
أَمَلٌ وَاسِعٌ وَحَدَاهُ فَضْلٌ وَإِنْ قَلَّ وَهَدَاهُ رَأْيٌ وَإِنْ
ضَلَّ ثُمَّ لَمْ يُلْقِ إِلَّا فِي آلِ مِيكَالَ رَحْلَهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَّا بِهِمْ
حَبْلَهُ وَلَمْ يَنْظِمْ إِلَّا فِيهِمْ شِعْرَهُ وَلَمْ يَقِفْ إِلَّا عَلَيْهِمْ
شُكْرَهُ ثُمَّ مَا بَعُدَتْ صُحْبَةٌ إِلَّا دَنَتْ مَهَانَةٌ وَلَا زَادَتْ حُرْمَةٌ
إِلَّا نَقَصَتْ صِيَانَةٌ وَلَا تَضَاعَفَتْ مِنَّةٌ إِلَّا تَرَاجَعَتْ مَنْزِلَةٌ
حَتَّى صَارَ وَابِلُ ٱلْإِعْظَامِ قَطْرَةً وَعَادَ قَمِيصُ ٱلْقِيَامِ
صُدْرَةً وَدَخَلْتُ مَجْلِسَهُ وَحَوْلَهُ مِنَ ٱلْأَعْدَاءِ كَتِيبَةٌ فَصَارَ
ذٰلِكَ ٱلتَّقْرِيبُ أَزْوِرَارًا وَذٰلِكَ ٱلسَّلَامُ ٱخْتِصَارًا وَٱلِٱهْتِزَازُ
إِيمَاءً وَٱلْعِبَارَةُ إِشَارَةً وَحِينَ عَاتَبْتُهُ آمُلُ إِعْتَابَهُ
وَكَاتَبْتُهُ أَنْتَظِرُ جَوَابَهُ وَسَأَلْتُهُ أَرْجُو إِجَابَهُ أَجَابَ بِٱلسُّكُوتِ

Digitized by Google

فَمَا أَزْدَدْتُ لَهُ إِلَّا وَلَاءً وَعَلَيْهِ إِلَّا ثَنَاءً لَاجَرَمَ أَنِّي ٱلْيَوْمَ أَبْيَضُ وَجْهِ ٱلْعَهْدِ وَاضِحُ حُجَّةِ ٱلْوُدِّ طَوِيلُ لِسَانِ ٱلْقَوْلِ رَفِيعُ حُكْمِ ٱلْعُذْرِ وَقَدْ حَمَّلْتُ فُلَانًا مِنَ ٱلرِّسَالَةِ مَا تَجَافَى ٱلْقَلَمُ عَنْهُ وَٱلْأَمِيرُ ٱلرَّئِيسُ أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَهُ يُنْعِمُ بِٱلْإِصْغَاءِ لِمَا يُورِدُهُ مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ

وله الى القاسم الكرجي

أَنَا أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَ ٱلشَّيْخِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَإِنْ لَمْ أَلْقَ تَطَاوُلَ ٱلْإِخْوَانِ إِلَّا بِٱلتَّطَوُّلِ وَتَحَامُلَ ٱلْأَحْرَارِ إِلَّا بِٱلتَّحَمُّلِ أُحَاسِبُ ٱلشَّيْخَ أَيَّدَهُ ٱللهُ عَلَى أَخْلَاقِهِ ضِنًّا بِمَا عُقِدَتْ يَدِي عَلَيْهِ مِنَ ٱلظَّنِّ بِهِ وَٱلتَّقْدِيرِ فِي مَذْهَبِهِ وَلَوْلَا ذٰلِكَ لَقُلْتُ فِي ٱلْأَرْضِ مَجَالٌ إِنْ ضَاقَتْ ظِلَالُكَ وَفِي ٱلنَّاسِ وَاصِلٌ إِنْ رَثَّتْ حِبَالُكَ وَأُؤَاخِذُهُ بِأَفْعَالِهِ فَإِنْ أَعَارَنِي أُذُنًا وَاعِيَةً وَنَفْسًا مُرَاعِيَةً وَقَلْبًا مُتَّعِظًا وَرُجُوعًا عَنْ ذَهَابِهِ وَنُزُوعًا عَنْ هٰذَا ٱلْبَابِ ٱلَّذِي يَقْرَعُهُ وَنُزُولًا عَنِ ٱلصَّعُودِ ٱلَّذِي يَفْرَعُهُ فَرَشْتُ لِمَوَدَّتِهِ خِوَانَ صَدْرِي وَعَقَدْتُ عَلَيْهِ جَوَامِعَ خَصْرِي وَمَجَامِعَ عُمْرِي وَإِنْ رَكِبَ مِنَ ٱلتَّعَالِي غَيْرَ مَرْكَبِهِ وَذَهَبَ مِنَ ٱلتَّغَالِي

Digitized by Google

فِي غَيْرِ مَذْهَبِهِ أَقْطَعْتُهُ خِطَّةَ أَخْلَاقِهِ وَوَلَّيْتُهُ جَانِبَ إِعْرَاضِهِ وَٱنْكِفَاتُ

لَا أَذُودُ ٱلطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ ٱلْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهْ

فَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ فِي مُقْتَبَلِ ٱلسِّنِّ وَٱلْعُمْرِ قَدْ حَلَبْتُ شَطْرَيِ ٱلدَّهْرِ وَرَكِبْتُ ظَهْرَيِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَلَقِيتُ وَفْدَيِ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ وَصَافَحْتُ يَدَيِ ٱلنَّفْعِ وَٱلضَّرِّ وَضَرَبْتُ إِبْطَيِ ٱلْعُسْرِ وَٱلْيُسْرِ وَبَلَوْتُ طَعْمَيِ ٱلْحُلْوِ وَٱلْمُرِّ وَرَضِعْتُ ضَرْعَيِ ٱلْعُرْفِ وَٱلنُّكْرِ فَمَا تَكَادُ ٱلْأَيَّامُ تُرِينِي مِنْ أَفْعَالِهَا غَرِيبًا وَتُسْمِعُنِي مِنْ أَحْوَالِهَا عَجِيبًا وَلَقِيتُ ٱلْأَفْرَادَ وَطَرَحْتُ ٱلْآحَادَ فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا إِلَّا مَلَأْتُ حَافَتَيْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَشَغَلْتُ حَيِّزَيْ فِكْرِهِ وَنَظَرِهِ وَأَثْقَلْتُ كَتِفَهُ فِي ٱلْحَزْنِ وَكِفَّتَهُ فِي ٱلْوَزْنِ وَوَدَّ لَوْ بَادَرَ ٱلْقِرْنُ صَحِيفَتِي أَوْ لَقِيَ صَفِيحَتِي فَمَا لِي صَغُرْتُ هٰذَا ٱلصِّغَرَ فِي عَيْنِهِ وَمَا ٱلَّذِي أَزْرَى بِي عِنْدَهُ حَتَّى ٱحْتَجَبَ وَقَدْ قَصَدْتُهُ وَلَزِمَ أَرْضَهُ وَقَدْ حَضَرْتُهُ أَنَا أُحَاشِيهِ أَنْ يَجْهَلَ قَدْرَ ٱلْفَضْلِ أَوْ يَجْحَدَ فَضْلَ ٱلْعِلْمِ أَوْ يَمْتَطِيَ ظَهْرَ ٱلتِّيهِ عَلَى أَهْلِيهِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَخُصَّنِي مِنْ بَيْنِهِمْ بِفَضْلِ إِعْظَامٍ إِنْ زَلَّتْ بِي مَرَّةً قَدَمٌ فِي

قَصْدِهِ وَكَأَنِّي بِهِ قَدْ غَضِبَ لِهٰذِهِ ٱلْمُخَاطَبَةِ ٱلْمُجْحِفَةِ وَٱلرُّتْبَةِ ٱلْمُتَحَيِّفَةِ وَهُوَ فِي جَنْبِ جَفَائِهِ يَسِيرٌ فَإِنْ أَقْلَعَ عَنْ عَادَتِهِ وَنَزَعَ عَنْ شِيمَتِهِ فِي ٱلْجَفَاءِ فَأَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَ ٱلْأُسْتَاذِ ٱلْفَاضِلِ وَأَدَامَ عِزَّهُ وَتَأْبِيدَهُ

وكتب الجاحظ الى قليب المغربيّ

وَٱللهِ يَا قَلِيبُ لَوْلَا أَنَّ كَبِدِي فِي هَوَاكَ مَقْرُوحَةٌ وَرُوحِي بِكَ مَجْرُوحَةٌ لَسَاجَلْتُكَ هٰذِهِ ٱلْقَطِيعَةَ وَمَادَدْتُكَ حَبْلَ ٱلْمُصَارَمَةِ وَأَرْجُو أَنَّ ٱللهَ تَعَالَى يُدِيلُ صَبْرِي مِنْ جَفَائِكَ فَيَرُدُّكَ إِلَى مَوَدَّتِي وَأَنْفُ ٱلْقِلَى رَاغِمٌ فَقَدْ طَالَ ٱلْعَهْدُ بِٱلِاجْتِمَاعِ حَتَّى كِدْنَا نَتَنَاكَرُ عِنْدَ ٱلِالْتِقَاءِ

وكتب بعضهم

لَوْ كَانَتِ ٱلشُّكُوكُ تُخْتَلَجُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ إِخَائِكَ وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَتْبِي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُتُبِي وَٱحْتِبَاسِ جَوَابَاتِهَا عَنِّي وَلٰكِنَّ ٱلثِّقَةَ بِمَا تَقَدَّمَ عِنْدِي تَعْذِرُكَ وَتُحَسِّنُ مَا يُقَبِّحُهُ جَفَاؤُكَ وَٱللهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ

وكتب آخرُ الى بعض إخوانه

أَلْهَمَكَ ٱللهُ مِنَ ٱلرُّشْدِ بِحَسَبِ مَا مَنَحَكَ مِنَ ٱلْفَضْلِ

لَوْ أَنَّ كُلَّ مَنْ نَازَعَ إِلَى الصَّرْمِ قَلَّدْنَاهُ عِنَانَ الْهَجْرِ لَكُنَّا أَوْلَى بِالذَّنْبِ مِنْهُ وَلَكِنْ نَرُدُّ عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ وَنَأْخُذُ لَهَا مِنْكَ

وكتبَ عبدُ اللهِ بنُ معاويةَ بن عبدِ الله بنِ جعفرٍ ذي الجناحين الى بعض إخوانهِ

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَاقَنِي الشَّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ ابْتِدَاءُ تَنِي بِلُطْفٍ عَنْ غَيْرِ خِبْرَةٍ وَأَعْقَبْتَهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فَأَطْمَعَنِي أَوَّلُكَ فِي إِخَائِكَ وَأَيْأَسَنِي آخِرُكَ مِنْ وَفَائِكَ فَسُبْحَانَ مَنْ لَوْ شَاءَ لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ فَأَقْمَنَا عَلَى ائْتِلَافٍ وَافْتَرَقْنَا عَلَى اخْتِلَافٍ

وكتبَ احمدُ بنُ يوسفَ الى بعضهم

لَوْلَا حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ أَعَزَّكَ اللهُ لَكَانَ فِي إِغْضَائِكَ عَنِّي مَا يَقْبِضُنِي عَنِ الطَّلَبَةِ إِلَيْكَ وَلَكِنْ أَمْسَكَ بِرَمَقٍ مِنَ الرَّجَاءِ عِلْمِي بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ الْحَقِّ وَبَسْطِ يَدِكَ إِلَى الَّذِي لَوْ قَبَضْتَهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا كَرَمُكَ مُذَكِّرًا وَسُؤْدَدُكَ شَافِعًا

وكتبَ العتابيُّ الى بعض اخوانهِ

لَوِ اعْتَصَمَ شَوْقِي إِلَيْكَ بِمِثْلِ سُلُوِّكَ عَنِّي لَمْ أَبْذُلْ وَجْهَ

ٱلرَّغبَةِ إِلَيْكَ وَلَمْ أَتجَشَّمْ مَرارَةَ تَمادِيكَ ولٰكِنِ ٱستَخَفَّتْنا صَبابَتُنا فَٱحتَمَلْنا قَسوَتَكَ لِعَظِيمِ قَدْرِ مَوَدَّتِكَ وَأَنتَ أَحَقُّ مَنِ ٱقتَصَّ لِصِلَتِنا مِنْ جَفائِهِ وَلِشَوْقِنا مِنْ إِبْطائِهِ

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى صديق له لما تخلص من يد محمد بن ابرهيم

كِتابِي وَقَدْ خَرَجْتُ مِنَ ٱلْبَلاءِ خُرُوجَ ٱلسَّيفِ مِنَ ٱلْجِلاءِ وَبُرُوزَ ٱلْبَدْرِ مِنَ ٱلظَّلْماءِ وَقَدْ فارَقَتْنِي ٱلْمِحْنَةُ وَهِيَ مُفارِقٌ لا يُشْتاقُ إِلَيْهِ وَوَدَّعَتْنِي وَهِيَ مُوَدِّعٌ لا يُبْكَى عَلَيْهِ وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ تَعالَى عَلَى مِحْنَةٍ يُجَلِّيها وَنِعْمَةٍ يُنِيلُها وَيُولِيها كُنْتُ أَتَوَقَّعُ أَمْسِ كِتابَ ٱلشَّيْخِ بِٱلتَّسْلِيَةِ وَٱلْيَوْمَ بِٱلتَّهْنِئَةِ فَلَمْ يُكاتِبْنِي فِي أَيّامِ ٱلْبُرَحاءِ بِأَنَّها غَمَّتْهُ وَلا فِي أَيّامِ ٱلرَّخاءِ بِأَنَّها سَرَّتْهُ وَقَدِ ٱعْتَذَرْتُ عَنْهُ إِلَى نَفْسِي وَجادَلْتُ عَنْهُ قَلْبِي فَقُلْتُ أَمّا إِخْلالُهُ بِٱلْأُولَى فَلِأَنَّهُ شَغَلَهُ ٱلِاهْتِمامُ بِها عَنِ ٱلْكَلامِ فِيها وَأَمّا تَغافُلُهُ عَنِ ٱلْأُخْرَى فَلِأَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يُوَفِّرَ عَلَيَّ مَرْتَبَةَ ٱلسّابِقِ إِلَى ٱلِابْتِداءِ وَيَقْتَصِرَ بِنَفْسِهِ عَلَى مَحَلِّ ٱلِاقْتِداءِ لِتَكُونَ نِعَمُ ٱللّٰهِ سُبْحانَهُ عَلَيَّ مَوْفُورَةً مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَمَحْفُوفَةً بِي مِنْ كُلِّ رُتْبَةٍ فَإِنْ كُنْتُ أَحْسَنْتُ ٱلِاعْتِذارَ عَنْ سَيِّدِي فَلْيَعْرِفْ لِي حَقَّ ٱلْإِحْسانِ وَلْيَكْتُبْ

إِلَيَّ بِالْإِسْتِحْسَانِ وَإِنْ كُنْتُ أَسَأْتُ فَلْيُخْبِرْنِي بِعُذْرِهِ فَإِنَّهُ أَعْرَفُ مِنِّي بِسِرِّهِ وَلْيَرْضَ مِنِّي بِأَنِّي حَارَبْتُ عَنْهُ قَلْبِي وَاعْتَذَرْتُ عَنْ ذَنْبِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ ذَنْبِي وَقُلْتُ يَا نَفْسِ اعْذِرِي أَخَاكِ وَخُذِي مِنْهُ مَا أَعْطَاكِ فَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ

فَصْلٌ

فِي التَّنَصُّلِ

كتب ابن الرومي الى القاسم بن عُبيد الله

تَرَفَّعْ عَنْ ظُلْمِي إِنْ كُنْتُ بَرِيئًا وَتَفَضَّلْ بِالْعَفْوِ إِنْ كُنْتُ مُسِيئًا فَوَاللهِ إِنِّي لَأَطْلُبُ عَفْوَ ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ وَأَلْتَمِسُ الْإِقَالَةَ مِمَّا لَا أَعْرِفُهُ لِتَزْدَادَ تَطَوُّلًا وَأَزْدَادَ تَذَلُّلًا وَأَنَا أُعِيذُ حَالِي عِنْدَكَ بِكَرَمِكَ مِنْ وَاشٍ يَكِيدُهَا وَأَحْرُسُهَا بِوَفَائِكَ مِنْ بَاغٍ يُحَاوِلُ إِفْسَادَهَا وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ حَظِّي مِنْكَ بِقَدْرِ وُدِّي لَكَ وَمَحَلِّي مِنْ رَجَائِكَ بِحَيْثُ أَسْتَحِقُّ مِنْكَ

وكتب آخر الى بعضهم

أَنْتَ أَعَزَّكَ اللهُ أَعْلَمُ بِالْعَفْوِ وَالْعُقُوبَةِ مِنْ أَنْ تُجَازِيَنِي

بِالسُّوءِ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ بِيَدٍ وَلَا لِسَانٍ بَلْ جَنَاهُ عَلَيَّ لِسَانُ وَاشٍ. فَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لَا تُسَهِّلُ سَبِيلَ الْعُذْرِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْكَرَمِ وَأَرْعَى لِحُقُوقِهِ وَأَقْعَدُ بِالشَّرَفِ وَأَحْفَظُ لِذِمَّتِهِ مِنْ أَنْ تُرَدِّدَ مُؤَمِّلَكَ صِفْرًا مِنْ عَفْوِكَ إِذَا الْتَمَسَهُ وَمِنْ عُذْرِكَ إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ وَذَرِيعَةً لَهُ

وكتب بديعُ الزمانِ الهَمَذانيُّ الى ابي عليّ بن مشكويه

وَيَا عَزَّ إِنْ وَاشٍ وَشَى بِيَ عِنْدَكُمْ
فَلَا تُمْهِلِيهِ أَنْ تَقُولِي لَهُ مَهْلَا
كَمَا لَوْ وَشَى وَاشٍ بِعِزَّةَ عِنْدَنَا
لَقُلْنَا تَزَحْزَحْ لَا قَرِيبًا وَلَا أَهْلَا

بَلَغَنِي أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ أَنَّ عَقْرَبَ الشَّرِّ دَبَّتْ إِلَيْهِ بِأَحَادِيثَ لَمْ يُعِرْهَا الْحَقُّ نُورَهُ وَلَا الصِّدْقُ ظُهُورَهُ وَأَنَّهُ أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ أَذِنَ لَهَا عَلَى مَجَالِ أُذْنِهِ وَفَسَحَ لَهَا فِنَاءَ ظَنِّهِ وَمَعَاذَ اللهِ أَنْ أَقُولَهَا وَأَسْتَجِيزَ مَعْقُولَهَا بَلْ قَدْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّيْخِ الْفَاضِلِ عِتَابٌ لَا يَتَعَدَّى النَّفْسَ وَضَمِيرَهَا وَحَدِيثٌ لَا يَعْرِفُ الشَّفَةَ وَسَمِيرَهَا وَوَحْشَةٌ يَكْشِفُهَا عِتَابُ لَحْظَةٍ كَعِتَابِ جَحْظَةَ فَسُبْحَانَ مَنْ رَبَّى هٰذَا الْأَمْرَ حَتَّى

صَارَ أَمْرًا وَتَأَبَّطَ شَرًّا وَأَوْجَبَ عُذْرًا وَأَوْحَشَ حُرًّا وَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَنِي فِي جَنْبِ ٱلْعَدُوِّ أُشِيمُ بَارِقَتَهُ وَأَسْتَجْلِي صَاعِقَتَهُ وَأَنَا ٱلْمُسَاءُ إِلَيْهِ وَٱلْمُجْنِيُّ عَلَيْهِ لٰكِنْ مَنْ بُلِيَ مِنَ ٱلْأَعْدَاءِ بِمِثْلِ مَا بُلِيتُ وَرُمِيَ مِنَ ٱلْحَسَدِ بِمَا رُمِيتُ وَوَقَفَ مِنَ ٱلتَّوَحُّدِ وَٱلْوَحْدَةِ حَيْثُ وَقَفْتُ وَٱجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَكَارِهِ مَا وَصَفْتُ أَعْذَرَ مَظْلُومًا وَضَحِكَ مَشْتُومًا وَلَوْلَا أَنَّ ٱلْعُذْرَ إِقْرَارٌ بِمَا قِيلَ وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْتَقِيلَ لَبَسَطْتُ فِي ٱلِاعْتِذَارِ شَاذَرْوَانًا وَدَخَلْتُ فِي ٱلِاسْتِقَالَةِ مَيْدَانًا لٰكِنَّهُ أَمْرٌ لَمْ أَضَعْ أَوَّلَهُ فَلَمْ أَتَدَارَكْ آخِرَهُ وَلَعَلَّ ٱلشَّيْخَ أَبَا مُحَمَّدٍ أَيَّدَهُ ٱللّٰهُ يَقُومُ مِنَ ٱلِاعْتِذَارِ بِمَا قَعَدَ عَنْهُ ٱلْقَلَمُ فَنِعْمَ رَائِدُ ٱلْفَضْلِ هُوَ وَٱلسَّلَامُ

فَصْلٌ

فِي ٱلْمَدْحِ وَٱلشُّكْرِ

كتب احمدُ بنُ مكرّمٍ الى احمدَ بنِ المدبّرِ

إِنَّ جَمِيعَ أَكْفَائِكَ وَنُظَرَائِكَ يَتَنَازَعُونَ ٱلْفَضْلَ فَإِذَا ٱنْتَهَوْا إِلَيْكَ أَقَرُّوا لَكَ وَيَتَنَافَسُونَ ٱلْمَنَازِلَ فَإِذَا بَلَغُوكَ

وَقَفُوا دُونَكَ فَزَادَكَ ٱللهُ وَزَادَنَا بِكَ وَفِيكَ وَجَعَلَنَا مِمَّنْ يَقْبَلُهُ رَأْيُكَ وَيُقَدِّمُهُ ٱخْتِيَارُكَ وَيَقَعُ مِنَ ٱلْأُمُورِ بِمَوْقِعِ مُوَافَقَتِكَ وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ طَاعَتِكَ

وكتبَ بعضهم

إِنَّ مِنَ ٱلنِّعْمَةِ عَلَى ٱلْمُثْنِي عَلَيْكَ أَنْ لَا يَخَافَ ٱلْإِفْرَاطَ وَلَا يَأْمَنَ ٱلتَّقْصِيرَ وَيَأْمَنَ أَنْ تَلْحَقَهُ نَقِيصَةُ ٱلْكَذِبِ وَلَا يَنْتَهِي بِهِ ٱلْمَدْحُ إِلَى غَايَةٍ إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا

وكتبَ آخرُ الى بعضهم

إِنِّي فِيمَا أَتَعَاطَى مِنْ مَدْحِكَ كَٱلْمُخْبِرِ عَنْ ضَوْءِ ٱلنَّهَارِ ٱلزَّاهِرِ وَٱلْقَمَرِ ٱلْبَاهِرِ ٱلَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ نَاظِرٍ وَأَيْقَنْتُ أَنِّي حَيْثُ ٱنْتَهَى بِيَ ٱلْقَوْلُ مَنْسُوبٌ إِلَى ٱلْعَجْزِ مَقْصَرٌ عَنِ ٱلْغَايَةِ فَٱنْصَرَفْتُ مِنَ ٱلثَّنَاءِ عَلَيْكَ إِلَى ٱلدُّعَاءِ لَكَ وَوَكَلْتُ ٱلْإِخْبَارَ عَنْكَ إِلَى أَعْلَمِ ٱلنَّاسِ بِكَ

وكتب ابو الفضلِ بديعُ الزمانِ الهَمَذانيُّ الى الشيخ الإمام ابي الطيّبِ سهلِ

وَلَمَّا وَقَعَ بِخُرَاسَانَ مَا وَقَعَ مِنْ حَرْبٍ وَجَرَى مَا جَرَى مِنْ خَطْبٍ وَٱضْطَرَبَتِ ٱلْأُمُورُ وَٱخْتَلَفَتِ ٱلسُّيُوفُ وَٱلْتَقَتِ

ٱلْجُمُوعُ وَظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ وَخَسِرَ مَنْ خَسِرَ كَتَبَنِي ٱللهُ فِي
ٱلْأَعْلَيْنَ مَقَامًا ثُمَّ أَلْهَمَنِي ٱلِٱمْتِدَادَ عَنْ تِلْكَ ٱلْبِلَادِ
وَٱلْإِقْلَاعَ عَنْ تِلْكَ ٱلْبِقَاعِ وَأَحْسَنَ ٱللهُ ٱلدِّفَاعَ عَنْ
خَيْرِ ٱلْأَعْلَاقِ وَهُوَ ٱلرَّاسُ بِمَا دُونَ ٱلْأَعْرَاضِ وَهُوَ ٱللِّبَاسُ
فَلَمْ نَجْزَعْ لِمَرَضِ ٱلْمَحَالِ مَعَ سَلَامَةِ ٱلنُّفُوسِ وَلَمْ نَحْزَنْ
لِذَهَابِ ٱلْمَالِ مَعَ بَقَاءِ ٱلرُّؤُوسِ وَسِرْنَا حَتَّى وَرَدْنَا
عَرْصَةَ ٱلْعَدْلِ وَسَاحَةَ ٱلْفَضْلِ وَمَرْبَعَ ٱلْحَمْدِ وَمَشْرَعَ
ٱلْمَجْدِ وَمَطْلَعَ ٱلْجُودِ وَمَنْزِعَ ٱلْأَصْلِ وَمَشْعَرَ ٱلدِّينِ وَمَفْزَعَ
ٱلشُّكْرِ وَمَصْرَعَ ٱلْفَقْرِ حَضْرَةَ ٱلْمَلِكِ ٱلْعَادِلِ أَبِي أَحْمَدَ
خَلَفِ بْنِ أَحْمَدَ فَكَانَ مَا أَضَعْنَاهُ كَأَنَّا زَرَعْنَاهُ فَأَنْبَتَ
سَبْعَ سَنَابِلَ وَكَانَ مَا فَقَدْنَاهُ كَأَنَّا أَقْرَضْنَاهُ هٰذَا ٱلْمَلِكَ
ٱلْعَادِلَ وَكَأَنَّمَا سُمِّيَ خَلَفًا لِيَكُونَ عَنْ كُلِّ فَائِتٍ خَلَفًا
وَعَنْ كُلِّ مَا مَضَى عِوَضًا وَكَأَنَّمَا جِئْنَاهُ لِيُضَيِّقَ عَلَيْنَا ٱلْعَالَمَ
وَيُبَغِّضَ إِلَيْنَا بَنِي آدَمَ فَيَجْعَلَ حَبْسَنَا سِجِسْتَانَ وَقَيْدَنَا
ٱلْإِحْسَانَ وَكَأَنَّمَا خُلِقَ لِلدُّنْيَا تَخْجِيلًا وَلِلْمُلُوكِ تَخْجِيلًا
وَكَأَنَّ هٰذَا ٱلْعَالَمَ قَدْ أَحْسَنَ عَمَلًا فَجُعِلَ هٰذَا ٱلْمَلِكُ
ثَوَابَهُ وَكَأَنَّ هٰذَا ٱلْمَلِكَ قَدْ أَذْنَبَ مَثَلًا فَجُعِلَ هٰذَا ٱلْعَالَمُ

Digitized by Google

عِقَابَهُ فَهُوَ ٱلْبَحْرُ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَٱلْمَجْدُ يَتَصَوَّرُ فِي ٱلْعَيْنِ وَٱلْعَدْلُ يَتَقَسَّمُ وَٱلْجُودُ يَتَجَسَّمُ وَٱلْبَحْرُ يَتَكَلَّمُ فَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا فَرَشْتُ ٱلْأَرْضَ بِيَدِي فَرْشًا وَنَقَشْتُ ٱلتُّرَابَ بِفَمِي نَقْشًا وَخَطَا إِلَيَّ خَطَوَاتٍ كَادَتِ ٱلْأَرْضُ لَا تَسَعُهَا وَكَادَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ تَرْفَعُهَا ثُمَّ إِنَّهُ زَيَّفَ بِلُقْيَايَ وُفُودَ ٱلْكَلَامِ كَمَا زَيَّفْتُ بِلُقْيَاهُ مُلُوكَ ٱلْأَنَامِ وَأَفْسَدَنِي عَلَى ٱلنَّاسِ مِنْ جَمِيعِ ٱلْأَجْنَاسِ فَمَا أَرْضَى غَيْرَهُ أَحَدًا وَلَا أَجِدُ مِثْلَهُ أَبَدًا وَإِنْ طَلَبْتُ مَلِكًا فِي أَخْلَاقِهِ مُتُّ وَلَمْ أُلَاقِهِ أَوْ كَرِيمًا فِي جُودِهِ عُدِمْتُ قَبْلَ وُجُودِهِ فَحَرَسَ ٱللهُ سُلْطَانَهُ مِنْ مَلِكٍ وَسَّعَ أَرْزَاقِي فَضَيَّقَ أَخْلَاقِي وَأَغْلَى ثَمَنِي فَمَا يَشْتَرِينِي أَحَدٌ وَعَظَّمَ أَمْرِي فَمَا يَسَعُنِي بَلَدٌ وَهٰذَا وَصْفٌ إِنْ أَطَلْتُهُ طَالَ وَنَشَرَ ٱلْأَذْيَالَ وَٱسْتَغْرَقَ ٱلْقِرْطَاسَ بَلِ ٱلْأَنْفَاسَ وَٱسْتَنْفَدَ ٱلْأَعْمَارَ بَلِ ٱلْأَعْصَارَ وَلَمْ يَبْلُغِ ٱلْمِعْشَارَ وَأَفْنَى ٱلْأَقْلَامَ بَلِ ٱلْكَلَامَ وَلَمْ يَبْلُغِ ٱلتَّمَامَ

وكتبَ الحسنُ بن وَهْبٍ الى بعضهم

مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا أَوْ ثَرْوَةٍ أَقْدَرْتَهُ

عَلَيْهَا فَإِنَّ شُكْرِي لَكَ عَلَى مُهْجَةٍ أَحْيَيْتَهَا وَحُشَاشَةٍ أَبْقَيْتَهَا وَرَمَقٍ أَمْسَكْتَ بِهِ وَقُمْتَ بَيْنَ التَّلَفِ وَبَيْنَهُ فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا حَدٌّ تَنْتَهِي إِلَيْهِ وَمَدًى يُوقَفُ عِنْدَهُ وَغَايَةٌ مِنَ الشُّكْرِ يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ خَلَا هٰذِهِ النِّعْمَةَ الَّتِي قَدْ فَاقَتِ الْوَصْفَ وَأَطَالَتِ الشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قَدْرَهُ وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَأَرْغَمْتَ أَنْفَ الْحَسُودِ فَنَحْنُ نَلْجَأُ مِنْكَ فِيهَا إِلَى ظِلٍّ ظَلِيلٍ وَكَنَفٍ كَرِيمٍ فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ وَأَيْنَ يَبْلُغُ جُهْدُ الْمُجْتَهِدِ

وكتبَ ابو الفضلِ المِيكاليّ الى بعضهم من رسالةٍ

فَأَمَّا الشُّكْرُ الَّذِي أَعَارَنِي رِدَاءَهُ وَقَلَّدَنِي طَوْقَهُ وَسَنَاءَهُ فَهَيْهَاتِ أَنْ يَنْتَسِبَ إِلَّا إِلَى عَادَاتِ فَضْلِهِ وَإِفْضَالِهِ أَوْ يَسِيرَ إِلَّا تَحْتَ رَايَاتِ عُرْفِهِ وَنَوَالِهِ وَهُوَ ثَوْبٌ لَا يُحَلَّى إِلَّا بِذِكْرِهِ طِرَازُهُ وَاسْمٌ لَهُ حَقِيقَتُهُ وَلِسِوَاهُ مَجَازُهُ وَلَوْ أَنَّهُ حِينَ مَلَكَ رِقِّي بِأَيَادِيهِ وَأَعْجَزَ وُسْعِي عَنْ حُقُوقِ مَكَارِمِهِ وَمَسَاعِيهِ خَلَّى لِي مَذْهَبَ الشُّكْرِ وَمَيْدَانَهُ وَلَمْ يُجَاذِبْنِي زِمَامَهُ وَعِنَانَهُ لَتَعَلَّقْتُ فِي بُلُوغِ بَعْضِ الْوَاجِبِ بِعُرْوَةِ طَمَعٍ وَنَهَضْتُ فِيهِ وَلَوْ عَلَى وَهْنٍ وَظَلَعٍ وَلٰكِنَّهُ يَأْبَى إِلَّا أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَى

أَمَدِ ٱلْفَضَائِلِ وَيَتَسَنَّمَ ذِرَى ٱلْغَوَارِبِ مِنْهَا وَٱلْكَوَاهِلِ فَلَا يَدَعَ فِي ٱلْمَجْدِ غَايَةً إِلَّا سَبَقَ إِلَيْهَا فَارِطًا وَتَخَلَّفَ سِوَاهُ عَنْهَا حَسِيرًا سَاقِطًا لِتَكُونَ ٱلْمَعَالِي بِأَسْرِهَا مَجْمُوعَةً فِي مِلْكِهِ مَنْظُومَةً فِي سِلْكِهِ خَالِصَةً لَهُ مِنْ دَعْوَى ٱلْقَسِيمِ وَشِرْكِهِ

فَصْلٌ

فِي ٱلْعِيَادَةِ

كتب بعضهم الى صديق له

لَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ ٱللهُ فِي ٱلْإِغْمَامِ بِعِلَّتِكَ حَالَ ٱلْمُشَارِكِ فِيهَا بِأَنْ يَنَالَنِي نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا بَلِ ٱجْتَمَعَ عَلَيَّ مِنْهَا أَنِّي مَخْصُوصٌ بِهَا دُونَكَ مُؤْلِمٌ مِنْهَا بِمَا يُؤْلِمُكَ فَاسْأَلُ ٱللهَ ٱلَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ أَنْ يَخُصَّنِي بِهَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ

وكتب بعضهم

لَئِنْ تَخَلَّفْتُ عَنْ عِيَادَتِكَ بِٱلْعُذْرِ ٱلْوَاضِحِ مِنَ ٱلْعِلَّةِ مَا أَغْفَلَ قَلْبِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي فَحْصًا عَنْ خَبَرِكَ وَمَحَبَّتُكَ يَحُبُّ

أَنْ تَتَقَسَّمَ جَوَارِحُهُ وَصَبَكَ وَإِنْ زَادَ فِي أَلَمِهَا أَلَمُكَ وَأَنْ تَتَّصِلَ بِهِ أَحْوَالُكَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَلَمَّا بَلَغَنِي إِفَاقَتُكَ كَتَبْتُ مُهَنِّئًا بِٱلْعَافِيَةِ مُعْفِيًا مِنَ ٱلْجَوَابِ إِلَّا بِخَبَرِ ٱلسَّلَامَةِ إِنْ شَآءَ ٱللهُ

وكتبَ بعضهم

إِنَّ ٱلَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَآئِكَ قَادِرٌ عَنِ ٱلْمُدَافَعَةِ عَنْ حَوْبَآئِكَ فَلَوْ قُلْتُ إِنَّ ٱلْحَقَّ قَدْ سَقَطَ عَنِّي فِي عِيَادَتِكَ لِأَنِّي عَلِيلٌ بِعِلَّتِكَ لَقَامَ بِذٰلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي ضَمِيرِكَ وَأَثَرٌ بَادٍ فِي حَالِي لِغَيْبَتِكَ وَأَصْدَقُ ٱلْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ ٱلْأَثَرُ وَأَفْضَلُ ٱلْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ مِنَ ٱلْفِعْلِ

وكتبَ ابنُ الرُّومِيِّ الى بعضهم

أَذِنَ ٱللهُ فِي شِفَآئِكَ وَتَلَقَّى دَآءَكَ بِدَوَآئِكَ وَمَسَحَ بِيَدِ ٱلْعَافِيَةِ عَلَيْكَ وَوَجَّهَ وَفْدَ ٱلسَّلَامَةِ إِلَيْكَ وَجَعَلَ عِلَّتَكَ مَاحِيَةً لِذُنُوبِكَ مُضَاعِفَةً لِثَوَابِكَ

وكتبَ ابو بكرٍ الخُوارَزْميُّ الى تلميذٍ له

وَصَلَ كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي فَسَرَّنِي نَظَرِي إِلَيْهِ ثُمَّ غَمَّنِي ٱطِّلَاعِي عَلَيْهِ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ ذِكْرِ عِلَّتِكَ جَعَلَ ٱللهُ أَوَّلَهَا

Digitized by Google

كَفَّارَةً وَآخِرَهَا عَافِيَةً وَلَا أَعْدَمَكَ عَلَى ٱلْأُولَى أَجْرًا وَعَلَى ٱلْأُخْرَى شُكْرًا وَبِوُدِّي لَوْ قَرُبَ عَلَيَّ مُتَنَاوَلُ عِيَادَتِكَ فَٱحْتَمَلْتُ عَنْكَ بِٱلتَّعَهُّدِ وَٱلْمُسَاعَدَةِ بَعْضَ أَعْبَاءِ عِلَّتِكَ فَلَقَدْ خَصَّنِي مِنْ هٰذِهِ ٱلْعِلَّةِ قِسْمٌ كَقِسْمِكَ وَمَرِضَ قَلْبِي فِيكَ لِمَرَضِ جِسْمِكَ وَأَظُنُّ أَنِّي لَوْ لَقِيتُكَ عَلِيلًا لَٱنْصَرَفْتُ عَنْكَ وَأَنَا أَعَلُّ مِنْكَ فَإِنِّي بِحَمْدِ ٱللهِ تَعَالَى جَلْدٌ عَلَى أَوْجَاعِ أَعْضَائِي غَيْرُ جَلْدٍ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِي يَنْبُو عَنِّي سَهْمُ ٱلدَّهْرِ إِذَا رَمَانِي وَيَنْفُذُ فِيَّ إِذَا رَمَى إِخْوَانِي فَأَقْرَبُ سِهَامِهِ مِنِّي أَبْعَدُ سِهَامِهِ عَنِّي كَمَا أَنَّ أَبْعَدَهَا عَنِّي أَقْرَبُهَا مِنِّي شَفَاكَ ٱللهُ وَعَافَاكَ وَكَفَانِي فِيكَ ٱلْمَحْذُورَ وَكَفَاكَ وَرَفَعَ جَنْبَكَ وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَآمَنَ سِرْبَكَ وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَعْبَكَ

فَصْلٌ

فِي ٱلْإِهْدَاءِ

كتب سعيدُ بنُ حميدٍ الى بعضِ اهل السلطان في يوم النيروز

أَيُّهَا ٱلسَّيِّدُ ٱلشَّرِيفُ عِشْتَ أَطْوَلَ ٱلْأَعْمَارِ بِزِيَادَةٍ مِنَ

ٱلْعُمْرِ مَوْصُولَةٍ بِفَرَائِضِهَا مِنَ ٱلشُّكْرِ لَا يَنْقَضِي حَقُّ نِعْمَةٍ
حَتَّى يُجَدَّدَ لَكَ أُخْرَى وَلَا يَمُرُّ بِكَ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ مُقَصِّرًا
عَمَّا بَعْدَهُ مُوفِيًا عَمَّا قَبْلَهُ. إِنِّي تَصَفَّحْتُ أَحْوَالَ ٱلْأَتْبَاعِ ٱلَّذِينَ
يَجِبُ عَلَيْهِمِ ٱلْهَدَايَا إِلَى ٱلسَّادَةِ وَٱلْتَمَسْتُ ٱلتَّأَسِّيَ بِهِمْ فِي
ٱلْإِهْدَاءِ وَإِنْ قَصَّرَتْ بِيَ ٱلْحَالُ عَنِ ٱلْوَاجِبِ فَوَجَدْتُ أَنِّي
إِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فَهِيَ مِلْكٌ لَكَ لَاحَظَّ فِيهَا لِغَيْرِكَ. وَرَمَيْتُ
بِطَرْفِي إِلَى كَرَائِمِ مَالِي فَوَجَدْتُهَا مِنْكَ فَإِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ
مِنْهَا شَيْئًا فَإِنِّي لَمْهِدٍ مَالَكَ إِلَيْكَ. وَنَزَعْتُ إِلَى مَوَدَّتِي فَوَجَدْتُهَا
خَالِصَةً لَكَ قَدِيمَةً غَيْرَ مُسْتَحْدَثَةٍ فَرَأَيْتُ إِنْ جَعَلْتُهَا هَدِيَّتِي
أَنِّي لَمْ أُجَدِّدْ لِهٰذَا ٱلْيَوْمِ ٱلْجَدِيدِ بِرًّا وَلَا لُطْفًا. وَلَمْ أُمَيِّزْ
مَنْزِلَةً مِنْ شُكْرِي بِمَنْزِلَةٍ مِنْ نِعْمَتِكَ إِلَّا كَانَ ٱلشُّكْرُ مُقَصِّرًا
عَنِ ٱلْحَقِّ وَٱلنِّعْمَةُ زَائِدَةً عَلَى مَا تَبْلُغُهُ ٱلطَّاقَةُ فَجَعَلْتُ ٱلِٱعْتِرَافَ
بِٱلتَّقْصِيرِ عَنْ حَقِّكَ هَدِيَّةً إِلَيْكَ وَٱلْإِقْرَارَ بِٱلتَّقْصِيرِ عَمَّا
يَجِبُ لَكَ بِرًّا أَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَيْكَ وَقُلْتُ فِي ذٰلِكَ

إِنْ أُهْدِ مَالًا فَهُوَ وَاهِبُهُ ... وَهُوَ ٱلْحَقِيقُ عَلَيْهِ بِٱلشُّكْرِ
أَوْ أُهْدِ شُكْرِي فَهُوَ مُرْتَهَنٌ ... بِجَمِيلِ فِعْلِكَ آخِرَ ٱلدَّهْرِ
وَٱلشَّمْسُ تَسْتَغْنِي إِذَا طَلَعَتْ ... أَنْ تَسْتَضِيءَ بِسُنَّةِ ٱلْبَدْرِ

Digitized by Google

وكتب ابرهيم بن المهديّ الى صديق له

لَوْ كَانَتِ ٱلتُّحْفَةُ عَلَى حَسَبِ مَا يُوجِبُهُ حَقُّكَ لَأَجْحَفَ بِنَا أَدْنَى حُقُوقِكَ وَلٰكِنَّهَا عَلَى قَدْرِ مَا يَخْرُجُ مِنَ ٱلْوَحْشَةِ وَيُوجِبُ ٱلْأُنْسَ وَقَدْ بَعَثْتُ بِكَذَا وَكَذَا

فَصْلٌ

فِي التَّهَانِئِ

كتب ابو الفضل بن العميد الى عضد الدولة يهنئه بولد ابن

أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَ ٱلْأَمِيرِ ٱلْأَجَلِّ عَضُدِ ٱلدَّوْلَةِ وَأَدَامَ عِزَّهُ وَتَأْبِيدَهُ وَعُلُوَّهُ وَتَمْهِيدَهُ وَبَسْطَتَهُ وَتَوْطِيدَهُ وَظَاهَرَ لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدَهُ وَهَنَّأَهُ بِمَا أَحْظَاهُ بِهِ عَلَى قُرْبِ ٱلْبِلَادِ مِنْ تَوَفُّرِ ٱلْأَعْدَادِ وَتَكَثُّرِ ٱلْأَمْدَادِ وَنَشْرِ ٱلْأَوْلَادِ وَأَرَاهُ مِنَ ٱلنَّجَابَةِ فِي ٱلْبَنِينَ وَٱلْأَسْبَاطِ مَا أَرَاهُ مِنَ ٱلْكَرَمِ فِي ٱلْآبَاءِ وَٱلْأَجْدَادِ وَلَا أَخْلَى عَيْنَهُ مِنْ قُرَّةٍ وَنَفْسَهُ مِنْ مَسَرَّةٍ وَمُتَجَدِّدِ نِعْمَةٍ وَمُسْتَأْنَفِ مَكْرُمَةٍ وَزِيَادَةٍ فِي عَدَدِهِ وَفَسْحٍ فِي أَمَدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ غَايَةَ مَهَلِهِ وَيَسْتَغْرِقَ نِهَايَةَ أَمَلِهِ وَيَسْتَوْفِيَ مَا بَعْدَ حُسْنِ ظَنِّهِ وَعَرَّفَهُ ٱللهُ ٱلسَّعَادَةَ فِيمَا بُشِّرَ بِهِ عَبْدُهُ مِنْ

طُلُوعِ بَدْرَيْنِ هُمَا أَنْبَعَثَا مِنْ نُورِهِ وَٱسْتَنَارَا مِنْ دُورِهِ
وَحَفَّا بِسَرِيرِهِ وَجَعَلَ وَفْدَهُمَا مُتَلَائِمَيْنِ وَوُرُودَهُمَا تَوَأَمَيْنِ
بَشِيرَيْنِ بِتَظَاهُرِ ٱلنِّعَمِ وَتَوَافُرِ ٱلْقِسَمِ وَمُؤْذِنَيْنِ بِتَرَادُفِ
بَنِينَ يُشْرِقُ بِنُورِهِمْ أُفُقُ ٱلْعَلَاءِ وَيَنْتَهِي بِهِمْ أَمَدُ ٱلنَّمَاءِ
إِلَى غَايَةٍ تَفُوتُ غَايَةَ ٱلْإِحْصَاءِ

وكتب ابو الفضل بديع الزمان الهمذاني الى طاهر الداوردي يهنئه بمولود

حَقًّا لَقَدْ أَنْجَزَ ٱلْإِقْبَالُ وَعْدَهُ وَوَافَقَ ٱلطَّالِعُ سَعْدَهُ
وَإِنَّ ٱلشَّأْنَ لَفِيمَا بَعْدَهُ وَحَبَّذَا ٱلْأَصْلُ وَفَرْعُهُ وَبُورِكَ
ٱلْغَيْثُ وَصَوْبُهُ وَأَيْنَعَ ٱلرَّوْضُ وَنَوْرُهُ وَحَبَّذَا سَمَاءٌ أَطْلَعَتْ
فَرْقَدًا وَغَابَةٌ أَبْرَزَتْ أَسَدًا وَظَهْرٌ وَافَقَ سَنَدًا وَذِكْرٌ يَبْقَى
أَبَدًا وَمَجْدٌ يُسَمَّى وَلَدًا وَشَرَفُ لُحْمَةٍ وَسَدًى

أَنْجَبَ كُلٌّ مِنْ وَالِدَيْهِ بِهِ إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلَا
فَأَلْفَيَاهُ شِهَابَ ذَكَاءٍ وَبَدْرَ عَلَاءٍ

وَوَجَدَاهُ ٱبْنَ جَلَا أَبْيَضَ يُدْعَى ٱلْجَفَلَى
لِمِثْلِهِ أَوْ لَا فَلَا إِذَا ٱلنَّدِيُّ ٱحْتَفَلَا

وكتب بعضهم يهنئ صديقًا له بالقدوم من سفر

أُهَنِّئُ سَيِّدِي وَنَفْسِي بِمَا يَسَّرَ ٱللهُ مِنْ قُدُومِهِ سَالِمًا وَأَشْكُرُ

ٱللهَ عَلَى ذٰلِكَ شُكْرًا دَائِمًا غَيْبَةُ ٱلْمَكَارِمِ مَقْرُونَةٌ بِغَيْبَتِكَ وَأَوْبَةُ ٱلنِّعَمِ مَوْصُولَةٌ بِأَوْبَتِكَ فَوَصَلَ ٱللهُ تَعَالَى قُدُومَكَ مِنَ ٱلْكَرَامَةِ بِأَضْعَافِ مَا قَرَنَ بِهِ مَسِيرَكَ مِنَ ٱلسَّلَامَةِ

وكتب بعضهم تهنئة بالنيروز

أَقْبَلَ ٱلنَّيْرُوزُ إِلَى سَيِّدِنَا نَاشِرًا حُلَلَهُ ٱلَّتِي ٱسْتَعَارَهَا مِنْ شِيمَتِهِ وَمُبْدِيًا حِلْيَتَهُ ٱلَّتِي ٱتَّخَذَهَا مِنْ سَجِيَّتِهِ وَمُسْتَصْحِبًا مِنْ أَنْوَارِهِ مَا ٱكْتَسَاهُ مِنْ مَحَاسِنِ فَضْلِهِ وَإِكْرَامِهِ وَمِنْ أَنْظَارِهِ مَا ٱقْتَبَسَهُ مِنْ جُودِهِ وَإِنْعَامِهِ وَمُؤَكِّدًا لِلْوَعْدِ بِطُولِ بَقَائِهِ حَتَّى يَمَلَّ ٱلْعُمْرَ وَيَسْتَغْرِقَ ٱلدَّهْرَ فَلَا زَالَ يَلْبَسُ ٱلْأَيَّامَ وَيُبْلِيهَا وَهُوَ جَدِيدٌ وَيَقْطَعُ مَسَافَةَ نَحْسِهَا وَهُوَ سَعِيدٌ وَلَا زَالَ آمِرًا نَاهِيًا قَاهِرًا عَالِيًا تَتَهَيَّأُ ٱلْأَعْيَادُ بِمُصَادَقَةِ سُلْطَانِهِ وَتَسْتَفِيدُ ٱلْمَحَاسِنُ مِنْ رِيَاضِ إِحْسَانِهِ

فَصْلٌ

فِي ٱلِاسْتِزَارَةِ

كتب الوزير الكاتب ابو الفضل بن حسداي إلى عبد الرحمن بن طاهر

مَحَلُّكَ أَعَزَّكَ ٱللهُ فِي طَيِّ ٱلْجَوَانِحِ ثَابِتٌ وَإِنْ نَزَحَتِ

ٱلدَّارُ وَعِيَانُكَ فِي أَحْنَآءِ ٱلضُّلُوعِ بَادٍ وَإِنْ شَحَطَ ٱلْمَزَارُ فَٱلنَّفْسُ فَائِزَةٌ مِنْكَ بِتَمَثُّلِ ٱلْخَاطِرِ بِأَوْفَرِ ٱلْحَظِّ وَٱلْعَيْنُ نَازِعَةٌ إِلَى أَنْ تَمَتَّعَ مِنْ لِقَائِكَ بِظَفَرِ ٱللَّحْظِ فَلَا عَائِدَةَ أَسْبَغُ بُرْدًا وَلَا مَوْهِبَةَ أَسْوَغُ وِرْدًا مِنْ تَفَضُّلِكَ بِٱلْخُفُوفِ إِلَى مَأْنَسٍ يَتِمُّ بِمُشَاهَدَتِكَ ٱلْتِئَامُهُ وَيَتَّصِلُ بِمَحَاضَرَتِكَ ٱنْتِظَامُهُ وَلَكَ فَضْلُ ٱلْإِجْمَالِ بِٱلْإِمْتَاعِ مِنْ ذٰلِكَ بِأَعْظَمِ ٱلْآمَالِ وَحَسْبِي مَا تَحَقَّقُهُ مِنْ بِزَاعِي وَتَشَوُّقِي وَتَتَيَقَّنُهُ مِنْ تَطَلُّعِي وَتَوَثُّقِي وَقَدْ تَمَكَّنَ ٱلِٱرْتِيَاحُ بِٱسْتِحْكَامِ ٱلثِّقَةِ وَٱعْتَرَضَ ٱلِٱنْتِزَاحُ بِٱرْتِقَابِ ٱلصِّلَةِ وَأَنْتَ وَصَلَ ٱللهُ سَعْدَكَ بِسَمَاحَةِ شِيَمِكَ وَبَارِعِ كَرَمِكَ تُنْشِئُ لِلْمُؤَانَسَةِ عَهْدًا وَتُورِي بِٱلْمُكَارَمَةِ زَنْدًا وَتَقْتَضِي بِٱلْمُشَارَكَةِ شُكْرًا حَافِلًا وَحَمْدًا لَا زِلْتَ مُهَنَّأً بِٱلسُّعُودِ ٱلْمُقْتَبَلَةِ مُسَوَّغًا ٱجْتِلَآءَ غُرَرِ ٱلْأَمَانِيِّ ٱلْمُتَهَلِّلَةِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

وكتب الوزير الكاتب ابو القاسم بن السقّاط الى صديق له

يَوْمُنَا أَعَزَّكَ ٱللهُ يَوْمٌ قَدْ نُقِّبَتْ شَمْسُهُ بِقِنَاعِ ٱلْغَمَامِ وَذُهِّبَتْ كَأْسُهُ بِشُعَاعِ ٱلْمُدَامِ وَنَحْنُ مِنْ قِطَارِ ٱلْوَسْمِيِّ فِي رِدَآءِ هَدِيٍّ وَمِنْ نَضِيرِ ٱلنُّوَّارِ عَلَى نَظِيرِ ٱلنُّضَارِ

وَمِنْ بَوَاسِمِ ٱلزَّهْرِ فِي لَطَائِمِ ٱلْعِطْرِ وَمِنْ غُرِّ ٱلنَّدْمَانِ بَيْنَ زَهْرِ ٱلْبُسْتَانِ وَمِنْ حَرَكَاتِ ٱلْأَوْتَارِ خِلَالَ نَغَمَاتِ ٱلْأَطْيَارِ وَمِنْ سُقَاةِ ٱلْكُؤُوسِ وَمُعَاطِي ٱلْمُدَامِ بَيْنَ مُشْرِقَاتِ ٱلشُّمُوسِ وَعَوَاطِي ٱلْآرَامِ فَرَأَيْكَ فِي مُصَافَحَةِ ٱلْأَقْمَارِ وَمُنَافَحَةِ ٱلْأَنْوَارِ وَٱجْتِلَاءِ غُرَرِ ٱلظِّبَاءِ ٱلْجَوَازِي وَٱنْتِقَاءِ دُرَرِ ٱلْغَنَاءِ ٱلْحِجَازِي مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى

وكتبَ الصاحبُ ابنُ عبّادٍ الى صديقٍ لهُ

نَحْنُ يَا سَيِّدِي فِي مَجْلِسٍ غَنِيٍّ إِلَّا عَنْكَ شَاكِرٍ إِلَّا مِنْكَ قَدْ تَفَتَّحَتْ فِيهِ عُيُونُ ٱلنَّرْجِسِ. وَتَوَرَّدَتْ خُدُودُ ٱلْبَنَفْسَجِ وَفَاحَتْ مَجَامِرُ ٱلْأُتْرُجِّ وَفُتِقَتْ فَأَرَاتُ ٱلنَّارَنْجِ وَٱنْطَلَقَتْ أَلْسُنُ ٱلْعِيدَانِ وَقَامَتْ خُطَبَاءُ ٱلْأَطْيَارِ وَهَبَّتْ رِيَاحُ ٱلْأَقْدَاحِ وَنَفَقَتْ سُوقُ ٱلْأُنْسِ وَقَامَ مُنَادِي ٱلطَّرَبِ وَٱمْتَدَّ سَحَابُ ٱلنَّدِّ فَمَجِيَائِي إِلَّا مَا حَضَرْتَ فَقَدْ أَبَتْ رَاحُ مَجْلِسِنَا أَنْ تَصْفُوَ إِلَّا أَنْ نَتَنَاوَلَهَا يُمْنَاكَ وَأَقْسَمَ غِنَاؤُهُ أَنْ لَا يَطِيبَ حَتَّى تَعِيَهُ أُذُنَاكَ فَخُدُودُ نَارَنْجِهِ قَدِ ٱحْمَرَّتْ خَجَلًا لِإِبْطَائِكَ وَعُيُونُ نَرْجِسِهِ قَدْ حَدَّقَتْ تَأَمُّلًا لِلِقَائِكَ

Digitized by Google

وكتب ابو الطيب المتنبي الى صديق له كان يزوره ايام اعتلاله وانقطع عنه عند إبلاله

وَصَلْتَنِي وَصَلَكَ ٱللهُ مُعْتَلًّا وَقَطَعْتَنِي مُبِلًّا فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ لَا تُكَدِّرَ ٱلصِّحَّةَ عَلَيَّ وَلَا تُحَبِّبَ ٱلْعِلَّةَ إِلَيَّ فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ ٱللهُ

فَصْلٌ

فِي الوصاةِ

كتب الجاحظ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فُلَانًا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ بِنَا يَلْزَمُنَا ذِمَامُهُ وَبُلُوغُ مُوَافَقَتِهِ مِنْ أَيَادِيكَ عِنْدَنَا وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ ٱلثِّقَةِ مِنْ مُكَافَأَتِهِ فَأَوْلِنَا فِيهِ مَا يُعْرَفُ بِهِ مَوْقِعُنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ وَيَكُونُ مُكَافَأَةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا

وكتب عبدُ الحميدِ بنُ يحيى الى بعضهم

حَقُّ مُوصِلِ كِتَابِي عَلَيْكَ كَحَقِّهِ عَلَيَّ إِذْ جَعَلَكَ مَوْضِعًا لِأَمَلِهِ وَرَآنِي أَهْلًا لِحَاجَتِهِ وَقَدْ أَنْجَزْتُ حَاجَتَهُ فَصَدِّقْ أَمَلَهُ

وكتب ابو بكرٍ الخُوارَزْميُّ الى صديقٍ له

ٱلْأَيَّامُ أَيَّدَكَ ٱللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَرَاجِمَةٌ لِي عَنْ صِحَّةٍ وَفَائِكَ وَشُهُودٌ عِنْدِي عَلَى صِدْقِ إِخَائِكَ وَأَقَلُّ حُقُوقِكَ عَلَيَّ

Digitized by Google

يُلْزِمُنِي أَنْ لَا أَشْغَلَ لِسَانِي بِغَيْرِ شُكْرِكَ وَلَا قَلْبِي إِلَّا بِذِكْرِكَ
وَلَوْ تَجَاوَزَ طَبَقَاتُ أَهْلِ مَوَدَّتِكَ فِي مَيْدَانِ ٱلْمِقَةِ وَتَنَازَعُوا
خَصْلَ ٱلْأُنْسِ وَٱلثِّقَةِ رَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ سَابِقًا لَيْسَ لَهُ
سَابِقٌ وَلَا يُذْكَرُ مَعَهُ لَاحِقٌ وَأَنْ تُجْلِيَ ٱلْغَايَةُ مِنِّي عَنْ مَحَبَّةٍ
مُرَبَّاةٍ بِٱلْوَفَاءِ وَعَنْ شُكْرٍ مُرْضَعٍ بِٱلدُّعَاءِ وَقَدْ بَلَغَنِي خَبَرُ
سَعْيِكَ لِفُلَانٍ فِي ٱلْعَمَلِ ٱلَّذِي هُوَ دُونَ قَدْرِهِ وَإِنْ كَانَ
فَوْقَ أَعْمَالِ عَصْرِهِ فَشَكَرْتُكَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ بِشُكْرِكَ
أَوْفَى وَأَمْلَى وَبِإِيفَائِكَ حَقَّكَ أَحَقَّ وَأَوْلَى وَأَرَدْتُ أَنْ
أَكِلَ شُكْرَكَ إِلَيْهِ وَلَا أَتَطَفَّلَ فِيهِ عَلَيْهِ فَكَرِهْتُ أَنْ
تُطْوَى صَحِيفَةُ ٱلشُّكْرِ وَلَمْ يَجْرِ لِي فِيهَا ٱسْمٌ وَأَنْ تُخْتَمَ جَرِيدَةُ
ٱلْمُشَارَكَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِي فِيهَا قِسْمٌ فَذَكَرْتُهُ لَكَ وَأَنْتَ لَهُ
أَذْكَرُ وَشَكَرْتُكَ عَنْهُ وَهُوَ لَكَ مِنِّي أَشْكَرُ عَلَى أَنِّي أَرْغَبُ
بِذٰلِكَ ٱلْحُرِّ عَنِ ٱلتَّلَطُّخِ بِأَوْضَارِ ٱلْأَعْمَالِ فَإِنَّهَا مَزَالِقُ
أَقْدَامِ ٱلرِّجَالِ ضِنًّا بِهِ عَنْ تَخَالِيطِ ٱلْأَيَّامِ وَصِيَانَةً
لِمَحَلِّهِ عَنْ مُدَانَسَةِ ٱلْأَوْهَامِ وَنِعْمَتُكَ عَلَيْهِ مُقْتَسَمَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
بَلْ أَكْثَرُهَا لِي دُونَهُ فَمَا ظَنُّكَ بِعَارِفَةٍ وَاحِدَةٍ تَكْسِبُكَ
شُكْرَيْنِ وَتَسْتَعْبِدُ لَكَ حُرَّيْنِ وَجَدِيرٌ بِمَنْ هَطَلَتْ عَلَيْهِ

سَحَائِبُ عِنَايَتِكَ وَرَفْرَفَتْ حَوْلَهُ أَجْنِحَةُ رِعَايَتِكَ أَنْ يَنْبُوَ عَنْهُ سَيْفُ ٱلزَّمَانِ مَثْلُومًا وَيَرْجِعَ عَنْ سَاحَتِهِ عَسْكَرُ ٱلزَّمَانِ مَهْزُومًا وَٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَسْأَلُ أَنْ لَا يَحْرِمَكَ نِعْمَةً يُمِدُّ إِلَيْكَ بِهَا عُنُقُ وَدُودٍ وَمِنَّةً تَفْقَأُ عَنْكَ عَيْنَ حَسُودٍ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

وكتبَ الحَسَنُ بن وَهْبٍ الى مالكِ بنِ طوقٍ في ابن ابي الشِيص

كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطْتُهُ بِيَمِينِي وَفَرَّغْتُ لَهُ ذِهْنِي فَمَا ظَنُّكَ بِحَاجَةٍ هٰذَا مَوْقِعُهَا مِنِّي أَتُرَانِي أُقَبِّلُ ٱلْعُذْرَ فِيهَا أَوْ أُقَصِّرُ فِي ٱلشُّكْرِ عَلَيْهَا وَٱبْنُ أَبِي ٱلشِّيصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَنَسَبَهُ وَصِفَاتِهِ وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِينَا تَنْبَسِطُ بِبِرِّهِ مَا عَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا فَٱكْتَفِ بِهٰذَا مِنَّا

فَصْلٌ

فِي ٱلشَّكْوَى

كتبَ ابو بكرٍ الخُوارَزميُّ الى صاحب ديوان الحضرة وقد طُولب ابو بكر بحضور الديوان فلم يفعل

هٰذَا أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَ ٱلشَّيْخِ ٱلرَّئِيسِ حَالُ نَيْسَابُورَ وَأَهْلِيهَا بَلْ حَالِي وَحَالُ ٱلْأَحْرَارِ فِيهَا

وَأَصْبَحَ أَقْوَامٌ يَقُولُونَ مَا اشْتَهَوْا

وَغَابَ أَبُو عَمْرٍو وَغَابَتْ رَوَاحِلُهْ

وَقَدْ كُنْتُ آوِي مِنَ الشَّيْخِ أَيَّامَ مُقَامِهِ بِهٰذِهِ الْجَنْبَةِ إِلَى كَنَفٍ رَحِيبٍ وَجَنَابٍ خَصِيبٍ وَبَابٍ وَاسِعٍ وَنَائِلٍ شَائِعٍ وَوَجْهٍ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قَرَأْتُ نُسْخَةَ الْكِرَامِ فِي وَجْنَتَيْهِ تَلْمَعُ آثَارُ الْكَرَمِ بِنُورِ أَسَارِيرِهِ وَتُعْرَفُ بُشْرَى النَّجَاحِ فِي تَبَاشِيرِهِ وَفَمٍ يُبَشِّرُنِي بِٱبْتِسَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُبَشِّرَنِي بِكَلَامِهِ وَيُحَيِّينِي بِالنُّجْحِ بِإِشَارَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُتَرْجِمَ بِعِبَارَتِهِ وَإِذَا رَأَيْتُهُ رَأَيْتُ بَخْتِي قَدْ أَقْبَلَ إِلَيَّ فِي مَعْرِضِ الْكَمَالِ وَطَالِعَ سَعْدِي قَدْ طَلَعَ عَلَيَّ بِنَيْلِ الْآمَالِ عَنْ يَمِينِي الْجَمَالُ وَعَنْ يَسَارِي الْجَلَالُ فَأَغْدُو إِلَى بَابِهِ يَقْدُمُنِي الْأَمَلُ وَالرَّجَاءُ وَأَرُوحُ عَنْهُ فَيُشَيِّعُنِي الشُّكْرُ وَالدُّعَاءُ وَأَحْمِلُ حَوَائِجِي مِنْهُ عَلَى جَبَلِ الْجُودِ الَّذِي لَا تُحَرِّكُهُ الْمَطَالِبُ وَلَا تَثْقُلُ عَلَيْهِ الرَّغَبَاتُ وَالرَّغَائِبُ بَلْ عَلَى بَحْرِهِ الَّذِي لَا يَنْزِفُهُ الِٱسْتِقَاءُ وَلَا تُكَدِّرُهُ الدِّلَاءُ وَلَا يُرَى قَعْرُهُ وَلَا يُدْرَكُ غَوْرُهُ وَإِنَّمَا يَصْبِرُ عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ وَيَلْتَذُّ سَمْعُهُ بِٱسْتِمَاعِ صَوْتِ رَحَى الْأَضْرَاسِ مَنْ وُلِدَ فِي طَالِعِ السَّخَاءِ وَغُذِيَ

فِي حُجُورِ ٱلْكُرَمَآءِ وَقُرِعَ سَمْعُهُ مُنْذُ صِبَاهُ بِأَصْوَاتِ ٱلْأُدَبَآءِ وَٱلشُّعَرَآءِ وَمُرِّنَ عَلَى ٱلْبَذْلِ وَٱلْعَطَآءِ

وَٱلثِّقْلُ لَيْسَ مُضَاعَفًا لِمَطِيَّةٍ إِلَّا إِذَا مَا كَانَ وَهْمًا بَازِلَا

حَتَّى إِذَا مَا كَادَتْ غُصُونُ آمَالِي تَرِفُ بَعْدَ مَا يَبِسَتْ وَوُجُوهُ مَطَالِبِي تَضْحَكُ بَعْدَ مَا عَبَسَتْ رَمَتْنِي ٱلْأَيَّامُ بِفِرَاقِ ٱلشَّيْخِ فَأَخْدَجَ رَجَآئِيَ ٱلْحَامِلُ وَجَفَّ ضَرْعُ أَمَلِيَ ٱلْحَافِلُ وَسَكَتَ لِسَانِيَ ٱلْقَائِلُ وَفَتَرَتْ فُتُورَ ٱلتَّاجِرِ بَارَ مَتَاعُهُ وَغَابَ مُبْتَاعُهُ وَقُلْتُ لَوْ أَرَادَ ٱللهُ بِٱلْأَدَبِ خَيْرًا لَمَا غَابَ مَنْ كَانَ يَجْمَعُ شَمْلَهُ وَيُكْرِمُ أَهْلَهُ وَيَعْرِفُ فَضْلَهُمْ وَفَضْلَهُ وَلَوْ أَنْصَفَتْ ٱلْأَدَبَ بَعْدَ غَيْبَةِ ٱلشَّيْخِ لَرَثَيْتُهُ مَرْثِيَةَ ٱلْأُمُوَاتِ وَلَأَقَمْتُ عَلَيْهِ مَأْتَمَ ٱلْمَمَاتِ وَمَحَوْتُ ٱسْمَهُ مِنْ جَرِيدَةِ ٱلْحَيَاةِ هٰذَا وَقَدْ وَرَدَ عَلَى عَمَلِ ٱلْخَرَاجِ مَنْ لَا أُطْرِئُهُ بِحُرْمَةٍ وَلَا أَتَنَاوَلُهُ بِطَرَفِ ذَرِيعَةٍ أَوْ وَسِيلَةٍ وَكَأَنِّي بِهِ وَقَدْ حَشَدَنِي فِي جُمْلَةِ ٱلْعَامَّةِ وَأَدْخَلَنِي فِي غِمَارِ سَائِرِ ٱلرَّعِيَّةِ وَأَوْقَعَنِي عَلَى جِسْرٍ قُدَّامَهُ ٱلْخُسْرَانُ وَخَلْفَهُ ٱلْهَوَانُ وَفَجَعَنِي بِدُرَيْهِمَاتٍ جُمِعَتْ بِتَقَحُّمِ ٱلْمَهَالِكِ وَٱخْتِرَاقِ ٱلْمَسَالِكِ وَٱلْمَمَالِكِ وَدَنَانِيرَ قُطِعَتِ ٱلْقِفَارَ وَخَاضَتِ ٱلْبِحَارَ

Digitized by Google

وَنَاطِحَتِ ٱلْحَوَادِثَ وَٱلْأَقْدَارَ فَإِنْ بَذَلْتُهَا أَبْرَزْتُ وَفْرًا
طَالَمَا كَانَ مَخْزُونًا وَإِنْ مَنَعْتُهَا ٱبْتَذَلْتُ عِرْضًا لَمْ يَزَلْ
مَصُونًا عَلَى أَنِّي أَحْمِلُ عَلَى ٱلْجَمَالِ ٱلتَّجَمُّلَ وَأُوثِرُ ٱلْبَذْلَ
عَلَى ٱلتَّبَذُّلِ وَأُنْشِدُ شِعْرًا حَنَانَيْكَ بَعْضُ ٱلشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ
بَعْضٍ وَمَا أَيْسَرَ دَوَاءَ هٰذَا ٱلدَّاءِ لَوْ طَاوَعَنِي نَفْسِيَ ٱلْعَاصِيَةُ
وَتَابَعَتْنِي رِجْلِيَ ٱلْآبِيَةُ فَدَخَلْتُ ٱلدِّيوَانَ وَصَانَعْتُ ٱلزَّمَانَ
وَفَتَحْتُ جِرَابَ ٱلنِّفَاقِ وَٱلرِّيَاءِ وَأَغْلَقْتُ بَابَ ٱلْحِفَاظِ وَٱلْوَفَاءِ
وَلٰكِنَّ ٱلنَّظَرَ إِلَى عَيْنِ ٱلشَّمْسِ أَيْسَرُ عَلَيَّ وَأَهْوَنُ عَلَى عَيْنَيَّ
مِنْ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى هٰذَا ٱلصَّدْرِ وَقَدْ جَلَسَ فِيهِ غَيْرُ ذٰلِكَ
ٱلْبَدْرِ وَإِنِّي لَأَغَارُ عَلَى ٱلْكَرَمِ كَمَا يُغَارُ عَلَى ٱلْحُرَمِ
وَأَبْخَلُ بِٱلْمَرَاتِبِ كَمَا يَبْخَلُ غَيْرِي بِٱلْمَكَاسِبِ وَأَسْتَحْيِي
لِعَيْنِي أَنْ أَفْتَحَهَا عَلَى ٱلصَّغِيرِ وَقَدْ جَلَسَ مَجْلِسَ ٱلْكَبِيرِ
لَا أَبْتَلَانِيَ ٱللّٰهُ بِمَجَالِسِ ٱلْغَيْرَةِ وَلَا أَقَامَنِي فِي مَقَامَاتِ
ٱلْغُمَّةِ وَٱلْحَيْرَةِ فَإِنِ ٱبْتَلَانِي بِذٰلِكَ وَجَدَنِي ضَيِّقَ سَاحَةِ
ٱلصَّدْرِ قَرِيبَ غَوْرِ ٱلصَّبْرِ كَثِيرَ ٱلْمُبَارَاةِ قَلِيلَ ٱلْمُدَارَاةِ
هٰذِهِ أَطَالَ ٱللّٰهُ بَقَاءَ ٱلشَّيْخِ حَالِي فَهَلْ لِي عِنْدَهُ فَرَجٌ أَرْتَجِيهِ
أَوْ نَظَرٌ أَتَجَمَّعُ فِيهِ وَهَلْ يُحَرِّكُ لَفْظَةً مِنْ أَلْفَاظِهِ أَوْ لَحْظَةً

مِنْ ٱلْحَاظِهِ يَرُدُّ بِهَا عَلَى وَجْهِي مَا نَضَبَ مِنْ مَآئِهِ وَعَلَى عِرْضِي مَا ذَهَبَ مِنْ بَهَآئِهِ وَلَعَمْرِي إِنَّ حَاجَتِي إِلَى ٱلشَّيْخِ فِي هٰذَا ٱلْخَرَاجِ صَغِيرَةٌ وَلٰكِنِّي لَا أَسْتَصْغِرُ مِنْهُ يَسِيرًا كَمَا لَا أَسْتَعْظِمُ مِنْهُ كَبِيرًا وَأَعْلَمُ أَنَّ ٱلْحُرَّ يَسَعُ ٱلدَّقِيقَ بِفِطْنَتِهِ وَٱلْجَلِيلَ بِهِمَّتِهِ وَإِنْ أَبْطَأَ عَنِّي كِتَابُهُ بِٱلْفَرَجِ خَشِيتُ أَنْ يَسْرِيَ فِيَّ ٱلسُّمُّ ٱلْعِرْيَطِيُّ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَيَّ ٱلتِّرْيَاقُ ٱلْبَطِيُّ أَعُوذُ بِٱللهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ دَآئِي نَقْدًا وَدَوَآئِي وَعْدًا

وكتب الوزير الكاتب ابو المطرّف بنُ الدَّبّاغ الى ابن حسداي

كِتَابِي وَأَنَا كَمَا تَدْرِيهِ غَرَضٌ لِلْأَيَّامِ تَرْمِيهِ وَلٰكِنِّي غَيْرُ شَاكٍ مِنْ آلَامِهَا لِأَنَّ قَلْبِي فِي أَغْشِيَةٍ مِنْ سِهَامِهَا فَٱلنَّصْلُ عَلَى مِثْلِهِ يَقَعُ وَٱلْأَلَمُ بِهٰذِهِ ٱلْحَالَةِ قَدِ ٱرْتَفَعَ كَذٰلِكَ ٱلتَّقْرِيعُ إِذَا تَتَابَعَ هَانَ وَٱلْخَطْبُ إِذَا ٱشْتَدَّ لَانَ وَٱلْحَوَادِثُ تَنْعَكِسُ إِلَى أَضْدَادِهَا إِذَا تَنَاهَتْ فِي ٱشْتِدَادِهَا وَتَزَايَدَتْ عَلَى آمَادِهَا

وكتب عبدُ الحميد بنُ يحيى الى اهلهِ وهو منهزم مع مروان

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَى جَعَلَ ٱلدُّنْيَا مَحْفُوفَةً بِٱلْكُرْهِ وَٱلسُّرُورِ فَمَنْ سَاعَدَهُ ٱلْحَظُّ فِيهَا سَكَنَ إِلَيْهَا وَمَنْ عَضَّتْهُ

بِنَا بِهَا ذَمَّهَا سَاخِطًا عَلَيْهَا وَشَكَاهَا مُسْتَزِيدًا لَهَا وَقَدْ كَانَتْ أَذَاقَتْنَا أَفَاوِيقَ اسْتَحْلَيْنَاهَا ثُمَّ جَمَحَتْ بِنَا نَافِرَةً وَرَمَحَتْنَا مُوَلِّيَةً فَمَلُحَ عَذْبُهَا وَخَشُنَ لَيِّنُهَا فَأَبْعَدَتْنَا عَنِ الْأَوْطَانِ وَفَرَّقَتْنَا عَنِ الْإِخْوَانِ فَالدَّارُ نَازِحَةٌ وَالطَّيْرُ بَارِحَةٌ وَقَدْ كَتَبْتُ وَالْأَيَّامُ تَزِيدُنَا مِنْكُمْ بُعْدًا وَإِلَيْكُمْ وَجْدًا فَإِنْ تَتِمَّ الْبَلِيَّةُ إِلَى أَقْصَى مُدَّتِهَا يَكُنْ آخِرُ الْعَهْدِ بِكُمْ وَبِنَا وَإِنْ يَلْحَقْنَا ظُفُرُ جَارِحٍ مِنْ أَظْفَارِ مَنْ يَلِيكُمْ تَرْجِعْ إِلَيْكُمْ بِذُلِّ الْإِسَارِ وَالذُّلُّ شَرُّ جَارٍ نَسْأَلُ اللهَ الَّذِي يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَهَبَ لَنَا وَلَكُمْ أُلْفَةً جَامِعَةً فِي دَارٍ آمِنَةٍ تَجْمَعُ سَلَامَةَ الْأَبْدَانِ وَالْأَدْيَانِ فَإِنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

وكتب الامير ابو الفضل الميكالي من رسالة

إِنَّمَا أَشْكُو إِلَيْكَ زَمَانًا سَلَبَ ضِعْفَ مَا وَهَبَ وَفَجَعَ بِأَكْثَرَ مِمَّا مَتَّعَ وَأَوْحَشَ فَوْقَ مَا آنَسَ وَعَنَّفَ فِي نَزْعِ مَا أَلْبَسَ فَإِنَّهُ لَمْ يُذِقْنَا حَلَاوَةَ الْاِجْتِمَاعِ حَتَّى جَرَّعَنَا مَرَارَةَ الْفِرَاقِ وَلَمْ يُمَتِّعْنَا بِأُنْسِ الْالْتِقَاءِ حَتَّى غَادَرَنَا رَهْنَ التَّلَهُّفِ وَالْاِشْتِيَاقِ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ يَسُوءُ

وَيَسُرُّهُ وَيَحْلُو وَيَمُرُّ وَلَا أَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ ٱللهِ فِي إِبَاحَةِ صُنْعٍ يَجْعَلُ رَبْعَهُ مُنَاخِي وَيُقَصِّرُ مُدَّةَ ٱلْبِعَادِ وَٱلتَّرَاخِي فَأُلَاحِظُ ٱلزَّمَانَ بِعَيْنِ رَاضٍ وَيُقْبِلُ إِلَيَّ حَظِّي بَعْدَ إِعْرَاضٍ وَأَسْتَأْنِفُ بِعِزَّتِهِ عَيْشًا عَذْبَ ٱلْمَوَارِدِ وَٱلْمَنَاهِلِ مَأْمُونَ ٱلْآفَاتِ وَٱلْغَوَائِلِ

فَصْلٌ

فِي التَّعَازِي

كتبَ ابو الفضل بديعُ الزمانِ الهَمَذانيُّ الى ابي عامر عدنان بن محمد الضبي

إِذَا مَا ٱلدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أُنَاسٍ ... ذَلَاذِلَهُ أَنَاخَ بِآخَرِينَا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا ... سَيَلْقَى ٱلشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

أَحْسَنُ مَا فِي ٱلدَّهْرِ عُمُومُهُ بِٱلنَّوَائِبِ وَخُصُوصُهُ بِٱلرَّغَائِبِ فَهُوَ يَدْعُو ٱلْجَفَلَى إِذَا سَاءَ وَيَخُصُّ بِٱلنِّعْمَةِ إِذَا شَاءَ فَلْيُفَكِّرِ ٱلشَّامِتُ فَإِنْ كَانَ أَفْلَتَ فَلَهُ أَنْ يَشْمَتَ وَلْيَنْظُرِ ٱلْإِنْسَانُ فِي ٱلدَّهْرِ وَصُرُوفِهِ وَٱلْمَوْتِ وَصُنُوفِهِ مِنْ فَاتِحَةِ أَمْرِهِ إِلَى خَاتِمَةِ عُمْرِهِ هَلْ يَجِدُ لِنَفْسِهِ أَثَرًا فِي نَفْسِهِ أَمْ لِتَدْبِيرِهِ عَوْنًا عَلَى تَصْوِيرِهِ أَمْ لِعَمَلِهِ نَقْدِيمًا لِأَمَلِهِ

Digitized by Google

أَمْ لِحِيلَةٍ تَأْخِيرًا لِأَجَلِهِ كَلَّا بَلْ هُوَ الْعَبْدُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا
مَذْكُورًا خُلِقَ مَقْهُورًا وَرُزِقَ مَقْدُورًا فَهُوَ يَحْيَا جَبْرًا
وَيَهْلِكُ صَبْرًا وَلْيَتَأَمَّلِ الْمَرْءُ كَيْفَ كَانَ قَبْلًا فَإِنْ كَانَ
الْعَدَمُ أَصْلًا وَالْوُجُودُ فَضْلًا فَلْيَعْلَمِ الْمَوْتَ عَدْلًا
وَالْعَاقِلُ مَنْ رَقَعَ مِنْ جَوَانِبِ الدَّهْرِ مَا سَاءَ بِمَا سَرَّ
لِيَذْهَبَ مَا نَفَعَ بِمَا ضَرَّ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْزَنَ فَلْيَنْظُرْ يَمْنَةً
هَلْ يَرَى إِلَّا مِحْنَةً ثُمَّ لِيَعْطِفْ يَسْرَةً هَلْ يَرَى إِلَّا حَسْرَةً
وَمِثْلُ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ مَنْ تَبَطَّنَ هٰذِهِ
الْأَسْرَارَ وَعَرَفَ هٰذِهِ الدِّيَارَ فَأَعَدَّ لِنَعِيمِهَا صَدْرًا لَا
يَمْلَأُهُ فَرَحًا وَلِبُؤْسِهَا قَلْبًا لَا يُطِيرُهُ تَرَحًا وَصَحِبَ الْبَرِيَّةَ
بِرَأْيِ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ لِلْمَنِيَّةِ رَحًى وَلَقَدْ نُعِيَ إِلَيَّ أَبُو قَبِيصَةَ
قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ وَبَرَّدَ ضَرِيحَهُ فَعُرِضَتْ عَلَيَّ آمَالِي قُعُودًا
وَأَمَانِيِّ سُودًا وَبَكَيْتُ وَجُودُ السَّخِيِّ بِمَا يَمْلِكُ وَضَحِكْتُ
وَشَرُّ الشَّدَائِدِ مَا يُضْحِكُ وَعَضَضْتُ الْإِصْبَعَ حَتَّى أَفْنَيْتُهُ
وَذَمَمْتُ الْمَوْتَ حَتَّى تَمَنَّيْتُهُ وَالْمَوْتُ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ
الشَّيْخِ الرَّئِيسِ خَطْبٌ قَدْ عَظُمَ حَتَّى هَانَ وَأَمْرٌ قَدْ خَشُنَ
حَتَّى لَانَ وَنُكْرٌ قَدْ عَمَّ حَتَّى صَارَ عُرْفًا وَالدُّنْيَا قَدْ تَنَكَّرَتْ

حَتى صارَ ٱلْمَوْتُ أَخَفَّ خُطُوبِهَا وَخَبُثَتْ حَتَّى صارَ أَقَلَّ عُيُوبِهَا وَلَعَلَّ هٰذَا ٱلسَّهْمَ قَدْ صارَ آخِرَ مَا فِي كِنَانَتِهَا وَأَنْكَى مَا فِي خِزَانَتِهَا وَنَحْنُ مَعَاشِرَ ٱلتَّبَعِ نَتَعَلَّمُ ٱلْأَدَبَ مِنْ أَقْوَالِهِ وَٱلْجَمِيلَ مِنْ أَفْعَالِهِ فَلَا نَخُشُّهُ عَلَى ٱلْجَمِيلِ وَهُوَ ٱلصَّبْرُ وَلَا نُرَغِّبُهُ فِي ٱلْجَزِيلِ وَهُوَ ٱلْأَجْرُ فَلْيَرَ فِيهِمَا رَأْيَهُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ

ولصحوه يعزّي احد اصدقائه بنسيب له توفي ايام الوبآء

أَشْبَاحٌ تَرُوحُ وَتَجِي وَآجَالٌ تُمْسِي وَتَغْتَدِي وَأَنْفَاسٌ تَتَقَطَّعُ مِنْ دُونِهَا حُزْنًا وَأَسَفًا وَعَبَرَاتٌ تَتَقَطَّرُ وَجْدًا وَلَهَفًا وَمَا عَمَدَتِ ٱلْأَقْدَارُ إِلَى ٱسْتِنْزَافِ مَدْمَعٍ وَلَا أَرَادَتِ ٱلْأَيَّامُ إِيلَامَ مُوجَعٍ إِنَّمَا هِيَ سُنَّةُ ٱلْخَلْقِ كَوْنٌ يَلِيهِ زَوَالٌ وَعَقْدٌ يَسْبِقُهُ ٱنْحِلَالٌ وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ أَجَلًا مَوْقُوتًا وَإِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ سَبَبًا مَقْدُورًا وَإِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَفِي كُلِّ ذٰلِكَ شَاهِدٌ يَسْمَعُ لَاهِيًا وَيُبْصِرُ سَاهِيًا وَلَيْسَ فِي يَدِهِ أَنْ يَسْتَرِدَّ مَاضِيًا وَلَا أَنْ يَرُدَّ آتِيًا وَلَقَدْ وَدِدْتُ أَنْ أُعَزِّيَكَ لَوْلَا مَا يُغَالِبُنِي عَلَى ٱلْعَزَاءِ مِنْ كَبِدٍ حَرَّى وَمُقْلَةٍ شَكْرَى وَزَفْرَةٍ تَتْرَى ثُمَّ وَدِدْتُ أَنْ أَسْتَبْكِيَكَ لَوْلَا أَنِّي بَكَيْتُ حَتَّى لَمْ أَدَعْ فِي ٱلْبُكَاءِ مِنْ وَادٍ وَأَحْبَبْتُ لَيَالِيَّ بِٱلنَّوْحِ حَتَّى مَا بِٱلنَّجْمِ سُهَادٌ

Digitized by Google

ثُمَّ لَمْ يَزِدْنِي ٱلْبُكَآءُ عَلَى سُقْمِ جَسَدِي وَلَمْ يَزِدْنِي ٱلنَّوْحُ عَلَى صَفَرِ يَدِي إِلَّا مِنْ كَبِدِي فَإِنَّ ٱلْأَقْدَارَ سِهَامٌ إِذَا ٱنْطَلَقَتْ لَمْ تُرَدَّ وَإِنَّ ٱلْمُتَطَلِّعَ إِلَى ٱلْفَائِتِ لَطَوِيلُ شُقَّةِ ٱلْكَمَدِ وَإِنَّ ٱلْخُطُوبَ لَهَيِّ وَإِنَّمَا تَتَفَاوَتُ عِنْدَ ٱلْجَلَدِ

وَإِنَّ ٱلْحَصَى عِنْدَ ٱلْجُزُوعِ ثَقِيلَةٌ

وَضَخْمَ ٱلصَّفَا عِنْدَ ٱلصَّبُورِ خَفِيفُ

وَإِنِّي لَأَرْجُو فِي عَقْلِكَ وَحِلْمِكَ أَنَّكَ قَدْ صِرْتَ مِنْ جَانِبِ ٱلْعَزَآءِ ثُمَّ أَحْمَدُ ٱللهَ عَلَى نَجَاتِكَ إِنَّ لَنَا فِي بَقَآئِكَ ٱلْعِوَضَ وَٱلتَّأَسِّيَ فَلَقَدْ قَلَّبْتَ ٱلْقُلُوبَ عَلَى جَمَرَاتٍ لَا تَدْرِي أَيُّهَا أَذْكَى ضِرَامًا ثُمَّ أَوْرَدْتَهَا مِنْ سَلَامَتِكَ مَا رَأَتِ ٱلشَّكْوَى بَعْدَهُ ظُلْمًا وَٱلتَّظَلُّمَ حَرَامًا وَٱلْحَمْدُ لِلهِ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ ٱلْمَسْؤُولُ فِي إِطَالَةِ بَقَآئِكَ قُرَّةً لِلْعُيُونِ وَجَبْرًا لِخَاطِرِ ٱلْمَحْزُونِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

ولمصححه ايضًا الى صديق له جوابًا عن كتاب ينعى اليه فيه احد انسبائه ويعزّيه بنسيب له

وَرَدَ كِتَابُكَ يَتَجَاذَبُهُ طَرَفَانِ مِنْ نَعْيٍ وَتَعْزِيَةٍ وَيَضْرِبُ عَلَيْهِ لَوْنَانِ مِنْ شَجْوٍ وَتَسْلِيَةٍ فَمَنْ لِي بِعَبْرَتَيْنِ تَجْرِي إِحْدَاهُمَا

وَتَرَقَّأُ ٱلْأُخْرَى وَمَنْ لِي بِقَلْبَيْنِ يَذُوبُ أَحَدُهُمَا جَزَعًا وَيَجْمُدُ ٱلْآخَرُ صَبْرًا بَلْ كَيْفَ يَصْبِرُ جَرِيحٌ ضَرَبَهُ ٱلدَّهْرُ بِسَيْفَيْنِ وَجَرَّعَهُ ٱلْبَلْوَى بِكَأْسَيْنِ فَمَزَجَ عَبْرَةً بِعَبْرَةٍ وَتَابَعَ حَسْرَةً إِثْرَ حَسْرَةٍ وَبَاتَ لَا يَجِدُ إِلَى ٱلصَّبْرِ دَلِيلًا وَلَا يَهْتَدِي إِلَى ٱلْعَزَاءِ سَبِيلًا وَلٰكِنَّ ٱلْأَمْرَ فَوْقَ مَا تُجْرِي ٱلْجُفُونُ وَمَا تُثِيرُ ٱلشُّجُونُ وَأَمْرُ ٱللهِ وَاقِعٌ لَا يَدْفَعُهُ دَافِعٌ وَٱلدَّمْعُ لَا يُسِيغُ غُصَّةً وَٱلْوَجْدُ لَا يُزِيلُ كُرْبَةً

وَإِذَا حَصَلْتَ مِنَ ٱلسِّلَاحِ عَلَى ٱلْبُكَا
فَحَشَاكَ رُعْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَقْرَعُ

فَمَا لَنَا إِلَّا ٱلسَّعْيُ وَرَاءَ مَا نَدَّ مِنَ ٱلصَّبْرِ نُكْرِهُ عَلَيْهِ ٱلنَّفْسَ وَإِنْ كَانَ أَحَدَ ٱلْمُرَّيْنِ وَٱلِٱلْتِجَاءُ إِلَى ٱلرِّضَى بِٱلْمَكْتُوبِ نُدَاوِي بِهِ ٱلْقَلْبَ وَإِنْ كَانَ أَحَدَ ٱلدَّاءَيْنِ وَحَسْبُنَا ٱللهُ وَكِيلًا

وكتب ابو بكر الخوارزميّ الى كثير بن احمد يعزّيه بابنةٍ له

نَحْنُ مَعَاشِرَ أَوْلِيَاءِ ٱلشَّيْخِ وَمُتَحَمِّلِي أَعْبَاءِ نِعْمَتِهِ وَٱلْمُتَسَمِّينَ بِسِمَةِ كَلِمَتِهِ إِذَا صَدِئَتْ قَرَائِحُنَا وَفَسَدَتْ أَذْهَانُنَا جَلَوْنَاهَا بِمُجَالَسَتِهِ وَغَسَلْنَا عَنْهَا وَضَرَ ٱلتَّغَيُّرِ بِٱتِّبَاعِ طَرِيقَتِهِ وَسُنَنَا أَنْفُسَنَا بِمَا نَرَاهُ وَنَتَعَلَّمُهُ مِنْ سِيَاسَتِهِ لِبِطَانَتِهِ ثُمَّ

لِرَعِيَّتِهِ وَإِذَا كَانَتِ الْحَالُ هٰذِهِ فَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ نَبِيعَ عَلَى الشَّيْخِ مَا اشْتَرَيْنَاهُ مِنْهُ وَأَنْ نَجْلُبَ إِلَيْهِ مَا جَلَبْنَاهُ عَنْهُ وَأَنْ نُقِيمَ أَنْفُسَنَا مَقَامَ الْمُعَلِّمِينَ وَنُقِيمَهُ مَقَامَ الْمُتَعَلِّمِينَ وَأَنْ نَحْمِلَ إِلَيْهِ مَوَاعِظَ بَذْلَةً كَلَامِهِ مِنْهَا أَبْرَعُ وَبِدَاءَةُ تَوْقِيعَاتِهِ مِنْهَا أَبْدَعُ وَلٰكِنْ لَا بُدَّ لِلْمُحِبِّ أَنْ يَنْطِقَ لِسَانُهُ وَقَلَمُهُ بِمَا يُتَرْجِمُ بِهِ عَنْ وَدَائِعِ صَدْرِهِ وَيُعَبِّرُ عَنْ نِيَّتِهِ وَسِرِّهِ وَلَا بُدَّ لِمَنْ شَارَكَ رَبِيبَهُ فِي أَيَّامِ الرَّخَاءِ وَالْمَوَاهِبِ مِنْ أَنْ يُشَارِكَهُ فِي أَيَّامِ الْغُمُومِ وَالْمَصَائِبِ لِيَكُونَ قَدْ خَدَمَهُ فِي النَّوْبَتَيْنِ وَتَصَرَّفَ مَعَهُ عَلَى الْحَالَتَيْنِ وَأَثْبَتَ اسْمَهُ فِي جَرِيدَةِ الشُّرَكَاءِ الْمُسَاهِمِينَ مَرَّتَيْنِ وَبَلَغَنِي خَبَرُ الْمُصِيبَةِ فَاغْتَمَمْتُ بِهَا غَمَّيْنِ وَنَفَذَتْ إِلَيَّ سِهَامُ الْفَجِيعَةِ مِنْ طَرِيقَيْنِ أَمَّا إِحْدَاهُمَا فَهِيَ أَنِّي أَغَارُ عَلَى هٰذِهِ الْجَنْبَةِ الْكَرِيمَةِ وَعَلَى هٰذِهِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ مِنْ أَنْ تَنْفُذَ فِيهَا رَمْيَةُ الزَّمَانِ أَوْ تَتَنَاوَلَهَا يَدٌ مِنْ أَيْدِي النُّقْصَانِ وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَهِيَ أَنِّي عَلِمْتُ أَنَّ الْفَجِيعَةَ إِذَا لَمْ تُحَارَبْ بِجَيْشِ الْبُكَاءِ وَلَمْ تُقَاتَلْ بِالْإِذَاعَةِ وَالْاِشْتِكَاءِ تَضَاعَفَ دَاؤُهَا وَزَادَتْ أَعْبَاؤُهَا وَإِنَّمَا الْفَمُ سُمُّ تِرْيَاقُهُ الْمُبَاثَّةُ وَالْمَوْتُ خَرْقٌ رَفْوُهُ التَّسْلِيَةُ

وَٱلتَّعْزِيَةُ قَالَ ذُو ٱلرُّمَّةِ

لَعَلَّ ٱنْحِدَارَ ٱلدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً
مِنَ ٱلْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ ٱلْبَلَابِلِ

وَإِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ عَيْنٍ تُصِيبُ طَرَفًا مِنْ أَطْرَافِ ٱلْكَمَالِ وَلَا بُدَّ مِنْ عُوذَةٍ يُعَوَّذُ بِهَا وَجْهُ ٱلْجَمَالِ فَلَأَنْ تَكُونَ ٱلْوَاقِعَةُ فِي ٱلصَّغِيرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِي ٱلْكَبِيرِ فَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي طَيِّ ٱلْمِحْنَةِ مِنْحَةً وَمَزَجَ بِٱلتَّرْحَةِ فُرْحَةً فَسَتَرَ عَوْرَةً مِنْ حَيْثُ سَلَبَ أُنْسًا وَنُزْهَةً وَكَفَى مَؤُونَةً مِنْ حَيْثُ جَلَبَ فَجِيعَةً وَأَبْقَى ٱلْكَبِيرَ ٱلْكَثِيرَ مِنْ حَيْثُ أَخَذَ صَغِيرَةً وَاحِدَةً وَجَمَّلَ وَالِدًا مِنْ حَيْثُ أَثْكَلَ وَالِدَةً وَهٰكَذَا تَكُونُ مَصَائِبُ ٱلْمُقْبِلِينَ ٱلْمَجْدُودِينَ فَإِنَّ ٱلدَّهْرَ إِذَا سَاءَهُمْ فِي ٱلْقَلِيلِ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ فِي ٱلْجَلِيلِ وَإِذَا كَاشَفَهُمْ فِي ٱلْخَفِيِّ ٱلْمَسْتُورِ صَانَعَهُمْ فِي ٱلْجَلِيِّ ٱلْمَشْهُورِ وَٱلْمَدَايِيرُ أَمْثَالُنَا فَإِنَّمَا تَكُونُ مِحْنَتُهُمْ صَافِيَةً صِرْفًا وَخَالِصَةً بَحْتًا وَٱلدَّهْرُ يَعْلَمُ أَيْنَ ٱلزَّبُونُ وَمَنِ ٱلْمَغْبُونُ وَأَنَا أَسْأَلُ ٱللّٰهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ ٱلْمُتَوَفَّاةَ لِوَالِدَيْهَا فَرَطًا وَأَجْرًا وَكَنْزًا مِنْ كُنُوزِ ٱلْجَنَّةِ وَذُخْرًا وَأَنْ يَحْشُرَهَا شَفِيعًا تُقْبَلُ

Digitized by Google

شَفَاعَتُهُ وَتُقْضَى فِي وَالِدِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ حَاجَتُهُ وَيُعَوَّضَ عَنْهَا الشَّيْخَ أَخَا لَهَا سَوِيَّ الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ شَرِيفَ الْفِعْلِ وَالْعِرْقِ لِيَسْتَوْفِيَ الشَّيْخُ فِي يَوْمِهِ أَجْرَ الصَّابِرِينَ وَفِي غَدِهِ جَزَاءَ الشَّاكِرِينَ وَلِيَكُونَ قَدْ قَضَى اللهُ تَعَالَى حَقَّ الرُّبُوبِيَّةِ مِنْ طَرَفَيِ الْعُبُودِيَّةِ وَأَنْ تَكُونَ هٰذِهِ الْحَادِثَةُ خَاتِمَةَ حَوَادِثِ الزَّمَانِ وَسَاقَةَ عَسَاكِرِ النُّقْصَانِ فَلَا يَرَى بَعْدَهَا فِي تِلْكَ الدَّارِ الشَّرِيفَةِ إِلَّا مَوْهِبَةً مُسْتَطْرَفَةً وَفَائِدَةً مُسْتَجَدَّةً مُسْتَأْنَفَةً حَتَّى يَشْتَغِلَ بِالتَّهَانِئِ عَنِ التَّعَازِي وَبِالْمَدَائِحِ عَنِ الْمَرَاثِي

وكتبَ عبدُ الحميدِ بنُ يحيى عن مروان الى هشامٍ يعزّيهِ بامرأةٍ من حظاياهُ

إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَمْتَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُنْسِيَّتِهِ وَقَرِينَتِهِ إِمْتَاعًا مُدَّةً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَلَمَّا تَمَّتْ لَهُ مَوَاهِبُ اللهِ وَعَارِيَّتُهُ قَبَضَ إِلَيْهِ الْعَارِيَّةَ ثُمَّ أَعْطَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الشُّكْرِ عِنْدَ بَقَائِهَا وَالصَّبْرِ عِنْدَ ذَهَابِهَا أَنْفَسَ مِنْهَا فِي الْمُنْقَلَبِ وَأَرْجَحَ فِي الْمِيزَانِ وَأَسْنَى فِي الْعِوَضِ فَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَإِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

Digitized by Google

وكتب ابو اسحق الصابئ الى محمد بن العباس يعزّيه بطفل

أَلدُّنْيَا أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَ ٱلرَّئِيسِ أَقْدَارٌ تَرِدُ فِي أَوْقَاتِهَا وَقَضَايَا تَجْرِي إِلَى غَايَاتِهَا وَلَا يُرَدُّ مِنْهَا شَيْءٌ عَنْ مَدَاهُ وَلَا يُصَدُّ عَنْ مَطْلَبِهِ وَمَنْحَاهُ فَهِيَ كَٱلسِّهَامِ ٱلَّتِي تَثْبُتُ فِي ٱلْأَغْرَاضِ وَلَا تَرْجِعُ بِٱلِٱعْتِرَاضِ وَمَنْ عَرَفَ ذٰلِكَ مَعْرِفَةَ ٱلرَّئِيسِ لَمْ يَأْشَرْ عِنْدَ ٱلزِّيَادَةِ وَلَمْ يَقْنَطْ عِنْدَ ٱلْمُصِيبَةِ وَأَمِنَ أَنْ يَسْتَخِفَّ أَحَدُ ٱلطَّرَفَيْنِ حُكْمَهُ وَيَسْتَنْزِلَ أَحَدُ ٱلْأَمْرَيْنِ حَزْمَهُ وَلَمْ يَدَعْ أَنْ يُوَطِّنَ نَفْسَهُ عَلَى ٱلنَّازِلَةِ قَبْلَ نُزُولِهَا وَيَأْخُذَ ٱلْأُهْبَةَ لِلْحَالَةِ قَبْلَ حُلُولِهَا وَأَنْ يُجَاوِرَ ٱلْخَيْرَ بِٱلشُّكْرِ وَيُسَاوِرَ ٱلْمِحْنَةَ بِٱلصَّبْرِ فَيَتَخَيَّرَ فَائِدَةَ ٱلْأُولَى عَاجِلًا وَيَسْتَمْرِئَ عَائِدَةَ ٱلْأُخْرَى آجِلًا وَقَدْ نَفَذَ مِنْ قَضَاءِ ٱللهِ تَعَالَى فِي ٱلْمَوْلَى ٱلْجَلِيلِ قَدَرًا ٱلْحَدِيثِ سِنًّا مَا أَرْمَضَ وَأَقْصَلَ وَأَقْلَقَ وَأَمَضَّ وَمَسَّنِي مِنَ ٱلتَّأَلُّمِ لَهُ مَا يَحِقُّ عَلَى مِثْلِي مِمَّنْ تَوَالَتْ أَيْدِي ٱلرَّئِيسِ إِلَيْهِ وَوَجَبَتْ مُشَارَكَتُهُ فِي ٱلْمُلِمِّ عَلَيْهِ فَإِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَعِنْدَ ٱللهِ مَنْ نَحْتَسِبُهُ غُصْنًا ذَوَى وَشِهَابًا خَبَا وَفَرْعًا دَلَّ عَلَى أَصْلِهِ وَخَطِيًّا أَنْبَتَهُ وَشِيجُهُ وَإِيَّاهُ أَسْأَلُ

أَنْ يَجْعَلَهُ لِلرَّئِيسِ فَرَطًا صَالِحًا وَذُخْرًا عَتِيدًا وَأَنْ يَنْفَعَهُ
يَوْمَ الدِّينِ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ إِلَّا مِثْلُهُ بَيْنَ الْبَنِينَ بِجُودِهِ
وَمَجْدِهِ وَلَئِنْ كَانَ الْمُصَابُ بِهِ عَظِيمًا وَالْحَادِثُ فِيهِ
جَسِيمًا لَقَدْ أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْهِ وَإِلَى الرَّئِيسِ فِيهِ أَمَّا إِلَيْهِ
فَإِنَّ اللهَ نَزَّهَهُ بِالِاخْتِرَامِ عَنِ اقْتِرَافِ الْآثَامِ وَصَانَهُ
بِالِاخْتِضَارِ عَنْ مُلَابَسَةِ الْأَوْزَارِ فَوَرَدَ دُنْيَاهُ رَشِيدًا
وَصَدَرَ عَنْهَا سَعِيدًا نَقِيَّ الصَّحِيفَةِ مِنْ سَوَادِ الذُّنُوبِ بَرِيءَ
السَّاحَةِ مِنْ دَرَنِ الْعُيُوبِ لَمْ تُدَنِّسْهُ الْجَرَائِرُ وَلَمْ تَعْلَقْ
بِهِ الصَّغَائِرُ وَالْكَبَائِرُ قَدْ رَفَعَ اللهُ عَنْهُ دَقِيقَ الْحِسَابِ
وَأَسْهَمَ لَهُ الثَّوَابَ مَعَ أَهْلِ الصَّوَابِ وَأَلْحَقَهُ بِالصَّادِقِينَ
الْفَاضِلِينَ فِي الْمَعَادِ وَبَوَّأَهُ حَيْثُ فَضَّلَهُمْ مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ
وَاجْتِهَادٍ وَأَمَّا الرَّئِيسُ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا اخْتَارَ ذٰلِكَ
قَبْضَهُ قَبْلَ رُؤْيَتِهِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي تَكُونُ مَعَهَا الرِّقَّةُ
وَمُعَايَنَتِهِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي تَتَضَاعَفُ عِنْدَهَا الْحُرْقَةُ وَحَمَاهُ
مِنْ فِتْنَةِ الْمُرَافَقَةِ لِيَرْفَعَهُ عَنْ جَزَعِ الْمُفَارَقَةِ وَكَانَ هُوَ
الْمُبْقِي لِدُنْيَاهُ وَالْوَاجِدَ الذَّخِيرَةَ لِأُخْرَاهُ وَعَزِيزٌ
عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ قَوْلَ الْمُهَوِّنِ لِلْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا

أُوفِّيَ ٱلتَّوَجُّعَ عَلَيْهِ وَاجِبَ فَقْدِهِ فَهُوَ لَهُ سُلَالَةٌ وَمِنْهُ بَضْعَةٌ
وَلٰكِنَّ ذٰلِكَ طَرِيقُ ٱلتَّسْلِيَةِ وَسَبِيلُ ٱلتَّعْزِيَةِ وَٱلْمَنْهَجُ
ٱلْمَسْلُوكُ فِي مُخَاطَبَةِ مِثْلِهِ مِمَّنْ يَقْبَلُ مَنْفَعَةَ ٱلذِّكْرَى وَإِنْ
أَغْنَاهُ ٱلِٱسْتِبْصَارُ وَلَا يَأْبَى وُرُودَ ٱلْمَوْعِظَةِ وَإِنْ كَفَاهُ
ٱلِٱعْتِبَارُ وَٱللّٰهُ تَعَالَى يَقِي ٱلرَّئِيسَ ٱلْمَصَائِبَ وَيُعِيذُهُ مِنَ
ٱلنَّوَائِبِ وَيَرْعَاهُ بِعَيْنِهِ ٱلَّتِي لَا تَنَامُ وَيَجْعَلُهُ فِي حِمَاهُ ٱلَّذِي
لَا يُرَامُ وَيُبْقِيهِ مَوْفُورًا غَيْرَ مُنْتَقَصٍ وَيُقَدِّمُنَا إِلَى ٱلسُّوءِ
أَمَامَهُ وَإِلَى ٱلْمَحْذُورِ قُدَّامَهُ وَيَبْدَأُ بِي مِنْ بَيْنِهِمْ فِي هٰذِهِ
ٱلدَّعْوَةِ إِذْ كُنْتُ أَرَاهَا مِنْ أَسْعَدِ أَحْوَالِي وَأَعُدُّهَا مِنْ
أَبْلَغِ أَمَانِيِّ وَآمَالِي

ولصحبه الى صديق له

مَنْ عَلِمَ أَنَّ ٱلْقَضَاءَ وَاقِعٌ وَأَنَّ ٱلْأَعْمَارَ رَهَائِنُ
ٱلْمَصَارِعِ فَلَمْ يَصْحَبْ دَهْرُهُ عَلَى غِرَّةٍ وَلَمْ يَغْتَرَّ مِنَ
ٱلْأَقْدَارِ بِفَتْرَةٍ لَمْ تَكْبُرْ عَلَيْهِ ٱلرَّزِيَّةُ إِذَا أَغْتَالَتْ وَلَمْ
يَطْمَئِنَّ إِلَى ٱلسَّلَامَةِ وَإِنْ طَالَتْ فَإِنَّ لِلدَّهْرِ رَقْدَةً وَهَبَّةً
وَإِنَّ لِلَّيَالِي كَمْنَةً وَوَثْبَةً وَمِثْلُكَ مَنْ أَدْرَكَ مَبَادِئَ
ٱلْأُمُورِ وَمَصَايِرَهَا وَعَرَفَ مَوَارِدَ ٱلْحَيَاةِ وَمَصَادِرَهَا وَإِنَّمَا

Digitized by Google

ٱلْمَوْتُ طَوْرٌ مِنْ أَطْوَارِ ٱلْوُجُودِ وَآخِرُ أَعْمَالِ ٱلْحَيَاةِ فِي ٱلْمَوْجُودِ وَلَا أَزِيدُكَ عِلْمًا بِالْكَوْنِ وَسَرَائِعِهِ وَٱلْكَائِنِ وَطَبَائِعِهِ إِنَّمَا هِيَ ذِكْرَى لِمَنْ فَجِئَهُ ٱلرُّزْءُ فَشَغَلَهُ وَحَلَّ بِسَاحَتِهِ ٱلْقَضَاءُ فَأَذْهَلَهُ وَحَسْبِي مِنَ ٱلتَّعْزِيَةِ عِلْمِي بِمَا عِنْدَكَ مِنْ مَوَارِدِ ٱلْعِلْمِ ٱلْمُبَاحِ وَمِنَ ٱلتَّأَسِّيَةِ مَا تَعْلَمُهُ مِنْ حَالِ مَنْ يُخَاطِبُكَ وَهُوَ سَائِلُ ٱلْجِرَاحِ وَمَا أَخْلَقَنِي بِأَنْ أَقُولَ إِنَّ رُزْءَكَ هٰذَا قَدْ زَادَنِي شَجَنًا عَلَى أَشْجَانِي وَنَكَأَ مَا تَمَاثَلَ مِنْ قُرْحَةِ أَحْزَانِي وَلٰكِنِّي قَدْ صَيَّرَنِي ٱلدَّهْرُ إِلَى حَالٍ لَا تَعْمَلُ فِيهَا حَالٌ وَلَا أُبَالِي مَعَهَا بِسِلْمٍ وَلَا قِتَالٍ فَكَأَنَّمَا إِيَّايَ عَنَى أَبُو ٱلطَّيِّبِ حَيْثُ قَالَ

رَمَانِيَ ٱلدَّهْرُ بِٱلْأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ ٱلنِّصَالُ عَلَى ٱلنِّصَالِ

عَلَى أَنَّ ٱلْمَرْءَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مُعَزٍّ لَمْ يَزِدْهُ كَلَامُ ٱلْمُعَزِّينَ عَلَى إِذْكَارِ مُصَابِهِ وَتَجْدِيدِ لَوْعَتِهِ وَٱكْتِئَابِهِ وَهٰهُنَا أَمْتَحَانُ ٱلرِّجَالِ وَمَوْطِنُ ٱلصَّبْرِ وَٱلِٱحْتِمَالِ وَٱلْمَرْءُ بِأَعَزِّ مَا لَدَيْهِ يُمْتَحَنُ وَٱلصَّبْرُ عَلَى مِقْدَارِ ٱلْهِمَمِ وَٱلْفِطَنِ وَإِنَّ ٱلْأَحْزَانَ مَعْقُودَةٌ أَطْرَافُهَا بِٱلْعَزَاءِ مَوْصُولَةٌ

أَوَاخِرُهَا بِالنَّأْسَاءِ فَاجْعَلِ الْآخِرَةَ الْأُولَى وَلَا تُبَلِّغِ الدَّهْرَ مِنْ نَفْسِكَ مَأْمُولًا وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يُقَيِّضَ لَنَا بِسَلَامَتِكَ عِوَضًا كَرِيمًا وَيَصُونَ بَيْتَكُمْ وَآلَهُ مِنْ كُلِّ كَارِثَةٍ سَلِيمًا وَيُفْرِغَ عَلَى قُلُوبِكُمْ صَبْرًا جَمِيلًا وَعَلَى مَنْ فَقَدْتُمْ عَفْوًا عَمِيمًا بِرَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ

فَصْلٌ

فِي الْخُطَبِ

خطبةٌ للإمام عليّ

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ وَلُزُومِ طَاعَتِهِ وَتَقْدِيمِ الْعَمَلِ وَتَرْكِ الْأَمَلِ فَإِنَّهُ مَنْ فَرَّطَ فِي عَمَلِهِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمَلِهِ أَيْنَ التَّعَبُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الْمُقْتَحِمُ لُجَجَ الْبِحَارِ وَمَفَاوِزَ الْقِفَارِ يَسِيرُ مِنْ وَرَاءِ الْجِبَالِ وَعَالِجِ الرِّمَالِ يَصِلُ الْغُدُوَّ بِالرَّوَاحِ وَالْمَسَاءَ بِالصَّبَاحِ فِي طَلَبِ مُحْتَقَرَاتِ الْأَرْبَاحِ هَجَمَتْ عَلَيْهِ مَنِيَّتُهُ فَعَظُمَتْ بِنَفْسِهِ رَزِيَّتُهُ فَصَارَ مَا جَمَعَ بُورًا وَمَا اكْتَسَبَ غُرُورًا وَوَافَى الْقِيَامَةَ مَحْسُورًا أَيُّهَا اللَّاهِي الْغَارُّ بِنَفْسِهِ كَأَنِّي بِكَ

وَقَدْ أَتَاكَ رَسُولُ رَبِّكَ لَا يَقْرَعُ لَكَ بَابًا وَلَا يَهَابُ لَكَ حِجَابًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْكَ بَدِيلًا وَلَا يَأْخُذُ مِنْكَ كَفِيلًا وَلَا يَرْحَمُ لَكَ صَغِيرًا وَلَا يُوَقِّرُ فِيكَ كَبِيرًا حَتَّى يُؤَدِّيَكَ إِلَى قَعْرِ مُظْلِمَةٍ أَرْجَاؤُهَا مُوحِشَةٌ كَفِعْلِهِ بِالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ أَيْنَ مَنْ سَعَى وَاجْتَهَدَ وَجَمَعَ وَعَدَّدَ وَبَنَى وَشَيَّدَ وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ وَبِالْقَلِيلِ لَمْ يَقْنَعْ وَبِالْكَثِيرِ لَمْ يَتَمَتَّعْ أَيْنَ مَنْ قَادَ الْجُنُودَ وَنَشَرَ الْبُنُودَ أَضْحَوْا رُفَاتًا تَحْتَ الثَّرَى أَمْوَاتًا وَأَنْتُمْ بِكَأْسِهِمْ شَارِبُونَ وَلِسَبِيلِهِمْ سَالِكُونَ عِبَادَ اللهِ فَاتَّقُوا اللهَ وَرَاقِبُوهُ وَاعْمَلُوا لِلْيَوْمِ الَّذِي تَسِيرُ فِيهِ الْجِبَالُ وَتَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَتَطَايَرُ الْكُتُبُ عَنِ الْأَيْمَانِ وَالشَّمَائِلِ فَأَيُّ رَجُلٍ يَوْمَئِذٍ تَرَاكَ أَقَائِلٌ هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَهْ أَمْ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ نَسْأَلُ مَنْ وَعَدَنَا بِإِقَامَةِ الشَّرَائِعِ جَنَّتَهُ أَنْ يَقِينَا سَخْطَهُ إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةِ كِتَابُ اللهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

خطبة للحجاج حين ولاه عبد الملك بن مروان العراق وامره ان يحشر الناس الى المهلب في حرب الازارقة

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا مَتَى أَضَعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

صَلِيبُ ٱلْعُودِ مِنْ سَلَفَيْ بِزَارٍ كَنَصْلِ ٱلسَّيْفِ وَضَّاحُ ٱلْجَبِينِ
وَمَاذَا تَبْتَغِي ٱلشُّعَرَآءُ مِنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ ٱلْأَرْبَعِينِ
أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٌ أَشُدِّي وَتُنْجِدُنِي مُدَاوَرَةُ ٱلشُّؤُونِ
أَمَا وَٱللهِ إِنِّي لَأَحْمِلُ ٱلشَّرَّ بِحِمْلِهِ وَأَحْذُوهُ بِنَعْلِهِ وَأَجْزِيهِ
بِمِثْلِهِ وَإِنِّي لَأَرَى أَبْصَارًا طَامِحَةً وَأَعْنَاقًا مُتَطَاوِلَةً
وَرُؤُوسًا قَدْ أَيْنَعَتْ وَحَانَ قِطَافُهَا وَإِنِّي لَصَاحِبُهَا
كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ٱلدِّمَآءِ بَيْنَ ٱلْعَمَائِمِ وَٱللِّحَى تَتَرَقْرَقُ

هٰذَا أَوَانُ ٱلْحَرْبِ فَٱشْتَدِّي زِيَمْ
قَدْ لَفَّهَا ٱللَّيْلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ
لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمْ
وَلَا بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمْ
قَدْ لَفَّهَا ٱللَّيْلُ بِعَصْلَبِيِّ أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ ٱلدَّوِيِّ
مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيِّ

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا مَا عِلَّتِي وَأَنَا شَيْخٌ جَلْدُ
وَٱلْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌ عِرِدُ مِثْلُ ذِرَاعِ ٱلْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ
إِنِّي وَٱللهِ يَا أَهْلَ ٱلْعِرَاقِ وَمَعْدِنَ ٱلشِّقَاقِ وَٱلنِّفَاقِ وَمَسَاوِئِ
ٱلْأَخْلَاقِ لَا يُغْمَزُ جَانِبِي كَتَغْمَازِ ٱلتِّنِّينِ وَلَا يُقَعْقَعُ لِي

بِالسِّنَانِ وَلَقَدْ فُرِرْتُ عَنْ ذَكَاءَ وَفُتِّشْتُ عَنْ تَجْرِبَةٍ وَأُجْرِيتُ
مَعَ الْغَايَةِ وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَثَرَ كِنَانَتَهُ ثُمَّ عَجَمَ عِيدَانَهَا
فَوَجَدَنِي أَمَرَّهَا عُودًا وَأَشَدَّهَا مَكْسِرًا فَوَجَّهَنِي إِلَيْكُمْ
وَرَمَاكُمْ بِي فَإِنَّهُ قَدْ طَالَمَا أَوْضَعْتُمْ فِي الْفِتَنِ وَسَنَنْتُمْ سُنَنَ
الْبَغْيِ وَسَعَيْتُمْ فِي الضَّلَالَةِ وَايْمُ اللهِ لَأَلْحُوَنَّكُمْ لَحْوَ الْعَصَا
وَلَأَقْرَعَنَّكُمْ قَرْعَ الْمَرْوَةِ وَلَأَعْصِبَنَّكُمْ عَصْبَ السَّلَمَةِ
وَلَأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ أَمَا وَاللهِ لَا أَعِدُ إِلَّا وَفَيْتُ
وَلَا أَخْلُقُ إِلَّا فَرَيْتُ وَإِيَّايَ وَهَذِهِ الزَّرَافَاتِ وَالْجَمَاعَاتِ
وَقَالَ وَقِيلَ وَمَا يَقُولُونَ وَفِيمَ أَنْتُمْ وَاللهِ لَتَسْتَقِيمُنَّ عَلَى
طَرِيقِ الْحَقِّ أَوْ لَأَدَعَنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ مَنْ
وَجَدْتُهُ بَعْدَ ثَالِثَةٍ مِنْ بَعْثِ الْمُهَلَّبِ سَفَكْتُ دَمَهُ وَانْتَهَبْتُ
مَالَهُ وَهَدَمْتُ مَنْزِلَهُ

ولهُ ايضًا بعد وقعة دير الجماجم

يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدِ اسْتَبْطَنَكُمْ فَخَالَطَ
اللَّحْمَ وَالدَّمَ وَالْمَسَامِعَ وَالْأَطْرَافَ وَالْأَعْضَادَ وَالْأَشْفَاهَ ثُمَّ
مَضَى إِلَى الْأَمْخَاخِ وَالْأَصْمَاخِ ثُمَّ ارْتَفَعَ فَعَشَّشَ ثُمَّ بَاضَ
وَفَرَّخَ فَحَشَاكُمْ شِقَاقًا وَنِفَاقًا وَإِنْ أَشْعَرَكُمْ خِلَافًا اتَّخَذْتُمُوهُ

دَلِيلاً تَتَّبِعُونَهُ وَقَائِدًا تُطِيعُونَهُ وَمُؤَامِرًا تَسْتَشِيرُونَهُ
وَكَيْفَ تَنْفَعُكُمْ تَجْرِبَةٌ أَوْ تَعِظُكُمْ وَقْعَةٌ أَوْ يَحْجُزُكُمْ
إِسْلَامٌ أَوْ يَرُدُّكُمْ إِيمَانٌ أَلَسْتُمْ أَصْحَابِي بِالْأَهْوَازِ حَيْثُ
رُمْتُمُ الْمَكْرَ وَسَعَيْتُمْ بِالْغَدْرِ وَاسْتَجْمَعْتُمْ لِلْكُفْرِ وَظَنَنْتُمْ
أَنَّ اللَّهَ يَخْذُلُ دِينَهُ وَخِلَافَتَهُ وَأَنَا أَرْمِيكُمْ بِطَرْفِي وَأَنْتُمْ
تَنْسُلُونَ لِوَاذًا وَتَنْهَزِمُونَ سِرَاعًا يَوْمَ الزَّاوِيَةِ وَمَا يَوْمُ
الزَّاوِيَةِ بِهَا كَانَ فَشَلُكُمْ وَتَنَازُعُكُمْ وَتَخَاذُلُكُمْ وَبَرَاءَةُ اللَّهِ
مِنْكُمْ وَنُكُوصُ وَلِيِّهِ عَنْكُمْ إِذْ وَلَّيْتُمْ كَالْإِبِلِ الشَّوَارِدِ
إِلَى أَوْطَانِهَا النَّوَازِعِ إِلَى أَعْطَانِهَا لَا يَسْأَلُ الْمَرْءُ مِنْكُمْ
عَنْ أَخِيهِ وَلَا يَلْوِي الشَّيْخُ عَلَى بَنِيهِ حَتَّى عَضَّكُمُ السِّلَاحُ
وَقَصَمَتْكُمُ الرِّمَاحُ وَيَوْمَ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ وَمَا دَيْرُ الْجَمَاجِمِ
بِهِ كَانَتِ الْمَعَارِكُ وَالْمَلَاحِمُ بِضَرْبٍ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ
مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ أَهْلَ
الْكُفَرَاتِ وَالْفَجَرَاتِ وَالْغَدَرَاتِ بَعْدَ الْخَتَرَاتِ وَالثَّوْرَةِ
بَعْدَ الثَّوْرَاتِ إِنْ بُعْتُمْ إِلَى ثُغُورِكُمْ غَلَلْتُمْ وَخُنْتُمْ وَإِنْ
أَمِنْتُمْ أَرْجَفْتُمْ وَإِنْ خِفْتُمْ نَافَقْتُمْ لَا تَذْكُرُونَ نِقْمَةً وَلَا
تَشْكُرُونَ نِعْمَةً يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ هَلِ اسْتَخَفَّكُمْ نَاكِثٌ أَوِ

أَسْتَغْوَاكُمْ غَاوٍ أَوِ اسْتَفَزَّكُمْ عَاصٍ أَوِ اسْتَنْصَرَكُمْ ظَالِمٌ أَوِ اسْتَعْضَدَكُمْ خَالِعٌ إِلَّا وَثَقْتُمُوهُ وَآوَيْتُمُوهُ وَعَزَّزْتُمُوهُ وَنَصَرْتُمُوهُ وَرَضِيتُمُوهُ وَأَرْضَيْتُمُوهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ هَلْ شَغَبَ شَاغِبٌ أَوْ نَعَبَ نَاعِبٌ أَوْ نَعَقَ نَاعِقٌ أَوْ زَفَرَ زَافِرٌ إِلَّا كُنْتُمْ أَتْبَاعَهُ وَأَنْصَارَهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ أَلَمْ تَنْهَكُمُ الْمَوَاعِظُ أَلَمْ تَزْجُرْكُمُ الْوَقَائِعُ يَا أَهْلَ الشَّامِ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ كَالظَّلِيمِ الذَّابِّ عَنْ فِرَاخِهِ يَنْفِي عَنْهَا الْمَدَرَ وَيُبَاعِدُ عَنْهَا الْحَجَرَ وَيَكُنُّهَا مِنَ الْمَطَرِ وَيَحْمِيهَا مِنَ الضِّبَابِ وَيَحْرُسُهَا مِنَ الذُّبَابِ يَا أَهْلَ الشَّامِ أَنْتُمُ الْجُبَّةُ وَالرِّدَاءُ وَأَنْتُمُ الْعُدَّةُ وَالْحِذَاءُ

ولعتبة بن ابي سفيان

يَا أَهْلَ مِصْرَ قَدْ طَالَتْ مُعَاتَبَتُنَا إِيَّاكُمْ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَظُبَاتِ السُّيُوفِ حَتَّى صِرْنَا شَجًى فِي لَهَاكُمْ مَا تُسِيغُهُ حُلُوقُكُمْ وَأَقْذَاءً فِي أَعْيُنِكُمْ مَا تَطْرِفُ عَلَيْهَا جُفُونُكُمْ أَفَحِينَ اشْتَدَّتْ عُرَى الْحَقِّ عَلَيْكُمْ عَقْدًا وَاسْتَرْخَتْ عُقَدُ الْبَاطِلِ مِنْكُمْ حَلًّا أَرْجَفْتُمْ بِالْخَلِيفَةِ وَأَرَدْتُمْ تَهْوِينَ الْخِلَافَةِ وَخُضْتُمُ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ وَأَقْدَمُ عَهْدِكُمْ بِهِ حَدِيثٌ

فَارْجِعُوا أَنْفُسَكُمْ إِذَا خَسِرْتُمْ دِينَكُمْ فَهٰذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخَبَرِ السَّارِّ عَنْهُ وَالْعَهْدِ الْقَرِيبِ مِنْهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ سُلْطَانَنَا عَلَى أَبْدَانِكُمْ دُونَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْلِحُوا لَنَا مَا ظَهَرَ وَنَكِلُكُمْ إِلَى اللهِ فِيمَا بَطَنَ وَأَظْهِرُوا خَيْرًا وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ شَرًّا فَإِنَّكُمْ حَاصِدُونَ مَا أَنْتُمْ زَارِعُونَ وَعَلَى اللهِ أَتَوَكَّلُ وَبِهِ أَسْتَعِينُ

وله ايضًا

يَا حَامِلِيَ الْأَلَمِ أُنُوفٍ رُكِّبَتْ بَيْنَ الْأَلَمِ أَعْيُنٍ إِنَّمَا قَلَّمْتُ أَظْفَارِي عَنْكُمْ لِيَلِينَ مَسِّي إِيَّاكُمْ وَسَأَلْتُكُمْ صَلَاحَكُمْ إِذْ كَانَ فَسَادُكُمْ رَاجِعًا عَلَيْكُمْ فَأَمَّا إِذْ أَبَيْتُمْ إِلَّا الطَّعْنَ عَلَى الْوُلَاةِ وَالتَّنَقُّصَ لِلسَّلَفِ فَوَاللهِ لَأُقَطِّعَنَّ عَلَى ظُهُورِكُمْ بُطُونَ السِّيَاطِ فَإِنْ حَسَمَتْ دَاءَكُمْ وَإِلَّا فَالسَّيْفُ مِنْ وَرَائِكُمْ وَلَسْتُ أَبْخَلُ عَلَيْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ إِذَا جُدْتُمْ بِالْمَعْصِيَةِ وَلَا أُوئِسُكُمْ مِنْ مُرَاجَعَةِ الْحُسْنَى إِنْ صِرْتُمْ إِلَى الَّتِي هِيَ أَبَرُّ وَأَتْقَى

ويُنسب الى سحبان وائل

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ وَالْآخِرَةَ دَارُ مَقَرٍّ

Digitized by Google

فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ وَأَخْرِجُوا مِنَ ٱلدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ فَفِيهَا حَبِيتُمْ وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ أَلْيَوْمَ عَمَلٌ بِلَا حِسَابٍ وَغَدًا حِسَابٌ بِلَا عَمَلٍ إِنَّ ٱلرَّجُلَ إِذَا هَلَكَ قَالَ ٱلنَّاسُ مَا تَرَكَ وَقَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ فَقَدِّمُوا بَعْضًا يَكُونُ لَكُمْ قَرْضًا وَلَا تَتْرُكُوا كُلًّا يَكُونُ عَلَيْكُمْ كَلًّا

فَصْلٌ

فِي ٱلذَّمِّ وَٱلْقَطِيعَةِ

كتب ابو الفضل بن العميد الى ابي عبدالله الطبري

وَصَلَ كِتَابُكَ فَصَادَفَنِي قَرِيبَ ٱلْعَهْدِ بِٱلِٱنْطِلَاقِ مِنْ عَنَتِ ٱلْفِرَاقِ وَوَافَقَنِي مُسْتَرِيحَ ٱلْأَعْضَاءِ وَٱلْجَوَانِحِ مِنْ جَوَى ٱلِٱشْتِيَاقِ فَإِنَّ ٱلدَّهْرَ جَرَى عَلَى حُكْمِهِ ٱلْمَأْلُوفِ فِي تَحْوِيلِ ٱلْأَحْوَالِ وَمَضَى عَلَى رَسْمِهِ ٱلْمَعْرُوفِ فِي تَبْدِيلِ ٱلْأَشْكَالِ وَأَعْتَقَنِي مِنْ مَخَالِبِكَ إِعْنَاقًا لَا تَسْتَحِقُّ بِهِ وَلَاءً وَأَبْرَأَنِي مِنْ عُهْدَتِكَ بَرَاءَةً لَا تَسْتَوْجِبُ مَعَهَا دَرَكًا وَلَا ٱسْتِثْنَاءً وَنَزَعَ مِنْ عُنُقِي رِبْقَةَ ٱلذُّلِّ فِي إِخَائِكَ بِيَدَيْ

Digitized by Google

جَفَائِكَ وَرَشَّ عَلَى مَا كَانَ يُضْرَمُ فِي ضَمِيرِي مِنْ نِيرَانِ
ٱلشَّوْقِ بِٱلسُّلُوِّ وَسُنَّ عَلَى مَا كَانَ يَلْتَهِبُ فِي صَدْرِي مِنَ
ٱلْوَجْدِ مَاءَ ٱلْيَأْسِ وَمَسَحَ أَعْشَارَ قَلْبِي فَلَأَمَ فُطُورِي
بِجَمِيلِ ٱلصَّبْرِ وَشَعَبَ أَفْلَاذَ كَبِدِي فَلَاحَمَ صُدُوعَهَا بِحُسْنِ
ٱلْعَزَاءِ وَتَغَلْغَلَ فِي مَسَالِكِ أَنْفَاسِي فَعَوَّضَ عَنِ ٱلنِّزَاعِ
إِلَيْكَ نُزُوعًا عَنْكَ وَمِنَ ٱلذَّهَابِ فِيكَ رُجُوعًا دُونَكَ
وَكَشَفَ عَنْ عَيْنَيَّ ضَبَابَاتِ مَا أَلْقَاهُ ٱلْهَوَى عَلَى بَصَرِي
وَرَفَعَ عَنْهَا غَيَابَاتِ مَا سَدَلَهُ ٱلشَّكُّ دُونَ نَظَرِي حَتَّى
حَدَرَ ٱلنِّقَابَ عَنْ صَفَحَاتِ شَيِمِكَ وَسَفَرَ عَنْ وُجُوهِ خَلِيقَتِكَ
فَٱذْهَبْ فَقَدْ أَلْقَيْتُ حَبْلَكَ عَلَى غَارِبِكَ وَرَدَدْتُ إِلَيْكَ
ذِمَمَ عَهْدِكَ

ولهُ اليهِ ايضًا من رسالة

وَهَبْنِي سَكَتُّ لِدَعْوَاكَ سُكُوتَ مُتَعَجِّبٍ وَرَضِيتُ رِضَى
مُتَسَخِّطٍ أَيَرْضَى ٱلْفَضْلُ ٱجْتِذَابَكَ بِأَهْدَابِهِ مِنْ يَدَيْ أَهْلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَأَحْسِبُكَ لَمْ تُزَاحِمْ خُطَّابَهُ حَتَّى أَنْشَدَكَ
لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ يَخْطُبُهَا ضُرِّجَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمِ
وَلَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ حِلْيٍ تَصَدَّيْتَ لَهُ وَأَنْتَ لَوْ تَتَوَّجْتَ

بِالثُّرَيَّا وَتَقَلَّدْتَ قِلَادَةَ الْفَلَكِ وَتَمَنْطَقْتَ بِمِنْطَقَةِ الْجَوْزَاءِ
وَتَوَشَّحْتَ بِالْمَجَرَّةِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا عُطْلًا وَلَوْ تَدَثَّرْتَ أَنْوَارَ
الرَّبِيعِ الزَّاهِرِ وَأَسْرَجْتَ فِي جَبِينِكَ غُرَّةَ الْبَدْرِ الْبَاهِرِ
مَا كُنْتَ إِلَّا غُفْلًا لَا سِيَّمَا مَعَ قِلَّةِ وَفَائِكَ وَضُعْفِ إِخَائِكَ
وَظُلْمَةِ مَا نُبْصِرُهُ مِنْ خِصَالِكَ وَتَرَاكُمِ الدُّجَى فِي ضَلَالِكَ
وَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْكَ وَلَكِنْ أَيُّ سَاعَةِ مَنْدَمٍ
بَعْدَ إِفْنَاءِ الزَّمَانِ فِي ابْتِدَائِكَ وَتَصَفُّحِي حَالَاتِ الدَّهْرِ
فِي أَخْيَارِكَ وَبَعْدَ تَضْيِيعِ مَا غَرَسْتُهُ وَتَقْوِيضِ مَا أَسَّسْتُهُ
فَإِنَّ الْوِدَادَ غَرْسٌ إِذَا لَمْ يُوَافِقْ ثَرًى ثَرِيًّا وَمَاءً رَوِيًّا لَمْ
يُرْجَ زَكَاؤُهُ وَلَمْ يَجْرِ مَاؤُهُ وَلَمْ تَتَفَتَّحْ أَزْهَارُهُ وَلَمْ تُجْنَ
ثِمَارُهُ وَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ مَلَّكْتُ الضَّلَالَ قِيَادِي حَتَّى
أَشْكَلَ عَلَيَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُتَمَازِجَانِ وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ
الْمُتَآلِفَانِ وَهِيَ مُمَازَجَةُ طَبْعٍ وَمُوَافَقَةُ شَكْلٍ وَخَلْقٍ
وَمُطَابَقَةُ خِيمٍ وَخُلْقٍ وَمَا وَصَلَتْنَا حَالٌ جَمَعَتْنَا عَلَى ائْتِلَافٍ
وَحَمَتْنَا مِنِ اخْتِلَافٍ وَنَحْنُ فِي طَرَفَيْ ضِدَّيْنِ وَبَيْنَ
أَمْرَيْنِ مُتَبَاعِدَيْنِ وَإِذَا حَصَلْتَ الْأَمْرَ وَجَدْتَ أَدْنَى مَا
بَيْنَنَا مِنَ الْبِعَادِ أَكْثَرَ مِمَّا بَيْنَ الْوِهَادِ وَالنِّجَادِ وَأَبْعَدَ

Digitized by Google

مِمَّا بَيْنَ ٱلْبَيَاضِ وَٱلسَّوَادِ وَأَيْسَرَ مَا بَيْنَنَا مِنَ ٱلنِّفَارِ أَكْثَرَ مِمَّا بَيْنَ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْإِعْلَانِ وَٱلْإِسْرَارِ

وكتب ابو الفضل بديع الزمان الهمذاني من رسالة الى ابي نصر ابن المرزبان

كُنْتُ أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ فِي قَدِيمِ ٱلزَّمَانِ أَتَمَنَّى لِلْكُتَّابِ ٱلْخَيْرَ وَأَسْأَلُ ٱللهَ أَنْ يُدِرَّ عَلَيْهِمْ أَخْلَافَ ٱلرِّزْقِ وَيَمُدَّ لَهُمْ أَكْنَافَ ٱلْعَيْشِ وَيُوطِئَهُمْ أَعْرَافَ ٱلْمَجْدِ وَيُؤْتِيَهُمْ أَصْنَافَ ٱلْفَضْلِ وَيُرْكِبَهُمْ أَكْتَافَ ٱلْعِزِّ وَقُصَارَايَ أَنْ أَرْغَبَ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى فِي أَنْ لَا يُنِيلَهُمْ فَوْقَ ٱلْكِفَايَةِ وَلَا يَمُدَّ لَهُمْ فِي حَبْلِ ٱلرِّعَايَةِ فَشَدَّ مَا يَطْغَوْنَ لِلنِّعْمَةِ يَنَالُونَهَا وَٱلدَّرَجَةِ يَعْلُونَهَا وَسُرْعَ مَا يَنْظُرُونَ مِنْ عَالٍ بِمَا يَنْظِمُونَ مِنْ حَالٍ وَيَجْمَعُونَ مِنْ مَالٍ وَتُنْسِيهِمْ أَيَّامُ ٱللُّدُونَةِ أَوْقَاتَ ٱلْخُشُونَةِ وَأَزْمَانُ ٱلْعُذُوبَةِ سَاعَاتِ ٱلصُّعُوبَةِ وَلِلْكُتَّابِ مَزِيَّةٌ فِي هٰذَا ٱلْبَابِ فَبَيْنَاهُمْ فِي ٱلْعُطْلَةِ إِخْوَانٌ كَمَا ٱنْتَظَمَ ٱلسِّمْطُ وَفِي ٱلْعُزْلَةِ أَعْوَانٌ كَمَا ٱنْفَرَجَ ٱلْمُشْطُ حَتَّى لَحَظَهُمُ ٱلْجَدُّ لَحْظَةً حَمْقَاءَ بِمَنْشُورِ عِمَالَةٍ أَوْ صَكِّ جِعَالَةٍ فَيَعُودُ عَامِرُ وُدِّهِمْ خَرَابًا وَيَنْقَلِبُ شَرَابُ

عَهْدِهِمْ سَرَابًا فَمَا عَلَتْ أُمُورُهُمْ حَتَّى أُسْبِلَتْ سُتُورُهُمْ
وَلَا غَلَتْ قُدُورُهُمْ إِلَّا خَلَتْ بُدُورُهُمْ وَلَا اتَّسَعَتْ
دُورُهُمْ إِلَّا ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ وَلَا أُوقِدَتْ نَارُهُمْ إِلَّا
انْطَفَأَ نُورُهُمْ وَلَا زَادَ مَالُهُمْ إِلَّا نَقَصَ مَعْرُوفُهُمْ وَلَا
وَرِمَتْ أَكْيَاسُهُمْ إِلَّا وَرِمَتْ أُنُوفُهُمْ وَلَا صَلُحَتْ أَحْوَالُهُمْ
إِلَّا فَسَدَتْ أَفْعَالُهُمْ وَلَا حَسُنَتْ حَالُهُمْ إِلَّا قَبُحَتْ خِلَالُهُمْ
وَلَا فَاضَ جَاهُهُمْ إِلَّا غَاضَتْ مِيَاهُهُمْ وَلَا لَانَتْ بُرُودُهُمْ
إِلَّا صَلُبَتْ حُدُودُهُمْ وَلَا عَلَتْ جُدُودُهُمْ إِلَّا سَفَلَ جُودُهُمْ
وَلَا طَالَتْ أَيْدِيهِمْ إِلَّا قَصُرَتْ أَيَادِيهِمْ وَقُصَارَى أَحَدِهِمْ
مِنَ الْمَجْدِ أَنْ لَا يُخْرِجَ مَالَهُ مِنْ عُهْدَةِ خَاتَمِهِ إِلَّا يَوْمَ مَاتَمِهِ
فَهُوَ يَجْمَعُ لِحَادِثِ حَيَاتِهِ أَوْ وَارِثِ مَمَاتِهِ يَسْلُكُ فِي الْغَدْرِ
كُلَّ طَرِيقٍ وَيَبِيعُ بِالدِّرْهَمِ أَلْفَ صَدِيقٍ

فَصْلٌ

فِي الدُّعَاءِ

قَالَ أَعْرَابِيٌّ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَالْجِلْدُ بَارِدٌ وَالنَّفْسُ رَطْبَةٌ وَاللِّسَانُ

مُنْطَلِقٌ وَٱلصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ وَٱلْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ وَٱلتَّوْبَةُ
مَقْبُولَةٌ وَٱلتَّضَرُّعُ مَرْجُوٌّ قَبْلَ آنِ ٱلْفِرَاقِ وَحَشْكِ
ٱلنَّفَسِ وَعَلَزِ ٱلصَّدْرِ وَتَزَيُّلِ ٱلْأَوْصَالِ وَنُصُولِ
ٱلشَّعَرِ وَٱجْتِيَافِ ٱلتُّرَابِ وَقَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى ٱسْتِغْفَارِكَ
حِينَ يَفْنَى ٱلْأَجَلُ وَيَنْقَطِعُ ٱلْعَمَلُ أَعِنِّي عَلَى ٱلْمَوْتِ
وَكُرْبَتِهِ وَعَلَى ٱلْقَبْرِ وَغُمَّتِهِ وَعَلَى ٱلْمِيزَانِ وَخِفَّتِهِ وَعَلَى
ٱلصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ وَعَلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ إِغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً
لَا تُغَادِرُ ذَنْبًا وَلَا تَدَعُ كَرْبًا أَغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا ٱفْتَرَضْتَ
عَلَيَّ وَلَمْ أُؤَدِّهِ إِلَيْكَ أَغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ
ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ يَا رَبِّ تَظَاهَرَتْ عَلَيَّ مِنْكَ ٱلنِّعَمُ وَتَدَارَكَتْ
عِنْدَكَ مِنِّي ٱلذُّنُوبُ فَلَكَ ٱلْحَمْدُ عَلَى ٱلنِّعَمِ ٱلَّتِي تَظَاهَرَتْ
وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ ٱلَّتِي تَدَارَكَتْ وَأَمْسَيْتَ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا
وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَجَاحَ
ٱلْأَمَلِ عِنْدَ ٱنْقِطَاعِ ٱلْأَجَلِ ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا
وَلِيَ أَجَلِي ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْنِي مِنَ ٱلَّذِينَ إِذَا أَعْطَيْتَهُمْ شَكَرُوا
وَإِذَا ٱبْتَلَيْتَهُمْ صَبَرُوا وَإِذَا أَذْكَرْتَهُمْ ذَكَرُوا وَٱجْعَلْ لِي
قَلْبًا تَوَّابًا أَوَّابًا لَا فَاجِرًا وَلَا مُرْتَابًا ٱجْعَلْنِي مِنَ ٱلَّذِينَ إِذَا

Digitized by Google

أَحْسَنُوا ٱزْدَادُوا وَإِذَا أَسَاءُوا ٱسْتَغْفَرُوا ٱللَّهُمَّ لَا تُحَقِّقْ
عَلَيَّ ٱلْعَذَابَ وَلَا تَقْطَعْ بِيَ ٱلْأَسْبَابَ أَدْعُوكَ دُعَاءَ ضَعِيفٍ
عَمَلُهُ مُتَظَاهِرَةٍ ذُنُوبُهُ ضَنِينٍ عَلَى نَفْسِهِ دُعَاءَ مَنْ بَدَنُهُ
ضَعِيفٌ وَمُدَّتُهُ عَاجِزَةٌ قَدِ ٱنْتَهَتْ عِدَّتُهُ وَخَلُقَتْ جِدَّتُهُ
وَتَمَّ ظِمْؤُهُ ٱللَّهُمَّ لَا تُخَيِّبْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا
أَدْعُوكَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طُولِ ٱلنَّسِيئَةِ وَإِسَاغَةِ ٱلرِّيقِ
وَتَأَخُّرِ ٱلشَّدَائِدِ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ وَعَلَى
عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَا يُودَى قَتِيلُهُ وَلَا
يَخِيبُ سَائِلُهُ وَلَا يُرَدُّ رَسُولُهُ ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْفَقْرِ
إِلَّا إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلذُّلِّ إِلَّا لَكَ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا
أَوْ أَغْشَى فُجُورًا أَوْ أَكُونَ بِكَ مَغْرُورًا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ
شَمَاتَةِ ٱلْأَعْدَاءِ وَعُضَالِ ٱلدَّاءِ وَخَيْبَةِ ٱلرَّجَاءِ وَزَوَالِ
ٱلنِّعْمَةِ

وقال أعرابيٌّ غيرهُ

ٱللَّهُمَّ إِنَّ ٱسْتِغْفَارِي إِيَّاكَ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِي لَلُؤْمٌ
وَإِنَّ تَرْكِيَ ٱلِٱسْتِغْفَارَ مَعَ مَعْرِفَتِي بِسَعَةِ رَحْمَتِكَ لَعَجْزٌ إِلٰهِي
كَمْ تَحَبَّبْتَ إِلَيَّ بِنِعْمَتِكَ وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنِّي وَكَمْ أَتَبَغَّضُ

إِلَيْكَ بِذُنُوبِي وَأَنَا فَقِيرٌ إِلَيْكَ سُبْحَانَ مَنْ إِذَا تَوَعَّدَ عَفَا وَإِذَا وَعَدَ وَفَى

وقال آخر

أَللّٰهُمَّ إِنَّ ذُنُوبِي إِلَيْكَ لَا تَضُرُّكَ وَإِنَّ رَحْمَتَكَ إِيَّايَ لَا تَنْقُصُكَ فَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ وَهَبْ لِي مَا لَا يَنْقُصُكَ

فَصْلٌ

في القول عند الوقوف على القبور

قالت أعرابية

وَاللّٰهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ غَذَوْتُكَ رَضِيعًا وَفَقَدْتُكَ سَرِيعًا وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَالَيْنِ مُدَّةٌ أَلْتَذُّ بِعَيْشِكَ فِيهَا فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ النَّضَارَةِ وَالْغَضَارَةِ وَرَوْنَقِ الْحَيَاةِ وَالتَّنَسُّمِ مِنْ طِيبِ رَوَائِحِهَا تَحْتَ طِبَاقِ الثَّرَى جَسَدًا هَامِدًا وَرُفَاتًا سَحِيقًا وَصَعِيدًا جُرُزًا أَيْ بُنَيَّ لَقَدْ سَحَبَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ الْفَنَا وَأَسْكَنَتْكَ دَارَ الْبِلَى وَرَمَتْنِي بَعْدَكَ نَكْبَةُ الرَّدَى أَيْ بُنَيَّ لَقَدْ أَسْفَرَ لِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحُ دَاجٍ ظَلَامُهُ أَيْ

رَبِّ وَمِنْكَ ٱلْعَدْلُ وَمِنْ خُلُقِكَ ٱلْجُودُ وَهَبْتَهُ لِي قُرَّةَ عَيْنٍ
فَلَمْ تُمَتِّعْنِي بِهِ كَثِيرًا بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشِيكًا ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِٱلصَّبْرِ
وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ ٱلْأَجْرَ فَصَدَّقْتُ وَعْدَكَ وَرَضِيتُ قَضَاءَكَ
ٱللَّهُمَّ ٱرْحَمْ غُرْبَتَهُ وَآنِسْ وَحْشَتَهُ وَٱسْتُرْ عَوْرَتَهُ يَوْمَ
تَنْكَشِفُ ٱلْهَنَاتُ وَٱلسَّوْءَاتُ أَيْ بُنَيَّ إِنِّي قَدْ تَزَوَّدْتُ
لِسَفَرِي فَلَيْتَ شِعْرِي مَا زَادُكَ لِبُعْدِ طَرِيقِكَ وَيَوْمِ
مَعَادِكَ ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ لَهُ ٱلرِّضَى بِرِضَايَ عَنْهُ أَيْ
بُنَيَّ ٱسْتَوْدَعْتُكَ مَنِ ٱسْتَوْدَعَنِيكَ فِي أَحْشَائِي جَنِينًا
وَا ثُكْلَ ٱلْوَالِدَاتِ مَا أَمَضَّ حَرَارَةَ قُلُوبِهِنَّ وَأَقْلَقَ
مَضَاجِعَهُنَّ وَأَطْوَلَ لَيْلَهُنَّ وَأَقْصَرَ نَهَارَهُنَّ وَأَقَلَّ أُنْسَهُنَّ
وَأَشَدَّ وَحْشَتَهُنَّ وَأَبْعَدَهُنَّ مِنَ ٱلسُّرُورِ وَأَقْرَبَهُنَّ مِنَ
ٱلْأَحْزَانِ

وقالت امرأة الاحنف بن قيس

لِلّٰهِ دَرُّكَ مِنْ مُجَنٍّ فِي جُنَنٍ وَمُدْرَجٍ فِي كَفَنٍ نَسْأَلُ
ٱلَّذِي فَجَعَنَا بِمَوْتِكَ وَٱبْتَلَانَا بِفَقْدِكَ أَنْ يَجْعَلَ سَبِيلَ
ٱلْخَيْرِ سَبِيلَكَ وَدَلِيلَ ٱلرُّشْدِ دَلِيلَكَ وَأَنْ يُوَسِّعَ لَكَ فِي
قَبْرِكَ وَيَغْفِرَ لَكَ يَوْمَ حَشْرِكَ فَوَٱللّٰهِ لَقَدْ كُنْتَ فِي

ٱلْمَحَافِلِ شَرِيفًا وَعَلَى ٱلْأَرَامِلِ عَطُوفًا وَلَقَدْ كُنْتَ فِي ٱلْحَيِّ مُسَوَّدًا وَإِلَى ٱلْخَلِيفَةِ مُوفَدًا وَلَقَدْ كَانُوا لِقَوْلِكَ مُسْتَمِعِينَ وَلِرَأْيِكَ مُتَّبِعِينَ لَقَدْ عِشْتَ حَمِيدًا مَوْدُودًا وَمُتَّ سَعِيدًا مَفْقُودًا

وقال حيّان بن سلمى على قبر عامر بن الطفيل

إِنْعَمْ ظَلَامًا يَا أَبَا عَلِيٍّ فَقَدْ كُنْتَ تَشُنُّ ٱلْغَارَةَ وَتَحْمِي ٱلْجَارَةَ سَرِيعًا بِوَعْدِكَ بَطِيئًا بِوَعِيدِكَ وَكُنْتَ لَا تَضِلُّ حَتَّى يَضِلَّ ٱلنَّجْمُ وَلَا تَهَابُ حَتَّى يَهَابَ ٱللَّيْثُ وَلَا تَعْطَشُ حَتَّى يَعْطَشَ ٱلْبَعِيرُ وَكُنْتَ خَيْرَ ٱلنَّاسِ حِينَ لَا تَظُنُّ نَفْسٌ بِنَفْسٍ خَيْرًا

خاتمة

في الوصف

فقر جارية على ألسنة البلغاء في صفات شتى

في وصف البلدان

بلدة كأنها صورة جنة الخلد منقوشة في عرض الأرض * بلدة كأن محاسن الدنيا مجموعة فيها ومحصورة في نواحيها * بلدة ترابها عنبر وحصباؤها عقيق وهواؤها نسيم وماؤها رحيق * بلدة معشوقة السكنى رحبة المثوى كوكبها يقظان وجوها عريان يومها غداة وليلها سحر * بلدة واسعة الرقعة طيبة البقعة واسطة البلاد وسرتها ووجهها وغرتها

في وصف القلاع

قلعة حلقت بالجو تناجي السماء بأسرارها * قلعة تتوشح بالغيوم وتجلي النجوم * قلعة متناهية في الحصانة ممتنعة عن الطلب والطالب منصوبة على أضيق المسالك وأوعر المناصب لم تزدها الأيام إلا نبوّ

أَعْطَافٍ وَٱسْتِصْعَابَ جَوَانِبَ وَأَطْرَافٍ قَدْ مَلَّ ٱلْمُلُوكُ حِصَارَهَا فَفَارَقُوهَا عَنْ طِمَاحٍ مِنْهَا وَشِمَاسٍ وَسَئِمَتِ ٱلْجُيُوشُ ظِلَّهَا فَغَادَرَتْهَا بَعْدَ قُنُوطٍ وَيَاسٍ فَهِيَ حِمًى لَا يُرَاعُ وَمَعْقِلٌ لَا يُسْتَطَاعُ كَأَنَّ ٱلْأَيَّامَ صَالَحَتْهَا عَلَى ٱلْإِعْفَاءِ مِنَ ٱلْحَوَادِثِ وَٱللَّيَالِي عَاهَدَتْهَا عَلَى ٱلتَّسْلِيمِ مِنَ ٱلْقَوَارِعِ

في وصف الدور

دَارُ قَرَارٍ تُوسِعُ ٱلْعَيْنُ قُرَّةً وَٱلنَّفْسَ مَسَرَّةً كَأَنَّ بَانِيَهَا ٱسْتَسْلَفَ ٱلْجَنَّةَ فَعَجَّلَتْ لَهُ * دَارٌ تُخْجَلُ مِنْهَا ٱلدُّورُ وَتَتَقَاصَرُ عَنْهَا ٱلْقُصُورُ إِنْ مَاتَ صَاحِبُهَا مَغْفُورًا لَهُ فَقَدِ ٱنْتَقَلَ مِنْ جَنَّةٍ إِلَى جَنَّةٍ * دَارٌ قَدِ ٱقْتَرَنَ ٱلْيُمْنُ بِيُمْنَاهَا وَٱلْيُسْرُ بِيُسْرَاهَا ٱلْجُسُومُ مِنْهَا فِي حَضَرٍ وَٱلْعُيُونُ عَلَى سَفَرٍ * دَارٌ دَارَ بِٱلسَّعْدِ نَجْمُهَا وَفَازَ بِٱلْحُسْنِ سَهْمُهَا يَخْدُمُهَا ٱلدَّهْرُ وَيَأْوِيهَا ٱلْبَدْرُ وَيَكْنُفُهَا ٱلنَّصْرُ هِيَ مَرْتَعُ ٱلنَّوَاظِرِ وَمُتَنَفَّسُ ٱلْخَوَاطِرِ أَخَذَتْ أَدَوَاتِ ٱلْجِنَانِ وَضَحِكَتْ مِنَ ٱلْعَبْقَرِيِّ ٱلْحِسَانِ

في وصف الديار الخالية

دَارٌ لَبِسَتِ ٱلْبِلَى وَتَعَطَّلَتْ مِنَ ٱلْحُلَى صَارَتْ مِنْ

أَهْلُهَا خَالِيَةً بَعْدَمَا كَانَتْ بِهِمْ حَالِيَةً قَدْ أَنْفَدَ الْبَيْنُ سُكَّانَهَا وَأَقْعَدَ حِيطَانَهَا * دَارٌ شَاهِدُ الْيَأْسِ مِنْهَا يَنْطِقُ وَحَبْلُ الرَّجَاءِ فِيهَا يَقْصُرُ كَأَنَّ عُمْرَانَهَا يُطْوَى وَخَرَابَهَا يُنْشَرُ أَرْكَانُهَا قِيَامٌ وَقُعُودٌ وَحِيطَانُهَا رُكَّعٌ وَسُجُودٌ

بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ فَتَهَلَّلَتْ
دُمُوعِي فَأَيُّ الْجَازِعَيْنِ أَلُومُ
أَمُسْتَعْبِرًا يَبْكِي عَلَى اللَّهْوِ وَالْبِلَى
أَمِ الْآخَرَ يَبْكِي شَجْوَهُ فَيَهِيمُ

فِي وَصْفِ اَيَّامِ الرَّبِيعِ

يَوْمٌ جَلَا بِيبُ غُيُومِهِ رِوَاقٌ وَأَرْدِيَةُ نَسِيمِهِ رِقَاقٌ * يَوْمٌ سَمَاؤُهُ فَاخِتِيَّةٌ وَأَرْضُهُ طَاوُوسِيَّةٌ * يَوْمٌ مُمَسَّكُ السَّمَاءِ مُعَصْفَرُ الْهَوَاءِ مُعَنْبَرُ الرَّوْضِ مُصَنْدَلُ الْمَاءِ * يَوْمٌ تَبَسَّمَ عَنْهُ الرَّبِيعُ وَتَبَرَّجَ عَنْهُ الرَّوْضُ الْمَرِيعُ * يَوْمٌ كَأَنَّ سَمَاءَهُ مُحِدٌّ تَتَبَاكَى وَأَرْضَهُ عَرُوسٌ تَتَجَلَّى * يَوْمٌ دَجْنُهُ عَاكِفٌ وَقَطْرُهُ وَاكِفٌ

فِي وَصْفِ الرِّيَاضِ

رَوْضَةٌ رَقَّتْ حَوَاشِيهَا وَتَأَنَّقَ وَاشِيهَا * رَوْضَةٌ كَالْعُقُودِ

ٱلْمُنَظَّمَةِ عَلَى ٱلْبُرُودِ ٱلْمُنَمْنَمَةِ * رَوْضَةٌ قَدْ رَاضَتْهَا كَفُّ
ٱلْمَطَرِ وَدَبَّجَتْهَا أَيْدِي ٱلنَّدَى * رِيَاضٌ كَٱلْعَرَائِسِ فِي
حَلْيِهَا وَزَخَارِفِهَا وَٱلْقِيَانِ فِي وَشْيِهَا وَمَطَارِفِهَا بَاسِطَةٌ
زَرَابِيَّهَا وَأَنْمَاطَهَا نَاشِرَةٌ بُرُودَهَا وَرِيَاطَهَا زَاهِيَةٌ
بِحُمْرَائِهَا وَصُفْرَائِهَا تَائِهَةٌ بِعِيدَانِهَا وَغُدْرَانِهَا كَأَنَّمَا
ٱحْتَفَلَتْ لِوَفْدٍ أَوْ هِيَ مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَعْدٍ * رَوْضَةٌ قَدْ
تَصَوَّعَتْ بِٱلْأَرَجِ ٱلطَّيِّبِ أَرْجَاؤُهَا وَتَبَرَّجَتْ فِي ظُلَلِ
ٱلْغَمَامِ صَحْرَاؤُهَا وَتَنَافَحَتْ بِنَوَافِحِ ٱلْمِسْكِ أَنْوَارُهَا
وَتَعَارَضَتْ بِغَرَائِبِ ٱلنُّطْقِ أَطْيَارُهَا * بُسْتَانٌ أَنْهَارُهُ
مَحْفُوفَةٌ بِٱلْأَزْهَارِ وَأَشْجَارُهُ مُوقَرَةٌ بِٱلثِّمَارِ * أَشْجَارٌ كَأَنَّ
ٱلْحُورَ أَعَارَتْهَا قُدُودَهَا وَكَسَتْهَا بُرُودَهَا وَحَلَّتْهَا عُقُودَهَا *
شَقَائِقُ كَتِيجَانِ ٱلْعَقِيقِ عَلَى رُؤُوسِ ٱلزُّنُوجِ كَأَنَّهَا أَصْدَاغُ
ٱلْمِسْكِ عَلَى ٱلْوَجَنَاتِ ٱلْمُوَرَّدَةِ * كَأَنَّ ٱلشَّقِيقَ جَامٌ مِنْ
عَقِيقٍ أَحْمَرَ مُلِئَتْ قَرَارَتُهُ بِمِسْكٍ أَذْفَرَ * ٱلْأَرْضُ
زُمُرُّدَةٌ وَٱلْأَشْجَارُ وَشْيٌ وَٱلْمَاءُ سُيُوفٌ وَٱلطُّيُورُ قِيَانٌ *
قَدْ غَرَّدَتْ خُطَبَاءُ ٱلْأَطْيَارِ عَلَى مَنَابِرِ ٱلْأَنْوَارِ وَٱلْأَزْهَارِ

في وصف طول الليل والسهر وما يعرض فيهِ من الهموم والفكر

لَيْلَةٌ قُصَّ جَنَاحُهَا وَضَلَّ صَبَاحُهَا * لَيَالٍ لَيْسَتْ لَهَا أَسْحَارٌ وَظُلُمَاتٌ لَا يَتَخَلَّلُهَا أَنْوَارٌ * لَيْلٌ ثَابِتُ ٱلْأَطْنَابِ بَطِيءُ ٱلْغَوَارِبِ طَامِحُ ٱلْأَمْوَاجِ وَافِي ٱلذَّوَائِبِ * بَاتَ بِلَيْلَةٍ سَاوَرَتْهُ فِيهَا ٱلْهُمُومُ وَسَامَرَتْهُ ٱلنُّجُومُ وَٱكْتَحَلَ ٱلسُّهَادَ وَٱفْتَرَشَ ٱلْقَتَادَ * إِكْتَحَلَ بِمَاءِ ٱلسَّهَرِ وَتَمَلْمَلَ عَلَى فِرَاشِ ٱلْفِكَرِ * قَدْ أَقَضَّ مِهَادُهُ وَقَلِقَ وِسَادُهُ * هُمُومٌ تُفَرِّقُ بَيْنَ ٱلْجَنْبِ وَٱلْمِهَادِ وَتَجْمَعُ بَيْنَ ٱلْعَيْنِ وَٱلسُّهَادِ

في وصف انتصاف الليل وتناهيهِ وانتشار النور وافول النجوم

قَدِ ٱكْتَهَلَ ٱلظَّلَامُ * قَدْ نَصَفَنَا عُمْرَ ٱللَّيْلِ وَٱسْتَغْرَقْنَا شَبَابَهُ * قَدْ شَابَ رَأْسُ ٱللَّيْلِ * كَادَ يَنِمُّ ٱلنَّسِيمُ بِٱلسَّحَرِ * قَدِ ٱنْكَشَفَ غِطَاءُ ٱللَّيْلِ وَسِتْرُ ٱلدُّجَى * هَرِمَ ٱللَّيْلُ وَشَمِطَتْ ذَوَائِبُهُ * قُوِّضَتْ خِيَامُ ٱللَّيْلِ وَخَلَعَ ٱلْأُفُقُ ثَوْبَ ٱلدُّجَى * تَبَسَّمَ ٱلْفَجْرُ ضَاحِكًا مِنْ شَرْقِهِ وَنَصَبَ أَعْلَامَهُ عَلَى مَنَازِلِ أُفْقِهِ * إِقْتَنَصَ بَازِي ٱلضَّوْءِ غُرَابَ ٱلظَّلَامِ وَفَضَّ كَافُورُ ٱلنُّورِ مِنَ ٱلْغَسَقِ مِسْكَ ٱلْخِتَامِ * طُرِّزَ قَمِيصُ ٱللَّيْلِ بِغُرَّةِ ٱلصُّبْحِ * بَاحَ ٱلصُّبْحُ بِسِرِّهِ * خَلَعَ ٱللَّيْلُ ثِيَابَهُ وَحَدَرَ ٱلصُّبْحُ

Digitized by Google

نِقَابَهُ * بَثَّ ٱلصُّبْحُ طَلَائِعَهُ * تَبَرْقَعَ ٱللَّيْلُ بِغُرَّةِ ٱلصُّبْحِ *
أَطَارَ مُنَادِي ٱلصُّبْحِ غُرَابَ ٱللَّيْلِ * عُزِلَتْ نَوَافِجُ ٱللَّيْلِ
بِجَامَاتِ ٱلْكَافُورِ وَٱنْهَزَمَ جَيْشُ ٱلظَّلَامِ عَنْ عَسْكَرِ ٱلنُّورِ *
مَالَتِ ٱلْجَوْزَآءُ لِلْغُرُوبِ وَوَلَّتْ مَوَاكِبُ ٱلْكَوَاكِبِ وَتَنَاثَرَتْ
عُقُودُ ٱلنُّجُومِ * وَهَوَى نِطَاقُ ٱلْجَوْزَآءِ وَٱنْطَفَأَ قِنْدِيلُ ٱلثُّرَيَّا

في وصف طلوع الشمس وغروبها ومتوع النهار وانتصافه
وابتدآئه وانتهآئه

بَدَا حَاجِبُ ٱلشَّمْسِ * أَلْقَتِ ٱلْغَزَالَةُ لُعَابَهَا وَضَرَبَتِ
ٱلضُّحَى أَطْنَابَهَا * إِنْتَشَرَ جَنَاحُ ٱلضَّوِّ فِي أُفُقِ ٱلْجَوِّ *
إِسْتَوَى شَبَابُ ٱلنَّهَارِ * عَلَا رَوْنَقُ ٱلضُّحَى * بَلَغَتِ ٱلشَّمْسُ
كَبِدَ ٱلسَّمَآءِ * قَامَ قَائِمُ ٱلْهَاجِرَةِ وَرَمَتِ ٱلشَّمْسُ بِجَمَرَاتِ
ٱلظُّهْرِ * إِصْفَرَّتْ غِلَالَةُ ٱلشَّمْسِ وَصَارَتْ كَأَنَّهَا ٱلدِّينَارُ
يَلْمَعُ فِي قَرَارِ ٱلْمَآءِ * نَفَضَتْ تِبْرًا عَلَى ٱلْأَصِيلِ وَشَدَّتْ
رَحْلَهَا لِلرَّحِيلِ * جَنَحَتِ ٱلشَّمْسُ إِلَى مَغَارِبِهَا * دَلَكَتْ
دُلُوحُ وَٱغْبَرَّ لَوْحُ ٱللُّوحِ * تَصَوَّبَتِ ٱلشَّمْسُ لِلْمَغِيبِ *
تَضَيَّفَتْ لِلْغُرُوبِ فَآذَنَ جَنْبُهَا بِٱلْوُجُوبِ * شَابَ ٱلنَّهَارُ
وَأَقْبَلَ شَبَابُ ٱللَّيْلِ * إِسْتَتَرَ وَجْهُ ٱلشَّمْسِ بِٱلنِّقَابِ

Digitized by Google

وَتَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ * كَانَ هٰذَا ٱلْأَمْرُ مِنْ مَطْلَعِ ٱلْفَلَقِ
إِلَى مَجْمَعِ ٱلْغَسَقِ

في وصف الرعد والبرق

قَامَ خَطِيبُ ٱلرَّعْدِ * نَبَضَ عِرْقُ ٱلْبَرْقِ * سَحَابَةٌ ٱرْتَجَزَتْ
رُعُودُهَا وَذُهِّبَتْ بِبُرُوقِهَا بُرُودُهَا * نَطَقَ لِسَانُ ٱلرَّعْدِ
وَخَفَقَ قَلْبُ ٱلْبَرْقِ فَٱلرَّعْدُ ذُو صَخَبٍ وَٱلْبَرْقُ ذُو لَهَبٍ *
إِبْتَسَمَ ٱلْبَرْقُ عَنْ قَهْقَهَةِ ٱلرَّعْدِ * زَأَرَتْ أُسُودُ ٱلرَّعْدِ *
وَلَمَعَتْ سُيُوفُ ٱلْبَرْقِ * رَعَدَتِ ٱلْغَمَائِمُ وَبَرَقَتْ وَٱنْحَلَّتْ
عُرَى ٱلسَّمَآءِ فَطَبَّقَتْ * هَدَرَتْ رَوَاعِدُهَا وَقَرُبَتْ أَبَاعِدُهَا
وَصَدَقَتْ مَوَاعِدُهَا

في وصف مقدمات المطر

لَبِسَتِ ٱلسَّمَآءُ سِرْبَالَهَا وَسَحَبَتِ ٱلسَّحَائِبُ أَذْيَالَهَا *
قَدِ ٱحْتَجَبَتِ ٱلسَّمَآءُ فِي سُرَادِقِ ٱلْغَيْمِ * لَبِسَ ٱلْجَوُّ مُطْرَفَهُ
ٱلْأَدْكَنَ * بَاحَتِ ٱلرِّيحُ بِأَسْرَارِ ٱلنَّدَى * ضُرِبَتْ خَيْمَةُ
ٱلْغَمَامِ * إِبْتَلَّ جَنَاحُ ٱلْهَوَآءِ وَٱغْرَوْرَقَتْ مُقْلَةُ ٱلسَّمَآءِ *
هَبَّتْ شَمَائِلُ ٱلْجَنَائِبِ لِتَأْلِيفِ شَمْلِ ٱلسَّحَائِبِ * تَأَلَّفَتْ
أَشْتَاتُ ٱلْغُيُومِ وَأُسْبِلَتِ ٱلسُّتُورُ عَلَى ٱلنُّجُومِ

Digitized by Google

في وصف الثلج والبرد وايام الشتاء

مَدَّ الشِّتَاءُ رِوَاقَهُ وَأَلْقَى أَرْوَاقَهُ وَحَلَّ نِطَاقَهُ * أَنَاخَ بِنَوَازِلِهِ وَأَرْسَى بِكَلَاكِلِهِ وَكَلَحَ بِوَجْهِهِ وَكَشَرَ عَنْ أَنْيَابِهِ * قَدْ عَادَتِ الْجِبَالُ شِيبًا وَلَبِسَتْ مِنَ الثُّلُوجِ مُلَاءً قَشِيبًا * شَابَتْ مَفَارِقُ الْبُرُوجِ بِتَرَاكُمِ الثُّلُوجِ * أَلَمَّ الشَّيْبُ بِهَا وَابْيَضَّتْ لِمَمُهَا * بَرْدٌ يَقْضَقِضُ الْأَعْضَاءَ وَيَنْقُضُ الْأَحْشَاءَ * بَرْدٌ يُجَمِّدُ الرِّيقَ فِي الْأَشْدَاقِ وَالدَّمْعَ فِي الْآمَاقِ * يَوْمٌ كَأَنَّ الْأَرْضَ شَابَتْ لِهَوْلِهِ * يَوْمٌ فِضِّيُّ الْجِلْبَابِ مِسْكِيُّ النِّقَابِ عَبُوسٌ قَمْطَرِيرٌ كَشَرَ عَنْ نَابِ الزَّمْهَرِيرِ وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالْقَوَارِيرِ * يَوْمٌ أَرْضُهُ كَالْقَوَارِيرِ اللَّامِعَةِ وَهَوَاؤُهُ كَالزَّنَابِيرِ اللَّاسِعَةِ

في وصف المطر والماء والسحاب والغدران

مَاءٌ إِذَا مَسَّتْهُ أَيْدِي النَّسِيمِ حَكَى سَلَاسِلَ الْفِضَّةِ * غَدِيرٌ تَرَقْرَقَتْ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَائِبِ وَتَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيَاحِ الْغَرَائِبِ * إِنْحَلَّ عَقْدُ السَّمَاءِ وَانْهَلَّ دَمْعُ الْأَنْوَاءِ * إِنْحَلَّ سِلْكُ الْقَطْرِ عَنْ دُرِّ الْبَحْرِ * سَحَابَةٌ تَحْدُو مِنَ الْغُيُومِ جِمَالًا وَتَمُدُّ مِنَ الْأَمْطَارِ حِبَالًا * سَحَابَةٌ تُرْسِلُ الْأَمْطَارَ

أَمْوَاجًا وَٱلْأَمْوَاجَ أَفْوَاجًا * سَحَابَةٌ يَضْحَكُ مِنْ بُكَائِهَا ٱلرَّوْضُ وَتَخْضَرُّ مِنْ سَوَادِهَا ٱلْأَرْضُ * سَحَابَةٌ لَا تَجِفُّ جُفُونُهَا وَلَا يَخِفُّ أَنِينُهَا * دِيمَةٌ رَوَّتْ أَدِيمَ ٱلثَّرَى وَنَبَّهَتْ عُيُونَ ٱلنَّوْرِ مِنَ ٱلْكَرَى * سَحَابَةٌ رَكِبَتْ أَعْنَاقَ ٱلرِّيَاحِ وَسَحَّتْ كَأَفْوَاهِ ٱلْجِرَاحِ * مَطَرٌ كَأَفْوَاهِ ٱلْقِرَبِ

في وصف القيظ وشدة الحرّ

حَرٌّ يُشْبِهُ قَلْبَ ٱلصَّبِّ وَيُذِيبُ دِمَاغَ ٱلضَّبِّ * قَوِيَ سُلْطَانُ ٱلْحَرِّ وَبُسِطَ بِسَاطُ ٱلْحَمْرِ * أَوْقَدَتِ ٱلشَّمْسُ نَارَهَا وَأَذْكَتْ أُوَارَهَا * حَرٌّ يَلْفَحُ حُرَّ ٱلْوَجْهِ * هَاجِرَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ قُلُوبِ ٱلْعُشَّاقِ إِذَا ٱشْتَعَلَتْ فِيهَا نَارُ ٱلْفِرَاقِ * هَاجِرَةٌ تُحْكِي نَارَ ٱلْهَجْرِ وَتُذِيبُ قَلْبَ ٱلصَّخْرِ * حَرٌّ يَهْرُبُ لَهُ ٱلْحِرْبَاءُ مِنَ ٱلشَّمْسِ * قَدْ صَهَرَتِ ٱلْهَاجِرَةُ ٱلْأَبْدَانَ وَرَكِبَتِ ٱلْجَنَادِبُ ٱلْعِيدَانَ * حَرٌّ يُنْضِجُ ٱلْجُلُودَ وَيُذِيبُ ٱلْجُلْمُودَ * أَيَّامٌ كَأَيَّامِ ٱلْفُرْقَةِ ٱمْتِدَادًا وَحَرٌّ كَحَرِّ ٱلْوَجْدِ ٱشْتِدَادًا * هَاجِرَةٌ كَٱلسَّعِيرِ ٱلْهَاجِمِ يَجُرُّ أَذْيَالَ ٱلسَّمَائِمِ

في وصف الشيب

ذَوَى غُصْنُ شَبَابِهِ * بَدَتْ فِي رَأْسِهِ طَلَائِعُ ٱلْمَشِيبِ *

Digitized by Google

أَقْمَرَ لَيْلُ شَبَابِهِ * ظَهَرَتْ غُرَّةُ ٱلْقَمَرِ وَأَوْمَضَ ٱلْبَرْقُ فِي
لَيْلِ ٱلشَّعَرِ * رُمِيَ فَاحِمُ ٱلْفَوْدِ بِضِدِّهِ وَٱشْتَعَلَ ٱلْمُبْيَضُّ
فِي مُسْوَدِّهِ * لَمَعَ ضَوْءُ فَرْعِهِ وَتَفَرَّقَ شَمْلُ جَمْعِهِ * عَلَاهُ
غُبَارُ وَقَائِعِ ٱلدَّهْرِ * بَيْنَا هُوَ رَاقِدٌ فِي لَيْلِ ٱلشَّبَابِ أَيْقَظَهُ
صُبْحُ ٱلْمَشِيبِ * طَوَى مَرَاحِلَ ٱلشَّبَابِ وَأَنْفَقَ عُمْرَهُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ * جَاوَزَ مِنَ ٱلشَّبَابِ مَرَاحِلَ وَوَرَدَ مِنَ ٱلشَّيْبِ
مَنَاهِلَ * فَلَّ ٱلدَّهْرُ شَبَا شَبَابِهِ وَمَحَا مَحَاسِنَ رُؤَائِهِ * طَارَ
غُرَابُ شَبَابِهِ * إِنْتَهَى شَبَابُهُ وَشَابَ أَتْرَابُهُ * إِسْتَبْدَلَ
بِٱلْأَدْهَمِ ٱلْأَبْلَقَ وَبِٱلْغُرَابِ ٱلْعَقْعَقَ * إِسْتَعَاضَ مِنَ
ٱلْغُرَابِ بِقَادِمَةِ ٱلنَّسْرِ * أَسْفَرَ صُبْحُ ٱلْمَشِيبِ * عَلَتْهُ أُبَّهَةُ
ٱلْكِبَرِ * نَفَضَ جُبَّةَ ٱلصِّبَى وَتَوَلَّى دَاعِيَةَ ٱلْحِجَى * ٱلشَّيْبُ
زُبْدَةُ مَخْضَتِهَا ٱلْأَيَّامُ وَفِضَّةٌ مَحَصَتْهَا ٱلتَّجَارِبُ * سَرَى فِي
طَرِيقِ ٱلرُّشْدِ بِمِصْبَاحِ ٱلشَّيْبِ * ٱلشَّيْبُ خِطَامُ ٱلْمُنِيَّةِ *
ٱلشَّيْبُ نَذِيرُ ٱلْآخِرَةِ

فِي وَصْفِ آلَاتِ ٱلْكِتَابَةِ

ٱلدَّوَاةُ مِنْ أَنْفَعِ ٱلْأَدَوَاتِ وَهِيَ لِلْكِتَابَةِ عَتَادٌ وَلِلْخَاطِرِ
زِنَادٌ * غَدِيرٌ لَا يَرِدُهُ غَيْرُ ٱلْأَفْهَامِ وَلَا يُمْتَحُ بِغَيْرِ أَرْشِيَةِ

Digitized by Google

ٱلْأَقْلَامِ * غَدِيرٌ تَفِيضُ يَنَابِيعُ ٱلْحِكْمَةِ مِنْ أَقْطَارِهِ وَتَنْشَأُ سُحُبُ ٱلْبَلَاغَةِ مِنْ فَرَارِهِ * مِدَادٌ كَسَوَادِ ٱلْعَيْنِ وَسُوَيْدَاءِ ٱلْقَلْبِ وَجَنَاحِ ٱلْغُرَابِ وَلُعَابِ ٱللَّيْلِ وَأَلْوَانِ دُهْمِ ٱلْخَيْلِ * مِدَادٌ نَاسَبَ خَافِيَةَ ٱلْغُرَابِ وَٱسْتَعَارَ لَوْنَهُ مِنْ شَرْخِ ٱلشَّبَابِ * أَقْلَامٌ جَمَّةُ ٱلْمَحَاسِنِ بَعِيدَةٌ مِنَ ٱلْمَطَاعِنِ * أَنَابِيبُ نَاسَبَتْ رِمَاحَ ٱلْخَطِّ فِي أَجْنَاسِهَا وَشَاكَلَتِ ٱلذَّهَبَ فِي أَلْوَانِهَا وَضَاهَتِ ٱلْحَدِيدَ فِي لَمَعَانِهَا * أَقْلَامٌ كَأَنَّهَا ٱلْأَمْيَالُ ٱسْتِوَاءً وَٱلْآجَالُ مَضَاءً بَطِيئَةُ ٱلْحَفِّ قَوِيَّةُ ٱلْقُوَى * قَلَمٌ لَا يَنْبُو إِذَا نَبَتِ ٱلصَّفَاحُ وَلَا يُحْجِمُ إِذَا أَحْجَمَتِ ٱلرِّمَاحُ * قَلَمٌ يَسْكُتُ وَاقِفًا وَيَنْطِقُ سَاكِنًا

فِي وَصْفِ ٱلْخُطَبَاءِ

جَلَوْا بِكَلَامِهِمِ ٱلْأَبْصَارَ ٱلْعَلِيلَةَ وَشَحَذُوا بِمَوَاعِظِهِمِ ٱلْأَذْهَانَ ٱلْكَلِيلَةَ وَنَبَّهُوا ٱلْقُلُوبَ مِنْ رَقْدَتِهَا وَنَقَلُوهَا عَنْ سُوءِ عَادَتِهَا فَشَفَوْا مِنْ دَاءِ ٱلْقَسْوَةِ وَغَبَاوَةِ ٱلْغَفْلَةِ وَدَاوَوْا مِنَ ٱلْعِيِّ ٱلْفَاضِحِ وَنَهَجُوا لَنَا ٱلطَّرِيقَ ٱلْوَاضِحَ * خَطِيبٌ لَا تَنَالُهُ حُبْسَةٌ وَلَا تَرْتَهِنُهُ لُكْنَةٌ وَلَا تَتَمَشَّى فِي خِطَابِهِ رُتَّةٌ وَلَا تَخُونُ بَيَانَهُ عُجْمَةٌ وَلَا تَعْتَرِضُ لِسَانَهُ عُقْدَةٌ * خَطِيبٌ

جَوَاهِرُ نَفَثَاتِهِ صِحَاحٌ وَعَرَائِسُ أَفْكَارِهِ صِبَاحٌ * خَطِيبٌ تَزَيَّنَتْ بِدُرَرِ أَلْفَاظِهِ عُقُودُ الْمُلَحِ * لَا عَيْبَ فِيهِ إِلَّا أَنَّ لَفْظَهُ عَطَّلَ الْيَاقُوتَ وَالدُّرَّ * خَطِيبٌ مِصْقَعٌ يَنْثُرُ لِسَانُهُ اللُّؤْلُؤَ الْمَكْنُونَ * هُوَ الْخَطِيبُ الْمِصْقَعُ الَّذِي أَشْخَصَ بِآيَاتِ خُطَبِهِ الزَّاجِرَةِ عُيُونَ الْقَوْمِ وَأَبْكَاهَا * هُوَ الْخَطِيبُ الْمِصْقَعُ الَّذِي تَتَلَاعَبُ بِالْعُقُولِ مَعَانِيهِ وَيُصَاغُ الدُّرُّ مِنْ لَفْظِ فِيهِ * هُوَ الْخَطِيبُ الَّذِي تَهْتَزُّ لَهُ الْمَنَابِرُ وَتَنْقَادُ إِلَيْهِ كَلِمَاتُ السِّحْرِ مُتَسَابِقَةً آخِذًا بَعْضُهَا بِرِقَابِ بَعْضٍ

فِي وَصْفِ الْعُلَمَاءِ

بَدْرُ الْعُلُومِ اللَّائِحُ وَقَطْرُهَا الْغَادِي وَالرَّائِحُ وَتَبِيرُهَا الَّذِي لَا يُزْحَمُ وَمُنِيرُهَا الَّذِي يَتَجَلَّى بِهِ لَيْلُهَا الْأَسْحَمُ * أَمَّا فُنُونُ الْأَدَبِ فَهُوَ ابْنُ بَجْدَتِهَا وَأَخُو جُمْلَتِهَا وَأَبُو عُذْرَتِهَا وَمَالِكُ أَزِمَّتِهَا * تُسْتَخْرَجُ الْجَوَاهِرُ مِنْ بُحُورِهِ وَتُحَلَّى لَبَّاتُ الطُّرُوسِ بِقَلَائِدِ سُطُورِهِ * تَآلِيفُهُ غُرَرٌ مُنِيرَاتٌ أَضَاءَتْ فِي وُجُوهِ دُهْمِ الْمُشْكِلَاتِ * عَالِمٌ أَقْلَامُهُ نَفَثَاتُ السِّحْرِ * تَآلِيفُهُ عَقَائِلُ أَصْبَحَ الدَّهْرُ مِنْ خُطَّابِهَا * لَهُ بَدَائِعُ مَائِسَاتُ الْأَعْطَافِ * بَحْرُ الْبَيَانِ الزَّاخِرُ * شَيْخُ الْمَعَارِفِ وَإِمَامُهَا

Digitized by Google

وَمَنْ فِي يَدَيْهِ زِمَامُهَا لَدَيْهِ تُنْشَدُ ضَوَالُّ ٱلْأَعْرَابِ وَتُوجَدُ شَوَارِدُ ٱللُّغَةِ وَٱلْإِعْرَابِ * مَالِكُ أَعِنَّةِ ٱلْعُلُومِ وَنَاهِجُ طَرِيقِهَا وَٱلْعَارِفُ بِتَرْصِيعِهَا وَتَنْمِيقِهَا ٱلنَّاظِمُ لِعُقُودِهَا ٱلرَّاقِمُ لِبُرُودِهَا ٱلْمُجِيدُ لِإِرْهَافِهَا ٱلْعَالِمُ بِجِلَائِهَا وَزِفَافِهَا * مَلَكَ رِقَّ ٱلْكِتَابَةِ وَٱلْإِنْشَاءِ وَتَصَرَّفَ فِي فُنُونِ ٱلْإِبْدَاعِ كَيْفَ شَاءَ * عَالِمٌ يَتَفَجَّرُ ٱلْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ وَتَنْطِقُ ٱلْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ * صَاحِبُ ٱلْمُصَنَّفَاتِ ٱلَّتِي دَلَّتْ عَلَى وَفْرَةِ ٱطِّلَاعِهِ وَغَزَارَةِ مَادَّتِهِ وَحُسْنِ بَيَانِهِ * لَمْ يَتْرُكْ مَعْنًى مُغْلَقًا إِلَّا فَتَحَ صَيَاصِيَهُ وَلَا مُشْكِلًا إِلَّا أَوْضَحَ مَبَانِيَهُ

في وصف البلغاء

فُلَانٌ يَحُوكُ ٱلْكَلَامَ عَلَى حَسَبِ ٱلْأَمَانِي وَيُخِيطُ ٱلْأَلْفَاظَ عَلَى قُدُودِ ٱلْمَعَانِي * يَجْنِي مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ أَنْوَارَهَا وَمِنَ ٱلْمَعَانِي ثِمَارَهَا * يَعْبَثُ بِٱلْكَلَامِ وَيَقُودُهُ بِأَلْيَنِ زِمَامٍ حَتَّى كَأَنَّ ٱلْأَلْفَاظَ تَتَحَاسَدُ فِي ٱلتَّسَابُقِ إِلَى خَوَاطِرِهِ وَٱلْمَعَانِيَ تَتَغَايَرُ فِي ٱلِٱنْثِيَالِ عَلَى أَنَامِلِهِ * بَلِيغٌ نَسَقَ مِنْ جَوَاهِرِ كَلَامِهِ أَكَالِيلَ دُرٍّ مَا لِمَنْظُومِهَا سِلْكٌ * بَلِيغٌ تَفُكُّ سِهَامُ أَفْكَارِهِ ٱلزَّرَدَ * نَاظِمُ سِلْكِ ٱلْبَلَاغَةِ وَقَائِدُ زِمَامِ

ٱلْبَرَاعَةِ * إِذَا أَوْجَزَ أَعْجَزَ وَإِذَا شَاءَ أَطَالَ وَأَطْلَقَ مِنَ ٱلْبَلَاغَةِ ٱلْعِقَالَ * إِذَا أَذْكَى سِرَاجَ ٱلْفِكْرِ أَضَاءَ ظَلَامَ ٱلْأَمْرِ * يَسْتَنْبِطُ حَقَائِقَ ٱلْقُلُوبِ وَيَسْتَخْرِجُ وَدَائِعَ ٱلْغُيُوبِ

في وصف الشعراء والمنشئين ومحاسن النظم والنثر

مَقْذِفُ حَصَى ٱلْقَرِيضِ وَجِمَارِهِ وَمَطْلَعُ شُمُوسِهِ وَأَقْمَارِهِ * نَثْرُهُ سِحْرُ ٱلْبَيَانِ وَنَظْمُهُ قِطَعُ ٱلْجُمَانِ * طَلَعَتْ شَمْسُ ٱلْأَدَبِ مِنْ أُفُقِ أَشْعَارِهِ وَتَفَجَّرَتْ يَنَابِيعُهَا مِنْ خِلَالِ آثَارِهِ * شَاعِرٌ تَوَقَّدَتْ جَمَرَاتُ أَفْكَارِهِ * شَاعِرٌ عَرَائِسُ أَفْكَارِهِ صِبَاحٌ * إِنْ نَثَرَ فَٱلنُّجُومُ فِي أَفْلَاكِهَا أَوْ نَظَمَ فَٱلْجَوَاهِرُ فِي أَسْلَاكِهَا * أَخَذَتْ بِمَجَامِعِ ٱلْقُلُوبِ كَلِمُهُ * إِذَا كَتَبَ ٱنْتَسَبَ إِلَيْهِ ٱلسِّحْرُ أَصَحُّ ٱنْتِسَابٍ وَنَسَقَ ٱلْمُعْجِزَاتِ نَسْقَ حِسَابٍ وَأَرَى ٱلْبَدَائِعَ بِيضَ ٱلْوُجُوهِ كَرِيمَةَ ٱلْأَحْسَابِ * إِنْ نَثَرَ رَأَيْتَ بَحْرًا يَزْخَرُ * إِذَا نَظَمَ أَزْرَى بِنَظْمِ ٱلْعُقُودِ وَأَتَى بِأَحْسَنَ مِنْ رَقْمِ ٱلْبُرُودِ * إِذَا كَتَبَ مَلَأَ ٱلْمَهَارِقَ بَيَانًا وَأَرَى ٱلسِّحْرَ عِيَانًا * هُوَ ٱلْكَاتِبُ ٱلَّذِي تَحْسُدُ أَرْقَامُ ٱلطِّرَازِ سُطُورَ قَلَمِهِ وَيَوَدُّ ٱلتِّبْرُ لَوْ كَانَ مِدَادَ كَلِمِهِ * هُوَ ٱلْكَاتِبُ ٱلَّذِي تَنْقَادُ إِلَى يَرَاعِهِ دَقَائِقُ ٱلْمَعَانِي صَاغِرَةً

Digitized by Google

بِزِمَامٍ * نَثْرٌ كَنَثْرِ ٱلْوَرْدِ وَنَظْمٌ كَنَظْمِ ٱلْعِقْدِ * نَثْرٌ كَٱلسِّحْرِ
أَوْ أَدَقُّ وَنَظْمٌ كَٱلْمَآءِ أَوْ أَرَقُّ * نَثْرٌ كَمَا تَفَتَّحَ ٱلزَّهَرُ
وَنَظْمٌ كَمَا تَنَفَّسَ ٱلسَّحَرُ * رِسَالَةٌ تَضْحَكُ عَنْ غُرَرٍ وَزَهَرٍ
وَقَصِيدَةٌ تَنْطَوِي عَلَى حِبَرٍ وَدُرَرٍ * كَلَامٌ كَمَا هَبَّ نَسِيمُ
ٱلسَّحَرِ عَلَى صَفَحَاتِ ٱلزَّهَرِ * كِتَابٌ مَطْلَعُهُ مَطْلَعُ أَهِلَّةِ
ٱلْأَعْيَادِ وَمَوْقِعُهُ مَوْقِعُ نَيْلِ ٱلْمُرَادِ * كِتَابٌ حَسِبْتُهُ يَطِيرُ
مِنْ يَدِي لِخِفَّتِهِ وَيَلْطُفُ عَنْ حِسِّي لِقِلَّتِهِ * صَحَائِفُ أَنْطَوَتِ
ٱلْمَحَاسِنُ تَحْتَ رَقِّ مَنْشُورِهَا وَصَدَحَتْ حَمَائِمُ ٱلْبَلَاغَةِ عَلَى
أَغْصَانِ سُطُورِهَا * صَحَائِفُ تَنُوبُ عَنِ ٱلصَّفَائِحِ وَقَرَاطِيسُ
تَزُفُّ إِلَى ٱلْأَسْمَاعِ عَرَائِسَ ٱلْقَرَائِحِ * صَحَائِفُ أَلْبَسَهَا
ٱلْحِبْرُ أَثْوَابًا مِنَ ٱلْحِبَرِ وَدَبَّجَهَا صَوْبُ ٱلْفِكْرِ لَا صَوْبُ ٱلْمَطَرِ

في وصف الامرآء والاشراف

فُلَانٌ مِنْ شَرَفِ ٱلْعُنْصُرِ ٱلْكَرِيمِ وَمَعْدِنِ ٱلشَّرَفِ
ٱلصَّمِيمِ * أَصْلٌ رَاسِخٌ وَفَرْعٌ شَامِخٌ وَمَجْدٌ بَاذِخٌ * قَدْ رَكَّبَ
ٱللهُ دَوْحَتَهُ فِي قَرَارَةِ ٱلْمَجْدِ وَغَرَسَ نَبْعَتَهُ فِي مَنْبِتِ ٱلْفَضْلِ *
ٱلْمَجْدُ لِسَانُ أَوْصَافِهِ وَٱلشَّرَفُ نَسَبُ أَسْلَافِهِ * دَوْحَةٌ
رَسَبَ عِرْقُهَا وَبَسَقَ فَرْعُهَا وَطَابَ عُودُهَا وَٱعْتَدَلَ

عَمُودُهَا وَفَيَّأَتْ ظِلَالُهَا وَتَهَدَّلَتْ ثِمَارُهَا وَتَفَرَّعَتْ
أَغْصَانُهَا وَبَرَدَ مَقِيلُهَا * أَمِيرٌ جَيْشُهُ ٱلْهِمَمُ * دَوْحَةُ مَجْدِهِ
وَرِيفَةُ ٱلظِّلِّ وَرِيقَةٌ * أَمِيرٌ لَا عَيْبَ فِي نَدَاهُ إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَعْبِدُ
كُلَّ حُرٍّ * هُوَ غُرَّةُ ٱلْجَمَالِ وَصُورَةُ ٱلْكَمَالِ * عِقْدُ ٱلْمَنَاصِبِ
بِهِ نَضِيدٌ * أَمِيرٌ عَبِقَتْ مِنْ شَمَائِلِهِ نَسَمَاتُ ٱلنَّدِّ وَقَطَرَتْ
مِنْ سَلْسَبِيلٍ أَوْ صَافِهِ مِيَاهُ ٱلْمَجْدِ * جَامِعُ مَا تَفَرَّقَ مِنْ شَمْلِ
ٱلْفَضَائِلِ * نَاظِمُ مَا ٱنْتَثَرَ مِنْ عِقْدِ ٱلْمَآثِرِ * أَنَارَتْ بِهِ نُجُومُ
ٱلْمَعَالِي وَشُمُوسُهَا * لَهُ شَرَفٌ بَاذِخٌ تُعْقَدُ بِٱلنُّجُومِ ذَوَائِبُهُ *
أَلْقَتْ إِلَيْهِ ٱلرِّئَاسَةُ مَقَالِيدَهَا وَمَلَّكَتْهُ طَرِيفَهَا وَتَلِيدَهَا *
أَمِيرٌ تَفَرَّعَ مِنْ دَوْحَةِ سَنَاءٍ وَتَحَدَّرَ مِنْ سُلَالَةِ أَكَابِرَ وَرُقَاةِ
أَسِرَّةٍ وَمَنَابِرَ * مُرْتَضِعُ ثَدْيِ ٱلْمَجْدِ وَمُفْتَرِشُ حَجْرِ ٱلْفَضْلِ *
لَهُ صَدْرٌ تَضِيقُ بِهِ ٱلدَّهْنَاءُ وَتَفْزَعُ إِلَيْهِ ٱلدَّهْمَاءُ * لَهُ فِي
كُلِّ مَكْرُمَةٍ غُرَّةُ ٱلْإِصْبَاحِ وَفِي كُلِّ فَضِيلَةٍ قَادِمَةُ ٱلْجَنَاحِ *
لَهُ صُورَةٌ تَسْتَنْطِقُ ٱلْأَفْوَاهَ بِٱلتَّسْبِيحِ وَيَتَرَقْرَقُ فِيهَا مَاءُ
ٱلْكَرَمِ وَتُقْرَأُ فِيهَا صَحِيفَةُ ٱلْبِشْرِ * يَنَابِيعُ ٱلْجُودِ تَتَفَجَّرُ مِنْ
أَنَامِلِهِ وَرَبِيعُ ٱلسِّمَاكِ يَضْحَكُ مِنْ فَوَاضِلِهِ * لَهُ أَخْلَاقٌ
خُلِقْنَ مِنَ ٱلْفَضْلِ وَشِيَمٌ تُشَامُ مِنْهَا بَوَارِقُ ٱلْمَجْدِ * أَرِجَ

ٱلزَّمَانُ بِفَضْلِهِ وَعَقِمَ ٱلنِّسَآءُ عَنِ ٱلْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ * مَالُهُ
لِلْعُفَاةِ مُبَاحٌ وَفَعَالُهُ فِي ظُلْمَةِ ٱلدَّهْرِ مِصْبَاحٌ * مَنَاقِبُ
تَشْدَخُ فِي جَبِينِهَا غُرَّةُ ٱلصَّبَاحِ وَتَتَهَادَى أَنْبَآءُهَا وُفُودُ
ٱلرِّيَاحِ * سَأَلْتُ عَنْ أَخْبَارِهِ فَكَأَنِّي حَرَّكْتُ ٱلْمِسْكَ فَتِيقًا
أَوْ صَبَّحْتُ ٱلرَّوْضَ أَنِيقًا * هُوَ رَائِشُ نَبْلِهِمْ وَنَبْعَةُ فَضْلِهِمْ
وَوَاسِطَةُ عِقْدِهِمْ * لَهُ هِمَّةٌ عَلَا جَنَاحُهَا إِلَى عَنَانِ ٱلنَّجْمِ
وَٱمْتَدَّ صَبَاحُهَا مِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ * هِمَّتُهُ أَبْعَدُ مِنْ مَنَاطِ
ٱلْفَرْقَدِ وَأَعْلَى مِنْ مَنْكِبِ ٱلْجَوْزَآءِ * مَوْضِعُهُ مِنْ أَهْلِ ٱلْفَضْلِ
مَوْضِعُ ٱلْوَاسِطَةِ مِنَ ٱلْعِقْدِ وَلَيْلَةِ ٱلتِّمِّ مِنَ ٱلشَّهْرِ بَلْ لَيْلَةِ
ٱلْقَدْرِ إِلَى مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ * هَطَلَتْ عَلَيَّ سَحَابُ عِنَايَتِهِ وَرَفْرَفَتْ
حَوْلِي أَجْنِحَةُ رِعَايَتِهِ * قَدِ ٱسْتَظْهَرْتُ عَلَى جَوْرِ ٱلْأَيَّامِ
بِعَدْلِهِ وَٱسْتَتَرْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّهِ * قَدْ غَرَّقَتْنِي نِعَمُهُ حَتَّى
ٱسْتَنْفَدَتْ شُكْرَ لِسَانِي وَيَدِي * تَتَابَعَتْ نِعَمُهُ تَتَابُعَ ٱلْقَطْرِ
عَلَى ٱلْقَفْرِ وَتَرَادَفَتْ مِنَنُهُ تَرَادُفَ ٱلْيُسْرِ إِلَى ذِي ٱلْفَقْرِ *
لَهُ أَيَادٍ قَدْ عَمَّتِ ٱلْآفَاقَ وَطَوَّقَتِ ٱلْأَعْنَاقَ * أَيَادٍ قَدْ
حَبَسَتْ عَلَيْهِ ٱلشُّكْرَ وَٱسْتَعْبَدَتْ لَهُ ٱلْحُرَّ * مِنَنٌ تَوَالَتْ تَوَالِيَ
ٱلْقَطْرِ وَٱتَّسَعَتْ سَعَةَ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَأَثْقَلَتْ كَاهِلَ ٱلْحُرِّ *

عِنْدِي قِلَادَةٌ مُنْتَظِمَةٌ مِنْ مِنَنِهِ قَدْ جَعَلْتُهَا وَقْفًا عَلَى نُحُورِ
الْأَيَّامِ وَجَلَوْتُهَا عَلَى أَبْصَارِ الْأَنَامِ * أَيَادٍ أَطْوَاقٌ
فِي أَجْيَادِ الْأَحْرَارِ * أَيَادٍ يُفْرَضُ لَهَا الشُّكْرُ وَيُحْتَمُ وَمِنَنٌ
يُبْدَأُ بِهَا الذِّكْرُ وَيُخْتَمُ * أَيَادٍ تُثْقِلُ الْكَاهِلَ وَمِنَنٌ تُتْعِبُ
الْأَنَامِلَ * مِنَنٌ هِيَ أَحْسَنُ أَثَرًا مِنَ الْغَيْثِ فِي أَزَاهِيرِ
الرَّبِيعِ وَأَحْلَى مَوْقِعًا مِنَ الْأَمْنِ عِنْدَ الْخَائِفِ الْمَرُوعِ *
أَيَادٍ لَا تُحْصَى أَوْ تُحْصَى مَحَاسِنُ النُّجُومِ وَمِنَنٌ لَا تُحْصَرُ أَوْ
تُحْصَرُ أَقْطَارُ الْغُيُومِ * زَادَتْ أَيَادِيهِ حَتَّى كَادَتْ تَجْهَدُ
الْأَعْدَادَ وَتَسْبِقُ الْإِعْدَادَ

في وصف البكاء والجزع وعظم المصائب والتعازي وما يتعلق بها

خَبَرٌ عَزَّ عَلَى النُّفُوسِ مَسْمَعُهُ وَأَثَّرَ فِي الْقُلُوبِ مَوْقِعُهُ *
خَبَرٌ تَسْتَكُّ لَهُ الْمَسَامِعُ وَتَرْتَجُّ بِهِ الْأَضَالِعُ * مُصَابٌ
فَضَّ عُقُودَ الدُّمُوعِ وَشَبَّ النَّارَ بَيْنَ الضُّلُوعِ * مُصَابٌ
أَذَابَ دُمُوعَ الْأَحْرَارِ فَتَحَلَّبَتْ سَحَائِبُ الدُّمُوعِ الْغِزَارِ
وَاسْتَدَّتْ مَسَالِكُ السُّكُونِ وَالِاسْتِقْرَارِ * رُزْءٌ نَكَأَ الْقُلُوبَ
وَجَرَحَهَا وَأَحَرَّ الْأَكْبَادَ وَقَرَّحَهَا فَالدُّمُوعُ وَاكِفَةٌ
وَالْقُلُوبُ وَاجِفَةٌ وَالْهَمُّ وَارِدٌ وَالْأُنْسُ شَارِدٌ وَالنَّاسُ

مَأْتَمُهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ * غَرَبَ لِمَوْتِهِ نَجْمُ ٱلْفَضْلِ وَكَسَدَتْ
سُوقُ ٱلْأَدَبِ وَقَامَتْ نَوَادِبُ ٱلسَّمَاحَةِ * لَطَمَتْ عَلَيْهِ
ٱلْمَحَاسِنُ خُدُودَهَا وَشَقَّتْ لَهُ ٱلْمَنَاقِبُ جُيُوبَهَا وَبُرُودَهَا *
رُزِئَ لَهُ ٱلْأَحْشَاءُ مُحْتَرِقَةٌ وَٱلْأَجْفَانُ بِمَائِهَا غَرِقَةٌ وَٱلدَّمْعُ
وَاكِفٌ وَٱلْحُزْنُ عَاصِفٌ * مَا أَعْظَمَهُ مَفْقُودًا وَمَا أَكْرَمَهُ
مَوْجُودًا * إِنِّي لَأَنُوحُ عَلَيْهِ نَوْحَ ٱلْمَنَاقِبِ وَأَرْثِيهِ مَعَ ٱلنُّجُومِ
ٱلثَّوَاقِبِ وَأَبْكِيهِ مَعَ ٱلْمَعَالِي وَٱلْمَحَاسِنِ وَأُثْنِي عَلَيْهِ بِثَنَاءِ
ٱلْمَسَاعِي وَٱلْمَآثِرِ * مَضَى وَٱلْمَحَاسِنُ تَبْكِيهِ وَٱلْمَنَاقِبُ
تُعَزِّي ٱلْعُيُونَ فِيهِ * كَانَ مَنْزِلُهُ مَأْلَفَ ٱلْأَضْيَافِ وَمَأْنَسَ
ٱلْأَشْرَافِ وَمَنْجَعَ ٱلرَّكْبِ وَمَقْصِدَ ٱلْوَفْدِ * إِعْنَاضَ مِنْ
تَزَاحُمِ ٱلْمَوَاكِبِ تَحَاشُدَ ٱلْمَآتِمِ وَمِنْ ضَجِيجِ ٱلنِّدَاءِ وَٱلصَّهِيلِ
عَجِيجَ ٱلْبُكَاءِ وَٱلْعَوِيلِ * هٰذِهِ ٱلْمَكَارِمُ تَبْكِي شَجْوَهَا لِفَقْدِهِ
وَتَلْبَسُ حِدَادَهَا مِنْ بَعْدِهِ * هٰذِهِ ٱلْمَحَاسِنُ قَدْ قَامَتْ
نَوَادِبُهَا مَعَ نَوَادِبِهِ وَٱقْتَرَنَتْ مَصَائِبُهَا بِمَصَائِبِهِ

ذيل

في الادعية في خواتم الكتب

أَطَالَ ٱللهُ لِسَيِّدِي ٱلْبَقَآءَ كَطُولِ يَدِهِ بِٱلْعَطَآءِ وَمَدَّ لَهُ فِي ٱلْعُمْرِ كَٱمْتِدَادِ ظِلِّهِ عَلَى ٱلْحُرِّ وَأَدَامَ لَهُ ٱلْمَوَاهِبَ كَمَا أَفَاضَ بِهِ ٱلرَّغَائِبَ وَحَرَسَ لَدَيْهِ ٱلْفَضَائِلَ كَمَا عَوَّذَ بِهِ ٱلشَّمَائِلَ * لَا زَالَتِ ٱلْأَلْسُنُ عَلَيْهِ بِٱلثَّنَآءِ نَاطِقَةً وَٱلْقُلُوبُ عَلَى مَوَدَّتِهِ مُتَطَابِقَةً وَٱلشَّهَادَاتُ لَهُ بِٱلْفَضْلِ مُتَنَاسِقَةً * أَبْقَاهُ ٱللهُ لِلْجَمِيلِ يُعْلِي مَعَالِمَهُ وَيَجْبِي مَكَارِمَهُ وَيَعْمُرُ مَدَارِجَهُ وَيُثْمِرُ نَتَائِجَهُ * أَدَامَ ٱللهُ لَهُ ٱلْمَوَاهِبَ سَامِيَةَ ٱلذَّوَائِبِ مُوَفِّيَةً عَلَى أُمْنِيَّةِ ٱلرَّاجِي وَبُغْيَةِ ٱلطَّالِبِ * وَٱللهُ يُتَابِعُ لَهُ أَيَّامَ ٱلْعَلَآءِ وَٱلْغِبْطَةِ وَٱلنَّمَآءِ وَٱلْبَسْطَةِ لِتَرْتَعَ أَنْوَاعُ ٱلْخَدَمِ فِي رِيَاضِ فَوَاضِلِهِ وَتَكْرَعَ أَصْنَافُ ٱلْحَشَمِ مِنْ حِيَاضِ مَوَاهِبِهِ * وَٱللهُ تَعَالَى يَقِي ٱلرَّئِيسَ ٱلْمَصَائِبَ وَيُعِيذُهُ مِنَ ٱلنَّوَائِبِ وَيَرْعَاهُ بِعَيْنِهِ ٱلَّتِي لَا تَنَامُ وَيَجْعَلُهُ فِي حِمَاهُ ٱلَّذِي لَا يُرَامُ * لَا زَالَتِ ٱلْأَيَّامُ وَٱللَّيَالِي

مَطَايَاهُ فِي أَمَانِيِّهِ وَآمَالِهِ وَصَرَفَ ٱللهُ صُرُوفَ ٱلْغِيَرِ عَنْ إِصَابَةِ إِقْبَالِهِ وَكَمَالِهِ * أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَ ٱلْأَمِيرِ وَأَدَامَ عِزَّهُ وَتَأْبِيدَهُ وَعُلُوَّهُ وَتَمْهِيدَهُ وَبَسْطَتَهُ وَتَوْطِيدَهُ وَظَاهَرَ لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدَهُ * أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَ سَيِّدِي مَخْدُومًا بِأَيْدِي ٱلْأَقْدَارِ مَعْصُومًا مِنْ عَوَادِي ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مُكْتَنَفًا مِنْ لَطَائِفِ ٱللهِ ٱلْخَفِيَّةِ وَعَوَارِفِ صَنَائِعِهِ ٱلْحَفِيَّةِ بِمَا يَدْفَعُ عَنْ حَوْزَتِهِ نَوَائِبَ ٱلْخُطُوبِ وَيَصْنَعُ لَهُ فِي طَيِّ ٱلْمَكْرُوهِ نِهَايَةَ ٱلْمَحْبُوبِ

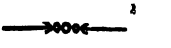

Digitized by Google

Digitized by Google

Library of

Princeton University.

32101 073506030

Digitized by Google